

جامعة النّجاح الوطنيّة
كليّة الدراسات العليا

صورة ابن تيميّة في أدب العصر المملوكيّ الأول (648هـ _ 784هـ)

إعداد

سوسن أحمد يوسف نبريصي

إشراف

د. رائد عبد الرّحيم

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2018م

صورة ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول (648هـ _ 784هـ)

إعداد

سوسن أحمد يوسف نبريصي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2018/06/19م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

.....

1. د. رائد عبد الرحيم/ مشرفاً ورئيساً

.....

2. د. مشهور حبّازي/ ممتحناً خارجياً

.....

3. د. عبد الخالق عيسى/ ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى كلّ ناصية صابرة مُحتسبة...

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتمّ الصالحات، فالحمد لله حمداً دائماً أبداً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبعد؛

كل الشكر والتناء بعد الله عزّ وجل، إلى منبع العطاء والجود، والحنان والأمان؛ والديّ الحبيبيّ، فكلّ كلمات الشكر والتناء له توفيلكم حقكم، حقاً زرعتم، فكان زرعكم مشكوباً. وكلمة حبّ ووفاء بعدد قطرات الماء، وألوان الزهر وشذا العطر لشقيقتي الأربعة، وشقيقتي على مساتهم الحانية التي تفجر في قلبي ينبوعاً من الأمل في هذه الحياة القاسية. ولزوي القلوب الطيبة، والتفوس الأبية، والابتسامة الفريدة، إلى من ساند ودعم في سبيل إنجاز هذه الدراسة، سواء بكلمة نافعة أم بنصيحة جامعة أم بدعاء صادق.

واستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: {وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ} فإني أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى الدكتور نائد عبد الرحيم، أستاذ أدب العصور الوسطى الإسلامية _ كلية العلوم الإنسانية، ومدير معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها في جامعة النجاح الوطنية، الذي أشرف على هذه الدراسة وتعهدها بالتصحح والإشاد، فعلم فكتراً، وأسى منهجاً، فله مني جزيل الشكر، ومنه الله عظيم الأجر.

ويطيب لي أن أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية _ جامعة النجاح الوطنية، وإلى عضويّ لجنة المناقشة اللتيه تفضلا بقراءة الدراسة ومناقشتها، والشكر موصول أيضاً إلى العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وأخصّ بالذكر الأستاذ فايز سلوم " أبو مازن". وأشكر من قلب القلب الأخت والصديقة " عناية الجاني" التي تفضلت بقراءة الدراسة بعد استوائها على سوقها.

إليكم جميعاً جزيل الشكر والتقدير

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة ابن تيميّة في أدب العصر المملوكيّ الأول (648هـ _ 784هـ)

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيث إن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدّم من قبل لنيل أي درجة، أو لقب علمي، أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرست المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرست المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
4	تمهيد: حضور ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول (648هـ_784هـ)
5	أولاً: - صورته في الشعر
15	ثانياً: - صورته في النثر
20	الفصل الأول: نسب ابن تيمية وبعض صفاته
21	نسب ابن تيمية
24	بعض صفات ابن تيمية
24	أولاً: كرمه
32	ثانياً: شجاعته
47	ثالثاً: حلمه
52	رابعاً: تواضعه
54	الفصل الثاني: صورته الدينية
55	أولاً: تعبده
66	ثانياً: زهده
74	ثالثاً: إيثاره
75	رابعاً: فراسته
77	خامساً: جهاده
85	سادساً: تأييده
93	الفصل الثالث: صورته العلمية
94	أولاً: علومه وغزارتها

الصفحة	الموضوع
85	ثانياً: مجالسه العلمية وفضلها
117	ثالثاً: فتاوى ابن تيمية واجتهاداته
128	الفصل الرابع: صورته الاجتماعية
129	أولاً: ابن تيمية وخصومه
130	أولاً_ أسباب الخصوم
131	أ_ مكانة ابن تيمية
131	ب_ الحسد
134	ت_ مناظرته الفرق والطوائف
142	ثانياً_ أفعال أعداء ابن تيمية وخصومه
151	ثالثاً_ موقف ابن تيمية من خصومه وأفعالهم
154	رابعاً_ موقف الأدباء من خصوم الشيخ وأفعالهم
160	ثانياً: مكانته الاجتماعية
160	أثر ابن تيمية في عصره
163	أ_ جنازته
166	ب_ أثر وفاته في الناس ومظاهر الكون والطبيعة
173	ت_ صورته في الوجدان الشعبي
176	الخاتمة
179	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

صورة ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول (648هـ _ 784هـ)

إعداد

سوسن أحمد يوسف نبريصي

إشراف

د. رائد عبد الرحيم

المُلخَص

تحفل شخصية ابن تيمية بدراسات فكرية ومنهجية عديدة ومتنوعة، إلا أن صورته في أدب عصره؛ العصر المملوكي الأول (648هـ _ 784هـ) لا تزال بحاجة إلى بحث علمي شامل يتناولها من جوانبها المختلفة، ولهذا جاءت هذه الدراسة لتجلي "صورة ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول (648هـ _ 784هـ)"، وتكشف عن أخلاقه وصفاته، وحياته الدينيّة والعلميّة والاجتماعيّة كما عبّر عنها ذلك الأدب.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائيّ والوصفيّ والتحليليّ، وجاءت الدراسة في: مقدّمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة. تناولت الدراسة في المقدّمة موضوع البحث، ومنهج الدراسة ومحتوياتها، وسبب اختيار موضوعها. وتستقرئ في التمهيد حضور ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول الممتد من (648هـ _ 784هـ).

وتعالج في فصلها الأوّل: نسب ابن تيمية، وبعض صفاته الخلقية؛ ومنها: كرمه، وشجاعته، وحلمه، وتواضعه. ويتناول الفصل الثّاني: الصورة الدينية لابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول بمختلف تجلياتها؛ تعبده، وزهده، وإيثاره، وفراسته، وجهاده، وتأييده. وخصّص الفصل الثالث: للحديث عن صورته العلميّة في أدب العصر المملوكي الأول. أمّا فصلها الرابع والأخير، فتحدث عن صورة ابن تيمية الاجتماعيّة، فوقف عند علاقته بخصومه، وأسباب هذا الخصام ونتائجه، وعند محبيه وتقديرهم إياه، وصورته في وجدانهم. وانتهت الدراسة بخاتمة حملت أهم النتائج المستخلصة منها.

المقدمة

كان لابن تيمية ولا زال مكانة بارزة في التاريخ الإسلامي، تطرقت إليها عدة مقالات وأبحاث ودراسات تاريخية، وسياسية، ودينية عديدة وخاصة المتعلقة بأفكاره ومنهجه، إلا أن صورته في الأدب لم يطرُق بابها باحث، فَبَاتَ لزامًا أن تستقصى خبايا شخصيته؛ بغية الخروج بتصوّر واضح عنه في هذا المجال.

عاش ابن تيمية في كنف دولة المماليك البحرية، وما من شك في أن هذه الدولة التي استمرت ما يقرب من قرن ونصف من الزمان قد سايرت بشعرها ونثرها أحداثًا اجتماعية وتاريخية وعلمية ودينية شتى، فكان أدب عصرها وثيقة تاريخية مهمة، كشفت عن طبيعة حياة ابن تيمية الدينية والعلمية والاجتماعية، وبَيَّنَتْ أخلاقه وصفاته المستقرة في أذهان الأبداء، والمجتمع المملوكي بفقائه، وعلمائه خاصة، وأناسه عامة؛ ومن هنا تحاول الدراسة الإجابة عن سؤال ما الصورة التي رسمها الأدب لابن تيمية؟ وذلك من خلال:ـ

- تقديم صورة متكاملة عن فنون الأدب العربي التي تناولت ابن تيمية في العصر المملوكي الأول.

- الحديث عن مضامين تلك الفنون للوقوف على صورته المختلفة فيها.

ومن الجدير ذكره، أن موضوع الدراسة يعود إلى الدكتور رائد عبد الرحيم، الذي مدّ لي يد العون والمساعدة بعد حيرة أصبت بها، وبعد البحث والتنقيب وجدت في مصادر ذلك العصر أن فنوناً أدبية متنوعة، اشتملت الحديث عن ابن تيمية، ومكارم أخلاقه، ومحامد صفاته، وصورته الدينية والعلمية التي اشتهر بها وعُرف، والملاحم الاجتماعية لحياته بين أجبائه وخصومه، الأمر الذي شجعتني على الدراسة والبحث تارة، إضافة إلى ذلك مكانة ابن تيمية في التاريخ الإسلامي، فهو شخصية إسلامية حرة جريئة مُجدِّدة ومؤثرة في حركة المجتمع الإسلامي وتاريخه، ولها تأثيرها في التيارات الإسلامية المعاصرة.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من عدم وجود دراسة علمية شاملة مستقلة إلا أن بعض الباحثين قد أشاروا إليه في أثناء دراساتهم وأبحاثهم، إلا أنهم لم يوفوا الموضوع حقه من الإحاطة والتفصيل، فلم تكن دراساتهم مخصصة فيه، ومن هذه الدراسات: _

- كتاب للباحث رائد عبد الرحيم¹، بعنوان " فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي"، تناول فيه الحديث عن الرثاء في العصر المملوكي الأول، فحصر ألوانه، وتناول كل لون على حدة، وبيّن أن رثاء العلماء والأدباء من أكثر الألوان التي تغنى بها الشعراء، فوقف على صفاتهم ومناقبهم، وصور لحظة فراقهم على الكون ومظاهر الطبيعة، وأكد أن ابن تيمية من الأدباء الذين حظوا باهتمام الشعراء وعنايتهم، وقدم فيها الباحث صورة لشجاعة الشيخ وجهاده، وأثر ذلك على البلاد الإسلامية والمسلمين، وبيّن حزن الناس ومعاناتهم ولوعتهم وقلة صبرهم على وفاته، ويعدّ حضور ابن تيمية في هذا الكتاب البذرة التي ولدت منها الدراسة.

واتكأت الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، واستعانت بالتاريخ في الموضوعات التي لزمها حضوره. وانتظمت الدراسة في: مقدّمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، أمّا المقدمة، فتضمّنت موضوع الدراسة، ومنهجها، وأهدافها، وأهميتها، ومحتواها.

وقدّم التمهيد عرضاً لحضور ابن تيمية في فنون أدب العصر المملوكي الأول المتنوعة. وتحدث الفصل الأول عن نسب ابن تيمية وبعض صفاته، كما صورها الأدب، ففصّل في عرض كرمه، وشجاعته، و حلمه، وتواضعه.

ووقف الفصل الثاني على الصورة الدينية لابن تيمية، فتناول تعبده، وزُهده، وإيثاره، و فراسته، وجهاده، وتأييده.

¹ عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ط1، عمان: دار الرازي، 2003م.

وجاء الفصل الثالث من الدراسة، ليجلي الصورة العلميّة لابن تيمية في الأدب، فتناول علومه وغزارتها، ومجالسه العلميّة وأهميتها وإقبال الناس عليه، ثم اجتهاداته وإفتاءه وشهرته في هذا المجال.

وناقش الفصل الأخير ملامح الصورة الاجتماعية لابن تيمية في أدب ذلك العصر، فقدّم صورتين متضادتين له، صورة خصومه وأفعالهم، وأسباب الخصام ونتائجه، وموقف ابن تيمية والأدباء منه، وصورة محبيه، فسلب الضوء على جوانب هذه المحبة، وعلى أهم لحظة موته وفراقه، ثم النظرة التي كانوا يحتفظون له بها في ذاكرتهم ووجدانهم. وانتهت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم النتائج.

التمهيد

حضور ابن تيمية في أدب العصر المملوكي
الأول (648هـ - 784هـ)

التمهيد

كان لابن تيمية حضور بارز في أدب العصر المملوكي الأول (648هـ—784هـ) ، ويدلّ على ذلك كثرة الفنون الأدبية والنصوص التي تناولته، وكان حاضرًا فيها. وقد حصرت هذه الدراسة الفنون وجلتها، فعلى سعيد الشعر كان لابن تيمية صدى في غير غرض من أغراضه، وأكثرها كان في شعر الرثاء ثم المديح.

أولاً: صورته في الشعر

خَدَّت المراثي ابن تيمية¹، فقد رُثِي في قصائد كثيرة بعد وفاته، وعدّد الصفدي أسماء بعضهم، فقال: " لَمَّا توفى رحمه الله رثاه جماعة منهم: الشيخ علاء الدين بن غانم²، والشيخ قاسم ابن عبد الرحمن المقرئ³، وبرهان الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي⁴، ومحمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي البغدادي⁵، ومُجير الدين أحمد بن الحسن الخياط الدمشقي⁶، وشهاب الدين أحمد بن

¹ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، ص116.

² علاء الدين بن غانم: هو علي بن محمد بن سلمان بن حمائل الدمشقي، القاضي علاء الدين بن غانم، ولد سنة 651هـ وتوفي سنة 737هـ، كان زاهدًا وكثير القضاء لحوائج الناس، دينيًا وقورا مهيبا. انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، ، باعتناء: س. ديدرينغ، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ط2، 22، 33/1974، 38. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، حققه علي أبو زيد، نبيل أبو عمسة، محمد موعد، محمود سالم محمد، قدم له مازن عبد القادر المبارك، ط1، بيروت: دار الفكر، دمشق: دار الفكر، 1998، 3/ 496_502 . شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه وقدم له ووضع فهرسه محمد سيد جاد الحق، ط2، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1966، 178/3.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ لم أعثر على ترجمة له.

⁵ هو محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود العراقي، تقي الدين أبو النشاء الدقوقي البغدادي الحنبلي، ولد سنة 663 هـ _ توفي سنة 733هـ، كانت لديه عناية بالحديث والوعظ، شيخ المستصرية، وله معرفة بالنظم والنثر وإنشاء الخطب، وكان ذا جلاله وهيبه. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 406/5. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 98/5. ابن العماد الحنبلي، أبا الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، بيروت: دار المسيرة، 106/1979، 6.

⁶ هو أحمد بن حسن بن محمد، مجير الدين الخياط الدمشقي، وذكره العسقلاني بمجد الدين، كان شاعراً ماهراً، " ت 735هـ بدمشق. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 211/1. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 131/1. ابن تغردي بردي، جمال الدين يوسف أبا المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية، 1984، 282/1.

الكرشت¹، وزين الدين عمر بن الحسام²، وشمس الدين محمد بن أحمد ابن أبي القسم الحلبي
الدمشقي الصالحي الاسكاف³، وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي⁴،
وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي⁵، وعبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الحريري
المعروف بالمتيم⁶، وتقي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الله ابن سالم الجعبري⁷،
وجمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل الحنبلي⁸، وحسن بن محمد النحوي المارداني⁹،
والقاضي زين الدين عمر بن الوردي الشافعي¹⁰ وغيرهم. وفي هؤلاء من رثاه بقصيدتين

¹ شهاب الدين أحمد بن الكرشت: هو أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد ابن أنوشروان التبريزي الأصل، شهاب الدين أبو
العباس، وقد اختلف في لقبه فذكره العسقلاني بـابن المكوشة، وابن المكوشب، وابن الكوشت، وأشار إلى ذلك أيضاً عبد
القادر التميمي الداري في "الطبقات السنية"، ت. 735هـ — دمشق، اشتغل في مذهب أبي حنيفة، ومهر فيه وتقدم، وقال
الشعر الحسن. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 189/1. ابن عبد القادر التميمي الداري، تقي الدين: الطبقات
السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوطي، الرياض: دار الرفاعي، 1983، 386_385/1.
² زين الدين عمر بن الحسام: هو عمر بن الحسام أقوش، زين الدين أبو حفص الشبليّ دمشقيّ الذهبي الشافعي
الإفخاري، ولد سنة 684هـ وتوفي سنة 749هـ، وبعضهم يلقبه براطيش، اشتغل بالأدب، وسمع الحديث من الحجاز،
وكان حسن الصحبة، طاهر اللسان. انظر: الكتبي، محمد بن شاكراً: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان
عباس، (د.ط.)، بيروت: دار صادر، (د.ت.)، 132_131/3. الصفدي: أعيان العصر، 598/3. ابن حجر العسقلاني: الدرر
الكامنة، 231/3.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ هو عبد المؤمن بن الخطيب عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مسعود بن شمائل البغدادي، صفي الدين الحنبلي، وقد
ذكره ابن رجب ابن عبد الخالق، من علماء العراق، ولد سنة 658هـ، وتوفي سنة 739هـ، وكانت له عناية في
الحديث و الفرائض وفي الحساب والجبر. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 181/3. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة،
32/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/121.

⁵ لم أعثر على ترجمة له.

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

⁷ هو محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان، تقي الدين أبو عبد الله الجعبري الشافعي، ولد سنة 706هـ، توفي سنة
745هـ، سمع من الحجار والمزي، وكان فقيهاً بالمدارس، بشوش الوجه، خفيف الروح. انظر: الصفدي: الوافي
بالوفيات، 139/3. ابن كثير: البداية والنهاية، 225/13. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 69/4.

⁸ هو عبد الصمد بن إبراهيم بن خليل البغدادي الحنبلي الخضري، جمال الدين أبو أحمد، ويعرف بابن الخضري. كان
محدث بغداد وواعظها، واختصر تفسير الرسعني وكان يلقي دروساً من حفظه، ت765هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني:
الدرر الكامنة، 476/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 204/6.

⁹ لم أعثر على ترجمة له.

¹⁰ هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، زين الدين، أبو حفص ابن الوردي المعري الحلبي الشافعي، ولد
سنة 691هـ، وتوفي سنة 749هـ. أحد فضلاء عصره وفقهائه وأدبائه وشعرائه، أجاد في المنثور والمنظوم. وله
ديوان شعر لطيف حققه أحمد رفعت البدرأوي، ومقامات مستظرفة. انظر: الكتبي: فوات الوفيات، 157/3—160.
الصفدي: أعيان العصر، 705_677/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 165_161/6.

وثلاث¹، ويشهد بذلك ابن كثير، في قوله: "رثاه جماعة بقصائد جمة"²، ويؤكد المقرئ ذلك، ذلك، بقوله: "ورثاه جماعات من الناس بالشام والعراق والحجاز والعرب من آل فضل"³.

فمن الملاحظ، أنّ ابن تيمية رثاه العديد من ذوي الفضل والعلماء، في مصر والشام، وقد حصر تلميذه ابن عبد الهادي⁴ في كتابه "العقود الدرّية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، تحقيق علي بن محمد العمران أغلب القصائد التي قيلت فيه مدحاً ورتاءً، تحت عنوان "قصائد في مدح الشيخ ورتائه"، مشيراً إلى كثرة القصائد التي قيلت فيه بعد وفاته⁵، فبلغت قصائد قصائد الرثاء أربعاً وثلاثين قصيدة تامة، لم يكتفوا فيها بالثناء على محاسن ابن تيمية وخصاله الحميدة، بل أودعوا فيها جُلّ حياته. وتعدّ قصيدة شهاب الدين، ابن فضل الله العمري من أشهر ما قيل، وقد جاءت في ثمانية وسبعين بيتاً، كشفت عن حياة المرثي، وشهدت له بالمثّل الفضلى التي تفردّ بها ولازمته حتى الممات، يقول في مطلعها⁶:

(البيسط)

أَهَكَذَا بِالْدِّيَاجِي يُحْجَبُ الْقَمَرُ وَيُحْبَسُ النُّورُ حَتَّى يَذْهَبَ الْمَطَرُ

¹ الصفدي: الوافي بالوفيات، 328_327/4. أعيان العصر، 248_247/1.

² ابن كثير الدمشقي، الحافظ أبو الفدا: البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه: أحمد أبو ملح، وعلي نجيب عطوي، وفؤاد السيد، ومهدي ناصر الدين، وعلي عبد الساتر، ط1، القاهرة: دار الريان، 1988، 142/14.

³ المقرئ: تقي الدين: المقفّى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991/475.

⁴ ابن عبد الهادي: هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن العماد الحنبلي. اختلفت في سنة ميلاده بين 704، 705هـ، وتوفي سنة 744هـ. عني بالحديث وفنونه، وتفقه في المذهب وأفتى، وقرأ الأصلين والعربية، ولازم الشيخ ابن تيمية مدة. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 275_273/4، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 422_421/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 439_436/6.

⁵ ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد: العقود الدرّية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق علي بن محمد العمران، (د.ط.)، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، (د.ت.)، ص452.

⁶ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر كامل سليمان الجبوري، (د.ط.)، بيروت: دار الكتب، 1971، 343/5. ابن عبد الهادي: العقود الدرّية، 538. الكرمي، مرعي ابن يوسف: الكواكب الدرّية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق وتعليق، نجم عبد الرحمن خلف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص182.

واشتهرت أيضاً قصيدة زين الدين، عمر بن مظفر ابن الوردى الشافعي، التي تحدثت عن محن الشيخ وسجانيه، وهي في سبعة وعشرين بيتاً، استهلها بقوله¹:

(الوافر)

عَنَّا فِي عَرَضِهِ قَوْمٌ سَلَاطٌ لَهُمْ مِنْ نَشْرِ جَوْهَرِهِ التَّقَاطُ

وتعدُّ قصيدة عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل، المعروف بالمتيم من أطول القصائد التي قيلت في رثائه، فقد جاءت في مائة وسبعة وعشرين بيتاً، وقف فيها على مناظرة الشيخ لأصحاب المذاهب، وتصديه لكافة الفرق والطوائف آنذاك بالأدلة الدامغة، ومما جاء منها قوله²:

(الطويل)

وَنَاطَرَ أَرْبَابَ الْعَقَائِدِ كُلَّهُمْ وَبَيَّنَّ مَنْ قَدْ ضَلَّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ

وَرَدَّ عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ جَمِيعِهِمْ بِأَوْضَاحِ بُرْهَانٍ وَأَبْلَغِ حُجَّةٍ

ورثاه الشيخ شمس الدين الذهبي³ بقصيدة عدتها أحد عشر بيتاً، أجملت حياته، بين جهاد واجتهاد، وما تبع ذلك من مشاحنات ومنازعات. وممن قال أيضاً في رثاء ابن تيمية الشيخ الفقيه أمين الدين عبد الوهاب بن سلال الشافعي⁴، وبدر الدين ابن عز الدين المغنثي⁵.

¹ ابن الوردى، عمر زين الدين: تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردى، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدرأوي، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1970، 406/2. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 465. الكرّمى: الكواكب الدرية، 187.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 528.

³ شمس الدين الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي التركمانى الدمشقى، ولد سنة 673هـ، وتوفي سنة 748هـ. كان ماهراً في فن الحديث، وعرف تراجم الناس، فكان أكثر أهل عصره تصنيفاً وجمع تاريخ الإسلام. انظر: الكتبى: فوات الوفيات، 315/3-317. ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، 427_426/3.

⁴ هو عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن بيرم بن بهرام بن السلال بن محمود، أمين الدين الدمشقى، ولد سنة 698هـ، وتوفي سنة 782هـ، أتقن الفرائض والعربية والقراءات، وله مؤلفات حسنة مفيدة. انظر: ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، 45/2. ابن العماد: شذرات الذهب، 275/6.

⁵ لم أعتز على ترجمة له.

وإضافة إلى ما تقدم، هناك قصائد قيلت في ابن تيمية لمؤرخين وشعراء معاصرين له، أشار إليها ابن عبد الهادي ولم يثبتها في مصنفه، ويؤكد ذلك بقوله: "وقد رثي الشيخ بقصائد كثيرة غير هذه، وفيما ذكر كفاية"¹، جاءت متناثرة في بطون الكتب، ومنها قول ابن محمد العراقي الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي²، صاحب مؤلف "حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه"، إذ رثاه بقصيدة أثبتتها مرعي ابن يوسف الكرمي الحنبلي في كتابه "الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية" تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، عبر فيها عن حالته النفسية بعد وفاة الشيخ، إذ بين أنه لم يعد نهاره نهاراً ولا ليله ليلاً، مؤكداً تساوي الأحوال من بعده، قائلاً³:

(الخفيف)

لا الصَّباحُ الصَّباحُ بعدك عِندي في ضِياءٍ ولا المَساءُ المَساءُ

والقصيدة التي نظمها صلاح الدين الصفدي⁴، صورت حياة ابن تيمية في عصره، وأظهرت جانباً من الصورة الاجتماعية للناس وللدنيا والعلوم بعد موته، إذ صور ضيق الزمان بهم بعده يقول في مطلعها⁵:

(السريع)

إنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ لَمَّا قَضَى ضَاقَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ رَحْبُ الْفَضَا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 544.

² هو محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز بن محمد علي بن أبي الفوارس، شمس الدين دمشقي ابن الجزري، ولد سنة 658هـ، وتوفي سنة 739هـ، وكان متواضعاً، وكان حسن الذاكرة سليم الباطن، جمع تاريخاً حافلاً مشهوراً، وله شعر حسن. انظر: ابن الجزري، شمس الدين أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن بكر: تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بتاريخ ابن الجزري، اعتنى بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1998، 38_34/2. ابن كثير، البداية والنهاية، 197/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 338/3_339.

³ الكرمي: الكواكب الدرية، 189.

⁴ هو خليل بن أبيك بن عبد الله، صلاح الدين الصفدي الشافعي، ولد سنة 696 وقيل 697هـ، وتوفي سنة 764هـ، سمع الكثير وقرأ الحديث، وأخذ عن الكثير من الفقهاء والعلماء، وكان ماهراً في الأدب، وقال النظم الرائع، وألف المؤلفات الفاتحة. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 176/2. ابن العماد: شذرات الذهب، 200/6.

⁵ الصفدي: أعيان العصر، 251_252.

أمّا مدحها، فقد نظم الشعراء اثنتي عشرة قصيدة وخمس مقطوعات، أشار الصفيدي إليها وإلى بعض قائلها، في قوله: " مدحه جماعة من أهل عصره، منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادي المعروف بابن الأبرادي الحنبلي¹، والشيخ شمس الدين ابن الصايغ²، وسعد الدين أبو محمد سعد الدين بن عبد الأحد الحرّاني³، وممن مدحه أيضًا شيخنا العلامة أبو حيان⁴، وكتب الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني⁵، وبعضها الآخر جاء على لسان محمد بن أبي أبي بكر بن أيوب الزرعي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية⁷، ونجم الدين إسحاق ابن ألمى

¹ لم أعر على ترجمة له.

² شمس الدين ابن الصايغ: هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردى، شمس الدين ابن الصايغ الحنفي النحوي، ولد سنة 708 هـ، وتوفي سنة 776هـ، كان بارعاً في اللغة والنحو والفقه، وكان حسن النثر والنظم، دمث الأخلاق. انظر: الصفيدي: الوافي بالوفيات، 244/3. العسقلاني: الدرر الكامنة، 119/4_120. ابن العماد: شذرات الذهب، 248/6.

³ هو سعد الله بن عبد الأحد، وورد أيضًا بابن "عبد الواحد" بن سعد الله بن عبد القادر ابن نجيح، سعد الدين الحرّانيّ الدمشقيّ الحنبلي، وذكره ابن يعلى في طبقات الحنابلة "ابن بُخَيْخ"، ولد سنة 647هـ، وتوفي سنة 721هـ، وهو أديب صالح أمين عدل، فيه مروءة لقضاء حوائج الناس. انظر: ابن رجب زين الدين، أبا الفرج عبد الرحمن البغدادي: الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن علي العثيمين، (د.ط)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1424هـ، 443/4. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 2/227.

⁴ أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي. نحويّ عصره ولغويّ ومفسّر ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه. ولد سنة 654هـ بغرناطة، وتوفي 745هـ بمصر، وكانت علاقته بابن تيمية حسنة، ومدحه جهارًا ثم ساء ما بينهما. ولأبي حيان شعر ونثر، وأهم مصنفاة البحر المحيط في تفسير القرآن الكريم. انظر: أبا حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، ط2، دار الفكر، ج1، ص. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، 70/5_76. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1979، 280/1_285.

⁵ كمال الدين ابن الزملكاني: هو محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نيهان الأنصاري الشافعي، أبو المعالي بن خطيب زملكا. ولد سنة 666هـ وبعض المصادر تقول 676هـ، وتوفي سنة 727هـ. قاضي القضاة، ذو الفنون، كبير الشافعية في عصره والفضلاء في دهره، كان عالي الهمة وكريم النفس. انظر: الصفيدي: الوافي بالوفيات، 221_214/4. ابن العماد: شذرات الذهب، 78/6_79. السبكي، تاج الدين أبا نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، ط2، بيروت: دار المعرفة، (د.ت)، 251/5_259.

⁶ الصفيدي، الوافي بالوفيات، 327/4. أعيان العصر، 246/1.

⁷ ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية. ولد سنة 691هـ، وتوفي سنة 751هـ. تفقه في المذهب، وبرع في علوم متعددة وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه إلى مماته. وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، واعتقل مع ابن تيمية. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 246/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 21/4. ابن رجب زين الدين، أبا الفرج عبد الرحمن البغدادي: الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2005م. 179_170/5.

التركي¹، وشهاب الدين أحمد بن عبد الله أبي الطاهر البعلبي الحنبلي²، ونجم الدين سليمان ابن عبد القوي الطوفي³.

ونظم سعد الدين أبو محمد سعد الدين ابن بُخَيْخ ست قصائد، ما بين قصائد طويلة وقصيرة لخص فيها حياة ابن تيمية وتنقله من الفتوى وحب العلم إلى الشباب والجهاد ومجادلة الخصوم، وأكد رفعة وتفوقه على أقرانه وخصومه على السواء، ونصرته بقدرة رب العرش، وأشار إلى كثرة صفاته وخصاله، معلناً حبه له سراً وجهرًا⁴.

ونظم نجم الدين إسحاق بن أبي بكر ابن ألمى التركي في مديحه قصيدتين، بلغت إحداهما سبعة وستين بيتاً، عكست الحياة التي عاشها ابن تيمية بين جهاد ونصر، مروراً بالعديد من الأخلاق، وقد سلط الضوء على الدور الاجتماعي والديني الذي قام به ابن تيمية، وقد افتتحها بمقدمة غزلية طليئة في تسعة أبيات، يأمر فيها الخلان تركه وشأنه من الوقوف على الأطلال وبكاء الديار، داعياً إلى العلا مذكراً بالمجد وذويه، منتقلاً بعد ذلك إلى تعداد صفات الممدوح ابن تيمية ومناقبه، وقد أحسن الشاعر التلخيص إلى مديح ابن تيمية والإشادة به، فقال⁵:

¹ هو إسحاق بن أبي بكر بن ألمى ابن أطرز التركي المصري، نجم الدين الشاعر المُحْسِن، أصله من سنجار، وسمع الحديث، ورحل إلى الاسكندرية وحلب، وكان له شعر حسن، ولد سنة 671هـ، وتوفي 720 هـ، انظر: الذهبي: المعجم المختص (بالمحدثين)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، المملكة العربية السعودية، الطائف: مكتبة الصديق، 1988، ص72. الصفي: الوافي بالوفيات، 405/8. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 380/1.

² هو أحمد بن عبد الله بن عبد الغني بن أبي بكر بن الدُرَيْني البعلبكي، شهاب الدين أبا الطاهر البعلبي الحنبلي، ولد سنة 676هـ، وتوفي سنة 735هـ، المحدث الفقيه وكان رجلاً جيداً خيراً سليم الصدر متواضعاً، وذكر الذهبي مولده 686هـ. انظر: ابن الجزري: بتاريخ ابن الجزري، 803/3. الذهبي: المعجم المختص، 22. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 194/1.

³ هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري، نجم الدين أبو الربيع البغدادي الحنبلي الأصولي، ولد سنة 657هـ، وتوفي سنة 716هـ في الخليل بعد رجوعه من الحج، وكان قوي الحافظة شديد الذكاء، قرأ العربية والتصريف والفقه والفرائض، وجالس فضلاء في بغداد في أنواع الفنون، وله تصانيف كثيرة. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 249/2. ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم محمد بن عبد الله: المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1990، 425/1، 426. ابن العماد: شذرات الذهب، 39/6.

⁴ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص558_573.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص452. الكرمي: الكواكب الدرية، 72_76.

(الطويل)

ذَرَانِي مِنْ ذِكْرِي سُعَادٍ وَزَيْنَبِ
وَمِنْ مَدْحِ آرَامٍ¹ سَنَحْنُ بِرَامَةٍ
وَلَا تُنْشِدَانِي غَيْرَ شِعْرِ إِلَى الْعُلَا
وَأِنْ أَنْتُمْ طَارَحْتُمَانِي، فَلْيَكُنْ
يُقِيمُ قَنَاءَ الدِّينِ بَعْدَ اعْوَجَاجِهَا
يَرَى نُصْرَةَ الْإِسْلَامِ أَكْرَمَ مَغْنَمِ
وَمِنْ نَدْبِ أَطْلَالِ اللَّوَى وَالْمَحْصَبِ
وَمِنْ غَزَلٍ فِي وَصْفِ سِرْبٍ وَرَبْرَبٍ²
يَظُلُّ ارْتِيَاحاً يَزْدَهِنِي وَيُطْنِبُ³
حَدِيثُكُمَا فِي ذِكْرِ مَجْدٍ وَمَنْصَبِ
وَيُنْقِذُهَا مِنْ قَبْضَةِ الْمُتَغَصِّبِ
وَإِظْهَارِ دِينَ اللَّهِ أَرْبَحَ مَكْسَبِ

وجاءت القصيدة الثانية في عشرة أبيات بعد خروج ابن تيمية من دمشق في محنته الأولى، ردَّ فيها على قصيدة صدر الدين ابن الوكيل⁴ التي هجا بها ابن تيمية، وقد عدَّه ولياً من أولياء الرحمن، مندداً بخسارته، في قوله⁵:

(الكامل)

فَكَفَّاكَ مَقْتًا أَنْ تَكُونَ مُحَارِبًا لَوْلِي رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ

ونظم تلميذه ابن قيم الجوزية، قصيدة أسماها " الكافية الشافية في الانتصار للفرق الناجية " بلغت ما يقارب ستة آلاف بيت، وضَّح فيها نهج ابن تيمية المتمسك بعقيدة السلف الصالح، وردَّ

¹ آرام: جمع ريم، وهو الظَّبِّيُّ الأبيض الخالص البياض. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة " ريم".

² ربرب: القطيع من بقر الوحش، وقيل من الطباء، ولا واحدة له. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة " ربرب".

³ أشار ابن عبد الهادي في الهامش إلى ذلك فقال: " يطرب"، و" يطأبي" انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 452. وقد وردت في الكواكب الدرية، " وَيَطْبِي". انظر: الكرمي: الكواكب الدرية، 73.

⁴ ابن الوكيل صدر الدين: هو محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد، صدر الدين أبو عبد الله ابن المرحل المصري الشافعي، توفي سنة 716هـ، شيخ الشافعية في زمانه، وهو أحد الأعلام في الذكاء والذاكرة، وفاق أقرانه وتقدم في كل الفنون، وأفتى وهو ابن العشرين فكان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه. وكان يعادي الشيخ ابن تيمية، وبنظره في كثير من المحافل والمجالس. انظر: الكتبي: فوات الوفيات، 13/4_15. ابن كثير: البداية والنهاية، 80/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 234/4_235.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص551.

على الفرق والطوائف المختلفة، ونقض أدلتهم، ونزه الله عن مشابهة غيره من المخلوقات¹، يقول في مطلعها²:

(الكامل)

حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ مَا لِلصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ يَدَانِ
أَنْبَى وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْخَصْمَانِ

ومدح ابن تيمية شهاب الدين أحمد بن عبد الله، أبو الطاهر البعلبي الحنبلي³ بقصيدة، أتى فيها على وصف أخلاقه ومحاسنه، وأشار إلى اعتنائه بالعلوم الدينية، كما اتضح من مطلعها⁴:

(البيسط)

يَا ابْنَ تَيْمِيَّةٍ يَا أَفْصَحَ الْعُلَمَاءِ يَا مَنْ لِأَسْرَارِ دِينِ اللَّهِ قَدْ فَهَمَا

ولنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي قصيدة ذمَّ بها أعداء ابن تيمية ومناوئيه، استهلها بالصبر مذكراً للشيخ بأهميته وفضله، في قوله⁵:

(البيسط)

فَأَصْبِرْ فِي الصَّبْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ حَيْلٍ وَكُلُّ صَعْبٍ إِذَا صَابَرْتَهُ هَانَا

أما المقطوعات، فقد كان لابن بُوخَيْخ ثلاث منها قالها في غير حادثة. أمَّا المقطوعة الرابعة فجاءت على لسان العلامة أثير الدين أبي حيان حين دخل ابن تيمية

¹ انظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبا عبد الله محمد بن أبي بكر: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" القصيدة النونية"، عُنِيَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمِيرِ، ط1، الرياض: دار ابن خزيمة، 1996، ص7.

² المصدر نفسه، ص19.

³ هو شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الغني بن أبي بكر بن الدريني البعلبي الحنبلي، أبو الطاهر، ولد سنة 676هـ، وتشير بعض المصادر أنه ولد 786هـ، وتوفي سنة 735هـ، وتشير المصادر أنه كان رجلاً متواضعاً، سليم الصدر، يحب الخير. انظر: تاريخ ابن الجزري، 3/803. الدرر الكامنة، 1/194.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 588.

⁵ المصدر نفسه، ص 313.

مصر¹، وهي من أشهر ما قيل في ابن تيمية، أشار فيها إلى صفاته و قدرته العلمية الدينية، جاعله الإمام المنتظر، الذي انتهت على يديه البدع وأُخمدت الشرور².

وهناك أبيات لابن الزمكاني في الثناء على ابن تيمية وصفاته، سارت مسير الشمس وسط السماء، وأكد قصور الشعراء والأدباء عن الإمام بصفاته لوفرتها، ذاكراً أن الله جعله حجةً في عصره، ومعياراً للحق والباطل في زمنه، فقال³:

(الكامل)

مَاذَا يَقُولُ الْوَاصِفُونَ لَهُ وَصِفَاتُهُ جَاءَتْ عَنِ الْحَصْرِ
هُوَ حُجَّةٌ لِلَّهِ قَاهِرَةٌ هُوَ بَيِّنَاتٌ أُعْجِبَتْهُ الْعَصْرِ
هُوَ آيَةٌ فِي الْخَلْقِ ظَاهِرَةٌ أَنْوَارُهَا أُرِيَتْ عَلَى الْفَجْرِ

وهناك قصائد لا يُعرف قائلوها وأخرى ضائعة، فقد أثبت ابن عبد الهادي خمس مراتٍ مجهولة القائل⁴، ونستدلّ على ضياع بعضها من خلال ورود ذكر لشعراء في ترجمة الصفدي السابقة، وعدم العثور عليهم وعلى قصائدهم⁵. وأيضاً حضور ابن تيمية بين مدح أو ذم في

¹ الصفدي: الوافي بالوفيات، 327/4. أعيان العصر، 247/1. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 502/4. المقرئزي: المقفى الكبير، 469/1، 470. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 162/1. ابن العماد: شذرات الذهب، 83/6. الشوكاني: البدر الطالع، 70/1. ابن الأوسى البغدادي، نعمان خير الدين: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، (د.ط.)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت.)، ص12.

² انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 341/5. الصفدي: الوافي بالوفيات، 327/4. أعيان العصر، 247/1. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 502/4. المقرئزي، تقي الدين: المقفى الكبير، 469/1، 470. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 162/1. ابن العماد: شذرات الذهب، 83/6. الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (د.ط.)، بيروت: دار المعرفة، (د.ت.)، 70/1. ابن الأوسى البغدادي: جلاء العينين، ص12.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 448. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 340/5. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 410/2. الصفدي: أعيان العصر، 247/1. ابن كثير: البداية والنهاية، 143/13. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 502/4. المقرئزي: المقفى الكبير، 469/1. ابن العماد: شذرات الذهب، 82/6_83. الكرمي، مرعي بن يوسف: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ط2، الأردن: دار الفرقان، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985، ص38.

⁴ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، فصل "قصائد في مدح الشيخ وراثته"، ص553. ص574. ص575. ص585. ص586

⁵ فقد ورد في ترجمة الصفدي السابقة ذكرٌ لاسم الشاعر شمس الدين ابن الصايغ، و شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادي بابن الأبرادي الحنبلي، لكن لم أعتز على قصائدهم.

بعض التراجم، ومثال ذلك ما ذُكر عنه في ترجمة محمد بن العلاء البخاري العجمي الحنفي¹: " واتفقت له حوادث بدمشق منها أنه كان يُسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها، فيجيب بما يظهر له من الخطأ، وينفر عنه قلبه إلى أن استحکم ذلك عليه فصرح بتبديعه ثم تكفيره...، قال في ابن تيمية ما قال²، ومما جاء أيضاً في الصّدّد ذاته ترجمة محمد بن يحيى بن أحمد بن دغرة الشمس الدمشقي الطرابلسي الشافعي³: " وهو الذي قام على السراج الحمصي⁴ بسبب نظمه للقصيدّة التي نظمها في الانتصار لابن تيمية وتكفير من كفره فتعصب عليه صاحب الترجمة وكفره⁵، ولكنها لم تصل.

ثانياً: صورته في النثر

أما الفنون النثرية التي تناولت ابن تيمية، فقد تعددت بين سيرٍ غيرية ورسائل ورحلات ونثرٍ فنيٍّ، أمّا السيرُ الغيرية التي أنجزت عنه، فهناك سيرتان كتبنا بقلم تلميذيه بعد وفاته، السيرة الشهيرة " العقود الدرّية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي، وقف فيها على حياته كاملة، بدءاً من مولده إلى وفاته،

¹ هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد البخاري العجمي الحنفي، علاء الدين، ولد سنة 779هـ، وتوفي سنة 841هـ، وكان عالم وقته في فنون كثيرة، وكان قائماً في الحق ومصالح المسلمين، ملازماً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2002، ج2، ق5، ص32. ابن العماد: شذرات الذهب، 241/7. الشوكاني: البدر الطالع، 260/2.

² الشوكاني: البدر الطالع، 261/2_262.

³ هو محمد بن يحيى بن أحمد بن دغرة بن زهرة الشمس الدمشقي الطرابلسي الشافعي، ويُعرف بابن زهرة بضم الزاي. ولد 758هـ، يقول السخاوي ولد سنة ستين هـ، وتوفي سنة 848 هـ. وكان عالماً فاضلاً، بارعاً في الفقه والتفسير. انظر: الشوكاني: البدر الطالع، 260/2. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع، (د.ط)، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، 70/9.

⁴ السراج الحمصي: هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ابن شهاب الدين بن عبد الخالق العسقلاني الشافعي البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص سراج الدين، ولد سنة 724هـ وتوفي سنة 805هـ، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. وانتهت إليه رياسة العلم في الأرض. انظر: المقرئزي، تقي الدين أبا العباس أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997، 93/6. ابن العماد: شذرات الذهب، 51/7. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، 46/5.

⁵ الشوكاني: البدر الطالع، 277/2.

مروراً بالأحداث والوقائع التي عاشها الشيخ، وحصر فيها أيضاً ما قيل فيه من قصائد¹. والثانية للحافظ أبي حفص عمر بن علي البزّار² بعنوان "الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، حققها صلاح الدين المنجد، تناول فيها حياته أيضاً مرتبة على فصول، ذكراً ولادته ونشأته، ووقف على سماته الأخلاقية والدينية والعلمية والاجتماعية³. وترجم الإمام الذهبي لابن تيمية في غير مؤلف له، أشهرها ما كتبه في "الدرة البتيمة في السيرة التيمية"، حققها خالد الربيعي، وجمع معها تراجم الذهبي لشيخ الإسلام ابن تيمية التي كتبها جُلّها في حياة الشيخ من مصنفاته كافة، وما قاله في رثاء الشيخ التيميّ وبعض أشعاره، وما ذكره الذهبي عنه في كتبه وسؤالاته، وسماعات الذهبي من ابن تيمية في مؤلف عنونه "ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي" فبات أشبه ما يكون بالسيرة الغيرية لابن تيمية⁴.

أمّا الرسائل، فقد كتب عماد الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزّامين⁵، رسالة مسماة "التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار"، وهي رسالة كتبها لخواص أصحاب الشيخ في الثناء عليه، والوصاية باتباعه وتعظيمه⁶.

¹ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 721_728.

² هو عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، سراج الدين أبو حفص الأرجي البزّار، الفقيه المحدث، ولد سنة 688هـ وتوفي 749هـ، عني بالحديث وقرأ الكثير، وكان حسن القراءة ذا عبادة وتهجد، جالس ابن تيمية وصنف كثيراً في الحديث والعلوم، ومات بمرض الطاعون. انظر: ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 148_146/5. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 256/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 163/6. البزّار: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، حققه صلاح الدين المنجد، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976، ص5_7.

³ انظر: البزّار: الأعلام العلية، ص19.

⁴ انظر: الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية للمؤرخ الحافظ الذهبي، تحقيق خالد بن سليمان بن علي الربيعي، ط1، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013.

⁵ ابن شيخ الحزّامين: هو أحمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود الواسطي، عماد الدين أبو العباس المعروف بابن شيخ الحزّامين. ت. 711هـ، وكان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشأن، منقطعاً إلى الله تعالى، معاصراً ابن تيمية. انظر: ابن إبراهيم الواسطي، عماد الدين أحمد: التذكرة والاعتبار والانتصار لأبرار، تحقيق عبد الحميد علي حسن علي، ط1، السعودية، مكتبة ابن الجوزي، 1988، ص12. ابن العماد: شذرات الذهب، 24/6.

⁶ انظر: الواسطي: التذكرة والاعتبار، ص12. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 504، 505/4.

وكتب الشيخ أحمد بن محمد بن مُرّي الحنبلي¹ رسالةً إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، يوصيهم أيضاً باتباعه واحترامه، ويذكرهم بأن الله حي لا يموت، ويحثهم على المحافظة على مؤلفات الشيخ ومصنفاته، مشيراً إلى أنها خير ذخيرة للإسلام وأهله².

وكتب أبو الفتح ابن سيّد النَّاس اليَعْمَري³ رسالةً يجيب فيها عن سؤالات ابن أبيك الدميّاطي⁴ يوضح فيها جوانب من حياة الشيخ العلمية والدينية، ويشير إلى تتابع المحن وتأيد الله الله له في الوقت ذاته⁵.

وهناك رسالة أرسلها عبد الله بن حامد أحد علماء الشافعية⁶ إلى أبي عبد الله ابن رشيق⁷ رشيق⁷ في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية، يكشف فيها عن منهجه في عزو الحق، وردّه إلى إلى أئمة السنة والسلف الصالح⁸.

¹ هو أحمد بن محمد بن أبي العيش بن يربوع المرّي السبّتي، شهاب الدين أبو العباس البعلبكي. كان في مبدأ حاله منحرفاً عن الشيخ ابن تيمية، وممن يحط عليه، إلى أن اجتمع به فمال له، وأحبه ولازمه مدة. كان كبير المنصب، غاية في الوقار وحسن السمات والتعاطف. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 388/1. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 311/1.

² ابن مرّي الحنبلي، أحمد: "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مرّي الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية"، انظر: محمد عزيز شمس، علي بن محمد العمران: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، إشراف وتقديم بكر ابن عبد الله أبي زيد، ط2، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1422هـ، 151_158.

³ ابن سيّد النَّاس اليَعْمَري الشافعي: هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى، فتح الدين أبو الفتح، ولد سنة 671هـ، وتوفي سنة 734هـ. كان أحد أعلام الحفاظ، وإمام أهل البلاغة، إماماً حافظاً ومصنفاً بارعاً، وكان طيب الأخلاق ذا كرم وبذل. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة الثامنة، 330/4. ابن العماد: شذرات الذهب، 108/6.

⁴ ابن أبيك الدميّاطي: هو أحمد بن أبيك بن عبد الله الحسامي الدميّاطي، أبو الحسين شهاب الدين بن عز الدين الشافعي الجندي، عُرف بابن الدميّاطي نسبة إلى جده لأمه، ولد سنة 700هـ، وتوفي سنة 749هـ، حدّث وهو شاب، وكتب بخطه، وقرأ بنفسه، وحصل الأصول والفروع، وانتقى على الشيوخ، وحفظ ألفية ابن مالك. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، 260/6_261. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 116/1.

⁵ ابن سيّد النَّاس: "أجوبة ابن سيّد النَّاس اليَعْمَري عن سؤالات ابن أبيك الدميّاطي"، انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، 188_190.

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

⁷ ابن رشيق: هو عبد الله بن رشيق المغربي، كاتب مصنفات الشيخ ابن تيمية، وكان ديناً عابداً كثير التلاوة وحسن الصلاة. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 241/14.

⁸ ابن رشيق: "رسالة من عبد الله بن حامد أحد علماء الشافعية إلى أبي عبد الله (ابن رشيق) في الثناء على شيخ الإسلام"، انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 241_245. ابن تيمية: مقدمة درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991، 43_40/1.

وكتب خادم شيخ الإسلام إبراهيم بن أحمد الغياني¹ فصلاً فيما قام به الشيخ ابن تيمية وتفرد به، وذلك في تفسير الأحجار التي كان يزورها الناس ويتبركون بها، ونهى عن إتيان المشاهد وتعظيمها، وأمر بتعظيم المساجد، فقد سلط فيه الضوء على محاربتة وتصديّه للبدع والمنكرات².

وفي أدب الرحلات، تناولت رحلة "تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المعروفة برحلة ابن بطوطة "لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي"³ الحديث عن ابن تيمية، تيمية، تحدث فيها عن مقابلته إياه في دمشق.

وإضافة إلى ذلك هنالك العديد من التراجم المتتاثرة بين بطون كتب التاريخ وتراجم الأعيان، منها ما جاء بأسلوب أدبيّ نثريّ، ومثال ذلك ما جاء في موسوعة "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ومؤلف ابن فضل الله العمري "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ونثر الصفدي في مؤلفه "الوافي بالوفيات" و"أعيان العصر وأعيان النصر"، وما كتبه أحمد بن محمد بن علي الفيومي⁴ في مخطوطة "نثر الجمان في تراجم الأعيان"⁵، وأيضاً ما كتبه عباس بن علي بن داود بن

¹ لم أعثر على ترجمة له.

² الغياني، إبراهيم: "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به، وذلك في تفسير الأحجار". انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، 132_150.

³ ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن يوسف اللواتي الطنجي، شمس الدين أبو عبد الله المغربي المعروف بابن بطوطة، ولد سنة 703هـ، وتوفي سنة 779هـ، وقبيلة لواتة التي ينتمي إليها قبيلة بربرية كبيرة تعرف في لسان البربر باسم "إيلواتن"، قام ابن بطوطة بثلاث رحلات واسعة النطاق، جاب فيها أكثر ما عرف في زمانه من البلاد. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 4/100. البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، بيروت: مكتبة المثني، 1951، 6/169.

⁴ هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس المقرئ اللغوي المصري، توفي سنة 770هـ، وُلِد ونشأ بالفيوم بمصر، وكان فاضلاً عارفاً بالفقه واللغة، وكان يخطب بجامع حماه، اشتهر بكتابه "المصباح المنير في غريب الشرح للرافعي"، انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 1/334. جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة، 1/170. الزركلي، الأعلام، 1/224. البغدادي: هدية العارفين، 5/113.

⁵ الفيومي، أحمد: "نثر الجمان في تراجم الأعيان" انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 402_403.

رسول¹ في " نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون"²، وما كتبه العلامة حسن بن عمر بن الحسن بن الحبيب³ في مؤلفيه " تَذَكْرَةُ النَّبِيِّ فِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ وَبَنِيهِ"⁴ و " دُرَّةُ الْأَسْلَافِ فِي دَوْلَةِ الْأَنْرَاقِ"⁵.

وهكذا يتضح أنَّ الأدب الذي خُلد الشيخ ابن تيمية وتناول شخصيته من جوانبها المختلفة كان كثيراً ومتنوع الفنون، فاستحق دراسة علمية مستقلة شاملة تجلي صورته وتقدمها للقراء.

¹ هو عباس بن علي داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول التركماني اليماني، المعروف بالملك الأفضل توفي سنة 778هـ، وكان ملكاً شهماً، يقظاً حازماً، عازماً أياً ذكياً، فقيهاً مشاركاً للعلماء في عدة فنون من العلم، عارفاً بالنحو والآداب، واللغة والأنساب، وسير العرب والملوك، وكان كريماً جواداً، شجاعاً جلدًا شديد البأس، وله مآثر دينية، فقد أنشأ مدرسة في مدينة تعز، وأخرى بمكة. انظر: ابن حجر العسقلاني: **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986، 210/1_211. ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، (د.ط)، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية، 1963، 11/115. ابن العماد: **شذرات الذهب**، 257/6. الخزرجي، علي بن الحسن: **العقود الأولوية في تاريخ الدولة الرسولية**، عني بتصحيحه محمد بن علي الأكوغ الحوالي، ط2، اليمن: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983، 134/2_138.

² ابن رسول، عباس بن علي: " نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون". انظر: **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية**، 449، 450.

³ هو الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب بن عمر بن شويخ، القاضي بدر الدين الدمشقي الحلبي، ولد سنة 710هـ، وتوفي سنة 779هـ، وكان محباً للآداب، فاضلاً كميّاً، وأخذ عن ابن نباته وغيره، وباشر نيابة القضاء وكتابة السر. انظر: ابن تغري بردي: **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، 115/5_119. ابن حجر العسقلاني: **السُّرر الكامنة**، 113/2_115. الطباخ، محمد راغب: **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، صححه وعلق عليه محمد كمال، ط2، دمشق: دار القلم العربي، 1989، 68/72.

⁴ انظر: ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن بن عمر: **تذكرة النبيه في دولة المنصور وبنيه**، حققه ووضع حواشيه دكتور محمد أمين، راجعه دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة، 1982، ج2، 185_188. **الجامع لسيرة شيخ الإسلام**، 453_456.

⁵ انظر: **الجامع لسيرة شيخ الإسلام**، 457_460.

الفصل الأول

نسب ابن تيميّة، وبعض صفاته

نسب ابن تيمية

وقفت المصادر الأدبية على اسم ابن تيمية ونسبه، فأجمعت أنه " أحمد بن عبد الحلیم¹ ابن عبد السلام² بن عبد الله بن أبي القاسم³ بن الخضر بن محمد⁴ ابن تيمية⁵؛ المكنى بأبي العباس، الملقب بـ " تقي الدين"، المنعوت " شيخ الإسلام"⁶ ⁷.

¹ هو عبد الحلیم بن الشيخ عبد السلام بن عبد الله بن أبي البركات بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، شهاب الدين ابن تيمية الحراني، ولد سنة 627هـ، وتوفي سنة 682هـ، مُفتي الفرق، الفارق بين الفرق، وكانت لديه فضائل كثيرة. انظر: البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين: **المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية 2006، ج1، ق2، ص38، 39. ابن كثير: **البدایة والنهاية**، 320/13.

² هو عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد علي، مجد الدين أبو البركات ابن تيمية الحراني الحنبلي، ولد سنة 590هـ، توفي سنة 652هـ، المقرئ المحدث المفسر الأصولي النحوي شيخ الإسلام وفقه الوقت، وأحد الحفاظ الأعلام. انظر: **الكتبي: فوات الوفيات**، 323/2. ابن رجب: **الذيل على طبقات الحنابلة**، 9_1/4. ابن العماد: **شذرات الذهب**، 257/5.

³ هو عبد الله بن أبي القاسم بن عبد الغني، شرف الدين أبو البركات ابن تيمية، ابن خطيب حران، ولد سنة 630هـ، توفي 712هـ، كان صالحاً وعدلاً تقياً، وتوفي بدمشق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة. انظر: **الصفدي: الوافي بالوفيات**، 5/18. ابن حجر: **الدرر الكامنة**، 314/2. ابن العماد: **شذرات الذهب**، 30/5.

⁴ ابن الخضر: هو محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله، فخر الدين أبو عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي الواعظ المفسر صاحب الخطب، شيخ حران وعالمها، ولد سنة 542هـ، وتوفي سنة 622هـ، كان إماماً في الفقه، وفي التفسير وفي اللغة، ولي خطاباً بلده ودرّس ووعظ وأفتى. انظر: **الصفدي: الوافي بالوفيات**، 142/2. ابن رجب: **الذيل على طبقات الحنابلة**، 338_321/3.

⁵ ابن تيمية: اختلف في سبب تسميته ابن تيمية، فذكرت بعض المصادر أن جدّه حج وله امرأة حامل، فلما كان بتيماء رأى طفلة قد خرجت من خباء، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد ولدت بنتاً، فلما رآها قال: يا تيمية! يا تيمية! فلُقّب بها. وأحالت بعضها سبب تسميته أن جدّه كانت أمّه تسمى تيمية، وكانت واعظة فنسب إليها وعُرف بها. انظر: ابن المستوفي الأربلي، **المبارك بن أحمد بن المبارك**، المعروف بابن المستوفي (ت637هـ): **تاريخ إربل (المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل)**، حققه وعلّق عليه: سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد: وزارة الثقافة والأعلام، 2/117/1980. **الصفدي: الوافي بالوفيات**، 142/2.

⁶ **المقريزي: المقفّي الكبير**، 454/1.

⁷ وذكر ابن فضل الله العمري، وقد انفرد بذلك، أن اسمه أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النيميري الحرانيّ الدمشقيّ الحنبلي، انظر: ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار**، 335/5، 334. ابن عبد الهادي: **العقود الدرية**، ص3، 4. الذهبي: **ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية للمؤرخ الحافظ الذهبي**، ص31. زين الدين ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي**، 406/2. **الكتبي: فوات الوفيات**، 74/1. **الصفدي: الوافي بالوفيات**، 316/4. **أعيان العصر**، 233/1. **الفيومي: نثر الجمان في تراجم الأعيان**، الجامع لسيرة ابن تيمية، ص402. ابن كثير: **البدایة والنهاية**، 141/13. ابن رسول: **نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون**، الجامع لسيرة ابن تيمية، ص449. **الحسن بن الحبيب: تذكرة النبيه**، 185/2. ابن رجب: **الذيل على طبقات الحنابلة**، 529_493/5. **المقريزي: المقفّي الكبير**، 454/1. **السلوك**، ج2-ق1، ص304. ابن حجر العسقلاني: **الدّرر الكامنة**، 154/1. ابن العماد: **شذرات الذهب**، 80/6. ابن الشوكاني: **البدر الطالع**، 63/1.

واتفقت على أن نسبته الحرانيّ الدمشقيّ الحنبليّ؛ أمّا الحرانيّ، فلأن أصله من حرّان¹، ومولده بها²، وأمّا الدمشقيّ وذلك لأنه هاجر مع والده وإخوته إلى دمشق، سنة سبع وستين وستمئة، عند ظهور التتر واستيلائهم على البلاد، فنشأ وترعرع في دمشق، وتلقى العلم على يد علمائها وشيوخها³، وأمّا الحنبليّ فلأن مذهبه هو مذهب أحمد بن حنبل. وكان لاسمه ونسبه نصيب من ثناء الشعراء وتفاخرهم به، فهذا صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، يؤكد أن له من اسمه ولقبه نصيباً في حفظ دين المسلمين، كما يتضح في قوله⁴:

(الخفيف)

يا تقيّ الدّينِ الذي صدقتُ فيهِ ————— ه وحَقَّتْ مَخايِلُ الأَباءِ
عِنْدَ تَلْقِيهِه كَذَلِكَ قَدْ كُنْ ————— تَ وَسُمِّيَتْ أَحْسَنَ الأَسْماءِ

ويجعله الشاعر نجم الدين إسحاق بن أبي بكر ابن ألمى التركي ذا نسب كريم، وبيت

عريق، في قوله⁵:

(الطويل)

فَذَاكَ فَتَى تَيْمِيَّةٍ، خَيْرُ سَيِّدٍ ————— نَجِيبٌ أَتَانَا مِنْ سُلالةِ مُنْجِبِ

¹ حرّان: هي مدينة قديمة عريقة عظيمة من ديار مُضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الوصل والشام والروم. وقيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من بناها ثم عربت، واسم حرّان يطلق على العديد من المدن والبلدات القديمة والحديثة في أنحاء سوريا، ولكن مدينة حران التي تقع في أعالي الجزيرة العربية السورية (جنوب تركيا حالياً) قرب منابع نهر البليخ بين الرها ورأس العين الأكثر شهرة تاريخية وحضارية. انظر: ياقوت الحموي، أبا عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، 217/2. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (د.ط.)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي: المؤسسة المصرية، (د.ت.)، 319/4. الجمهورية السورية العربية_هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، ط1، دمشق، 2003، 137/8.

² انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 335/5. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 406/2. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 154/1. الشوكاني: البدر الطالع، 63/1. ابن الأوسى: جلاء العينين، ص5.

³ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 493/4. ابن العماد: شذرات الذهب، 80/6. الأوسى: جلاء العينين، ص5. الكرمي: الكواكب الدرية، 52.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 482.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص454. الكرمي: الكواكب الدرية، ص74.

ولم تغب رفعة الأسرة التيمية عن زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردى، فقد صور سموهم وسمو زمانهم بهم، فقال¹:

(الوافر)

بَنُو تَيْمِيَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا نَجْمَ الْعِلْمِ أَدْرَكَهَا أَنْهَبَاطُ

ويفتخر أحدهم بانتساب شيخ الإسلام إلى آل تيمية، ويعتد بمنزلتهم الرفيعة، وسيرتهم المشرفة، مؤكداً أنّ الشيخ وريث هذا المجد فاستخدم أسلوب الاستفهام التعجبي، والأمر وتكراره " اطرب" و " قل"، في جذب انتباه السامع أيضاً، وزاد من جمال البيتين تأثره بالقرآن الكريم في قوله تعالى { اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي }² في قوله³:

(البسيط)

إِنْ قِيلَ مَنْ هُوَ؟ فَاطْرَبْ عِنْدَ ذَاكَ وَقُلْ: نَجَلْ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ فَاشْدُدْ بِهِ عَضُدَا

أَوْ قِيلَ: مَنْ وُلِدَ مِنْ هَذَا الْكَرِيمِ؟ فَقُلْ: مَنْ وُلِدَ مَجْدٍ عَلا، أَكْرَمَ بِهِ وَكَدَا

ويشيد قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ بمكانة والد ابن تيمية ومنزلة أخيه،

بقوله⁴:

(الكامل)

عَبْدُ الْحَلِيمِ أَبُوهُ سَيِّدُ عَصْرِهِ وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ⁵ حَبْرُ ثَانِ

¹ ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، 407/2. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 467.

² سورة طه، آية 31.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 553، 554.

⁴ المصدر نفسه، 461.

⁵ هو عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرانيّ الحنبليّ، شرف الدين، وهو أخ ابن تيمية تقي الدين، ولد سنة 666هـ، وتوفي 727هـ، قبل وفاة أخيه تقي الدين بسنة، وصلى عليه أخواه تقي الدين وزين الدين عبد الرحمن. كان عارفاً بالحديث والفقه والعربية، عالماً بالتاريخ، سمع على كثير من المشايخ والعلماء وتفقه ودرس. انظر: الجزري، تاريخ ابن الجزري، 214/2. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 226/2. ابن حبيب: تذكرة النبيه، 178/2.

وذكرت المصادر أن ولادة ابن تيمية كانت يوم الإثنين العاشر من ربيع الأول في حرّان، سنة إحدى وستين وستمائة، حفظ القرآن وتفقّه فيه، وعُني بالحديث عناية كبيرة، وسمع العديد من الكتب وبرع باللغة، وقرأ بنفسه، ونظر في الرجال والعلل¹.

بعض صفات ابن تيمية

تحدث الأدب الذي تناول ابن تيمية عن صفاته، فلا تكاد تعثر على قصيدة أو نثر أو ترجمة إلا وتغنّت بخصاله الحميدة، ولعلّ هذا الأدب بشقيّه، المنتثر والوارد بين أبيات القصائد وبطون النصوص، يكشف عن سمات ابن تيمية، ويُقدّم تصوّرًا عن حياته وخصاله في أذهان الأدباء وخيالهم في ذلك العصر، وقد تنوعت وتعددت، ويمكن إجمالها في الآتي: _

أولاً: كرمه

إنّ الكرم من الخصال الأصيلة التي يمجدها العرب، فما زالت تحتل مكانة عظيمة في البعد الإنساني؛ وذلك لكونها تكشف عن حقيقة النفس وعزّتها و صفات الخير فيها. وهي من السمات التي ميّزت ابن تيمية من غيره، فقد أقرّ تلميذه البزّار أنّ الكرم فيه سجية مُترسّخة، في قوله: " كان رضي الله عنه مجبولاً على الكرم، لا يتطبعه ولا يتصنّعه، بل هو له سجيّة "2، وهذا ما صوّره بدر الدين المارداني، الذي أكدّ أنّ كرمه من العادات التي ألفها منذ نعومة أظافره، فقال³:

(الطويل)

فَتَى أَلْفَ الْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ عَادَةً تَعَوَّدَهَا طِفْلاً، وَكَانَ بِهَا أَحْرَى

وتكشف سيرة ابن تيمية أنّه كان دائمَ العطاء، وتنضح معالم كرمه وتبدو قيمته في أصعب الظروف، حين يُسأل وهو غير مالك، وقد خصص البزّار الفصل العاشر من سيرته

¹ انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، 4/316. أعيان العصر، 1/233. المقرئزي، المقفى الكبير، 1/454. ابن ناصر الدين الدمشقي: الرد الوافر، 50. الكرمي، الشهادة الذكيّة، 23.

² البزّار: الأعلام العلية، ص59.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص576.

للحديث عن كرمه، وأورد غير مثال في هذا الصدد، يؤكد فيها حرصه على نفع أخيه و
مؤازرته، وعلى سبيل الذكر، يروي أنه حدثه من يثق به من الثقات، أن الشيخ خلال مروره في
أحد الأزقة، وجد فقيراً محتاجاً لم يملك غير الدعاء، فأدرك الشيخ حاجته، إلا أنه لم يكن لديه ما
يدفعه له، فقام بنزع ثوبه وقدمه له، قائلاً: بعُه وسِدَّ حاجتك¹. وأكدت الأبيات الشعرية التي
تناولت كرم ابن تيمية ذلك، وبيّنت أن عطاءه كان مع قلة ذات اليد، خالصاً لوجه الله تعالى،
ويتجلى ذلك في قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الأصل الدمشقي الحريري، المعروف
بالمتمم²:

(الطويل)

يَجُودُ عَلَى الْمَسْكِينِ فِي حَالِ عُسْرِهِ بِأَطْمَارِهِ³ فِي حُبِّ بَارِي الْبَرِيَّةِ

ويؤكد قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الأصل الدمشقي الحريري، المعروف
بالمتمم هذه السجية في قصيدة أخرى، إذ قال⁴:

(البيسط)

يَجُودُ وَهُوَ فَقِيرٌ إِنْ ذَا عَجَبٌ هَذَا الَّذِي مَا سَمَعْنَا فِي الْحَايَاتِ

وتبدو في البيتين السابقين، صورة يده معطاءة، تفيض على من حوله، في أحلك الأوقات
وأعسرهما، وقد دلت الشاعر على ذلك بغير لفظة، وذلك كان موطن تعجبه بوصفه حاله قائلاً: "
وهو فقير". وكرر ذكر هذه الصورة، لبيّن أن عطاءه عطاء كبير، تجلّى في وقت يندر فيه
العطاء، ويشحُّ الكرم، مؤكداً أن الشيخ صاحب اليد البيضاء. وقد أسهم الفعل المضارع الدالّ
على الاستمرار والديمومة في تثبيت المعنى وإيحاء المتلقي بصورة تامة المعنى.

¹ انظر: البزار: الأعلام العلية، ص61.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 530. الكرمي: الكواكب الدرية، ص225.

³ أطمار: من الطمر: وهو الثوب الخلق، وخص ابن الأعرابي به الكساء البالي من غير الصوف. انظر: ابن منظور،
جمال الدين أبو الفضل بن مكرم: لسان العرب: ط1، بيروت: دار صادر، (د.ت)، مادة "طمر".

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 536. الكرمي: الكواكب الدرية، 230

ويُسجَلُ البزّارُ حادثةً أُخرى يُظهر فيها تعجب بعض الناس من كرمه ولومهم له؛ وذلك في قوله: "وحدّثني مَنْ أثقُّ به -أيضاً- أن الشيخ، رضي الله عنه، كان لا يردُّ أحدًا يسأله شيئاً من كتبه، بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما شاء منها. وأخبرني أنه جاءه يوماً إنسان فسأله كتاباً ينتفع به، فأمره هو أن يأخذ بنفسه ما شاء منها. فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشترى بدراهم كثيرة. فأخذه ومضى. فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك. فقال: لا يحسن بي أن أمنعه بعد ما سأله. دَعَه، فلينتفع به" ^{1 2}، فإنَّ هذه الحادثة تومئ إلى إخلاصه في عطائه. ويبدو ويبدو صدى ذلك جلياً في الشعر أيضاً، فهذا تقي الدين، محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي البغدادي صورّه لا يردُّ أحدًا، ولا يمنع سائلاً، بل يُقدِّم ويعطي مما لديه، مشيراً أيضاً إلى أمره بالصلاح، وحرصه على العدل، فيقول ³:

(الكامل)

ويَجُودُ بالموجودِ منه، ويُرشِدُ الـ _____ جَنَفٌ⁴ العَصِيَّ بهديه ويقوم

ويكرّر هذه الصورة علاء الدين ابن الغانم، لبيّن أنّ الكرم التيميّ الغاية التي ينتهي إليها المبتغون، قائلاً⁵:

(الخفيف)

ولِعَافٍ، قَدْ جَاءَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْرِ _____ رِ لَدَيْهِ يَنَالُ كُلَّ مَرَامٍ

ويُدلّل زين الدين عمر بن الحسام الشبلي على حرص ابن تيمية على العطاء، إذ جعل حياته شبيهة بحياة الفقراء، إلا أنّ عطاءه يضاها عطاء الملوك، إذ قال ⁶:

¹ البزار: الأعلام العلية، ص 62.

² وقد أورد البزار في سيرته غير حادثة تثبت كرمه وعطاءه، للمزيد انظر: البزار: الأعلام العلية، ص 59_62.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 521. الكرمي: الكواكب الدرية، ص 218.

⁴ الجنف: الميل والجور، ابن منظور: لسان العرب، مادة "جنف".

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 463. الصفدي: الوافي بالوفيات، 4/328. أعيان العصر، 1/249. الكرمي:

الكواكب الدرية، ص 191.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 493_495. الكرمي: الكواكب الدرية، ص 199_201.

(الكامل)

مَنْ كَانَ لَا يَنْتَهِ لَطَالِبِ جُودِهِ حَتَّى يُبَلِّغَهُ لِكُلِّ رَجَاءٍ
مَنْ جَاءَ يَسْأَلُهُ يُشَاهِدُ عِنْدَهُ بِذَلِكَ الْمَلُوكِ وَعَيْشَةَ الْفُقَرَاءِ

وأشاد زين الدين عمر بن الحسام الشُّبْلِيَّ بكرمه في غير موطن من قصيدته، مشيراً
أيضاً إلى إكرامه الضيوف والتائمين بعميم عطائه، فقال¹:

(الكامل)

الْوَاهِبُ الْمَالِ الْجَزِيلَ وَغَامِرُ الضُّ — ضَيْفِ النَّزِيلِ بِوَأْفْرِ النَّعْمَاءِ

ويبين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني² أن كرمه نعمة خصّه الله بها، وأنه كان كريماً
كريمًا إلى أبعد غايات الكرم، وهو استنزافه واستنفاده ما يملك، حتى بلغ به الأمر تقديم الجواهر
والدرر النفيسة إن توافرت لديه لسائليه وقاصديه، فقال: " خصّه الله بكرم يستقل الدنيا لوافده،
ويستنزر الكبريت الأحمر³ لقاصده"⁴.

وقد أثنى الذهبي على ابن تيمية وعطائه في غير مؤلف من مصنفاته مؤكداً فرط كرمه،
وبلوغه القمة في البذل والعطاء⁵، ومصرحاً بتفرده في بقوله: " كان عليه من الكرم الذي لم
أشاهد مثله قط"⁶، ويؤيده ابن عبد الهادي في ذلك جاعله مثلاً يُحتذى به، في قوله: " وهو أحد

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 494. الكرمي: الكواكب الدرية، 200.

² عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف بن عبد المجيد اليماني، تاج الدين
المخزومي. ولد سنة 680هـ، وتوفي سنة 743هـ، كان من أعيان الأدباء نظماً ونثراً، وله قصائد وخطب بليغة
وفوائد وفنون، وله اشتغال في العلوم من الفقه والأصول. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، 2328/18. ابن حجر
العسقلاني: الدرر الكامنة، 423425/2.

³ الكبريت: الذهب الأحمر، والياقوت الأحمر. الكبريت الأحمر: الجَوْهَرُ. انظر: مرتضى الزبيدي، محمد الحسيني(ت
1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى الحجازي، (د.ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت)،
ج5، مادة "كبرت".

⁴ اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد: " لقطه العجلان في مختصر وفيات الأعيان" الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية،
ص 247.

⁵ انظر: الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام لابن تيمية، 134، 135، 137.

⁶ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به مازن بن سالم باوزير، (د.ط)، الرياض: دار المغني، (د.ت)، 53 / 326. الذهبي:
ترجمة شيخ الإسلام لابن تيمية، ص 130.

الأجواد الأسخياء الذين يُضْرَبَ بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس"¹، و قول الواسطي في رسالته: " أسخاهم كفاً"²، ويأتي قول ابن فضل الله العمري: " كان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى، فينفقه جميعه آلافاً ومئتين، لا يلتبس منه درهماً، ولا يُنفقه في حاجته"³، وقول الجزري: " كنت أراه يتصدّق على الفقراء والمساكين، وكان فيه النفع المتعدي إلى أكثر الناس"⁴ شاهداً على ذلك، وتلك الصورة المشرقة ارتسمت في خيال الشعراء أيضاً، فأنتشد شهاب الدين، محمد أبو الطاهر البجلي الحنبلي أبياتاً تصوّر حاله في زمنه، تبدو فيها آثار جوده جليّة، إذ بدا باسط اليد في أبواب الخير والإحسان تارة، متسابقاً في الجود والعطاء، نافياً عنه اللؤم والشح والبخل تارة أخرى، فقال⁵:

(البسيط)

وَكُنْتُ أَحْرَصَ خَلْقَ اللَّهِ كُلِّهِمْ عَلَى التَّأَلْفِ، تُعْطِي الْفَضْلَ وَالنَّعْمَا
وَلَسْتُ خَبِيئاً⁶ لثِيماً بَاخِلاً شَرِهاً لَكُنْ تَقِيئاً، نَقِيئاً، سَيِّدَ الْكُرْمَا

واستوحى الشعراء صوراً تقليدية للتعبير عن جود ابن تيمية منها السحب، فعطاؤه غزير كعطائها، وهذا ما عبّر عنه مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، إذ قال⁷:

(الكامل)

مَا كَانَ إِلا دِيمَةً مَعْرُوفُها بِهَبَاتِها لِعُفَاتِها⁸ مِدرارُ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص33.

² الواسطي: التذكرة والاعتبار، ص44.

³ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 343/5. المقرئ: المقفى الكبير، 475. الكرمي: الكواكب الدرية، 86.

⁴ ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، 215/2.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 589.

⁶ الخبّ: الخداع والخبث والغش، ابن منظور: لسان العرب، مادة" خبب".

⁷ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 469.

⁸ العفاة: الأضياف وطلاب المعروف، وقيل هم الذين يعفونك أي يأتونك يكلبون ما عندك". انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة"عفا"

وصورَ شاعر آخر الشيخ بالمطر المنهمر من السحاب، مصوراً أثر هذا الغيث في
الروض وما ينتج عنه من اخضرار وروائح ذكية، فقال¹:

(الطويل)

هُوَ الْغَيْثُ يَنْثِي عَنْهُ كُلُّ لَطِيمَةٍ² مِنْ الرُّوضِ بَلْ تَزْكُو لِأَوْصَافِهِ نَشْرًا³

وجعل الصفدي مقام الممدوح في جوده يفوق الغيوم وعطاءها، وجعل البرق ساخرًا من
عطائها أمام جود ابن تيمية، بقوله: " هذا إلى كرم يضحك البرق منه على غمائه"⁴.

ومن الصور التقليدية صورة البحر، إذ صور الأدباء ابن تيمية بحرًا متلاطم الموج في
عطائه وجوده، وذلك لاتساعه واحتوائه على الخير العميم، وهذا ما يبدو في قول مجير الدين،
أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط⁵:

(الكامل)

مَا كَانَ إِلَّا بَحْرَ جُودٍ، كُفُّهُ تَيَّارُهُ بِنَوَالِهِ زَخَّارُ

وصور برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم ابن الكوشة العجمي
عطاءه وقد تجاوز البحر، لا من فيه و لا أذى، في قوله⁶:

(الطويل)

وَأَمَّا سَخَاءُ الْكُفِّ فَالْبَحْرُ دُونَهُ وَلَمْ يَكُ فِي بَذْلِ الْعَطَاءِ بِمَنَّا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 577.

² اللطيمة: المسك، ويُقال ضرب من الطيب، ابن منظور: لسان العرب، مادة "طم".

³ النَّشْرُ: الريح الطيبة. ابن منظور: لسان العرب، مادة "نشر".

⁴ الصفدي: أعيان العصر، 236/1.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 469.

⁶ المصدر نفسه، 491.

واستوحى الشعراء صورة النبع الصافي والماء النмир للتعبير عن جوده وكرمه، فبيّنوا أنه يغيض ولا ينضب في إشارة إلى استمراريته وتجده، كما يبدو في قول شمس الدين الحنبلي، إذ صورّ الناس طوائف على هذا النبع بين مرتوٍ، وقاصد الارتواء، فقال¹:

(البسيط)

قَدْ كَانَ ذَا مَوْرِدٍ عَذْبٍ لِقَاصِدِهِ وَالنَّاسُ تَصْدُرُ مِنْهُ ثُمَّ تَرْتَحِلُ

وقرن الأدباء ابن تيمية في كرمه بشخصيات تضرب بها الأمثال في الجود والعطاء، أمثال حاتم الطائي والبرامكة، فهذا زين الدين عمر بن الحسام الشبلي يزوج بينهم في بيت شعريّ واحد، مشيراً إلى تفوقه عليهم، إذ قال²:

(الكامل)

أَرَبَى عَلَى فَضْلِ الْبِرَامِكَةِ الْأُلى وَطَوْتُ مَكَارِمِهِ حَدِيثَ الطَّائِيّ

وأكد الصفدي ذلك، إذ صورّ تضاؤل عطاء حاتم الطائيّ أمام بذل ابن تيمية وعطائه، فقال: " وجود ما يصلح حاتم أن يكون في فصّ خاتمه"³.

ويتجلى ذلك عند شعراء آخرين، إذ صورّوه يسير على نهج البرامكة والطائي في العطاء والكرم، كما يبدو في قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الأصل الدمشقي الحريري، المعروف بالمتيم⁴:

(البسيط)

فِي جُودِهِ، مَا وَجَدْنَا مَنْ يُمَائِلُهُ غَيْرَ الْبِرَامِكِ كَانُوا فِي سَعَادَاتِ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 585 .

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 201.

³ الصفدي: أعيان العصر، 236.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 536. الكرمي: الكواكب الدرية، 230.

وقول الذهبي¹:

(البسيط)

وَجُودُهُ الْحَاتِمِي مُشْتَهَرٌ وَزُهْدُهُ الْقَادِرِي فِي الطَّمَعِ

ومن مظاهر كرم الشيخ، التي رسمها الأدب أيضاً، هيئته حال عطائه، فقد صور زين الدين عمر بن الحسام الشبلي إقباله على الناس ببزوغ الشمس وانتشار النور، مُدَلِّلاً في ذلك أنه منبلج الأسارير، بشوش الوجه، لطيف في التعامل معهم، فقال²:

(الكامل)

وَتَرَاهُ يُشْرِقُ وَجْهَهُ مُتَهَلِّلاً لِّلسَّائِلِينَ لَهُ شُرُوقُ ذَكَاءِ
بَادِي التَّبَسُّمِ عِنْدَ بَدَلِ نَوَالِهِ لُطْفاً إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ

وتغنى تقي الدين محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدقوقي في المعنى ذاته، فبين أنه مَنْ رَامَ نَفْعًا وَقَصْدَهُ، اسْتَبَشَرَ عِنْدَهُ بِالْغِنَى، قَائِلاً³:

(الكامل)

بَشَرٌ يُبَشِّرُ بِالْغِنَى مَنْ جَاءَهُ يُسْرٌ يَسُرُّ فَوَادَ عَانَ مُزْهِدِ

وتجاوز زين الدين عمر بن الحسام الشبلي المعنى فقد جعل كرمه إنساناً وصوره يتبع الفقراء ليعطيهم، فقال⁴:

(الكامل)

وَيَظَلُّ يَسْأَلُ جُودَهُ عَنِ سَائِلِ ذِي فَاقَةِ لِيَبْرَهُ بَعْطَاءِ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 552.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 494، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 200.

³ المصدر نفسه، 516. المصدر نفسه، 214.

⁴ المصدر نفسه، 494. المصدر نفسه، 200.

لذا أحبه الناس، وكان في مكانة قريبة من نفوسهم، كما يبدو في قول زين الدين عمر بن الحسام الشبلي¹:

(الكامل)

والجودُ يرفعُ أهله بين الورى أبداً ويهوي البخلُ بالبخلاءِ

ويبدو ذلك في قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي الحريري، المعروف بالمتيم، فوصف جود ابن تيمية، وحب الناس وميلهم له، فقال²:

(الطويل)

فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاكَ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ لَقَدْ نِلْتَ قُرْبًا لَا يُنَالُ بِحِيلَةٍ

هكذا رسم الأدب شعراً ونثراً صورة كرم ابن تيمية، فمدحه الأديباء ورثوه، وكان من أكثر الشعراء إسهاباً في الوقوف على جوده وعطائه زين الدين عمر بن الحسام ابن الشبلي، مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، وعبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم، الذين وجدوا كرمه خيراً مادة مدح ورثاء للشيخ، فقد حرصوا على إبقاء هذا الصورة جميلة حياً أبداً الدهر، فقد تنوعت الصور وتعددت، إذ كشفت أن كرمه كرم أصيل، نابع من أخلاقه الدينية، وأن يديه مبسوطتان على الدوام للناس كافة، حتى فاق من اشتهروا بالكرم وباتوا أهلاً له. وصوروا كرمه بالسحاب والغيث والبحر، وركزوا على إكرامه الضيوف والنزلاء والتائهين، وطيب أخلاقه ومعاملته حال عطائه.

ثانياً: شجاعته

إن الشجاعة من أكثر الصفات بروزاً في خيال الأديباء الذين تحدثوا عن ابن تيمية، وذلك يعود لطبيعة الحياة والبيئة التي عاش فيها ابن تيمية من جهة، " فقد عاش في أشد فترات التاريخ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 201.

² المصدر نفسه، 533. المصدر نفسه، 227.

الإسلامي حرجًا، وأكثرها خطرًا، وأعظمها إثارة¹، ولطبيعة شخصيته الشجاعة من جهة أخرى أخرى إذ كان له دور سياسي يقف جنبًا إلى جنب مع دوريه الديني والعلمي، فقد عمل جاهدًا للحفاظ على الدولة من زحف التتار، وتجلت هذه الشجاعة في الأدب الذي قيل في ابن تيمية شعرًا ونثرًا، فأظهر الأدباء إعجابهم بشجاعته، وأشادوا بها كثيرًا، ورسموا لها ضروباً من الصور، مبيينين فيها مظاهر هذه الشجاعة وتجلياتها، وأسبابها ومنابعها. وجاءت الصورة تارة باللفظ والمعنى صراحة، وتارة أخرى إشارةً وتلميحًا، وقد بدا ذلك في مظاهر متعددة وصور متنوعة، إذ صور الأدباء همته العالية التي تحفزها على ركوب المخاطر وصولاً إلى مكارم الأخلاق والخصال العليا الحميدة، بعيداً عن الضعف والفتور، والعجز والقنوط، كما يبدو في قول شهاب الدين ابن فضل الله العمري، معبراً عن قوة عزمته التي امتلأ بها قلبه، فقال²:

(البيسط)

بِهَمَّةٍ فِي الثَّرِيَّا إِثْرَ أَحْمَصِيهَا وَعَزْمَةٍ لَيْسَ مَن عَادَاتِهَا السَّامُ

وقرن سعد الدين أبو محمد سعد الله بن بُخَيْخ بين همته والسيف في حديثه، إذ قال³:

(البيسط)

وَهَمَّةٌ فِي الْمَعَالِي غَيْرِ وَائِيَةٍ تُزْرِي⁴ إِذَا ابْتَدَأَتْ بِالصَّارِمِ الذِّكْرَ

ويؤكد الشاعر ذاته أن بلوغ الشيخ ابن تيمية غايته وتحقيقه آماله، ما كان إلا بإصرار الشيخ وإقدامه الذي ذلل الصعاب أمامه، فقال⁵:

(المتقارب)

وَيَا مَنْ لَهُ هَمَّةٌ لَمْ تَزَلْ بِنُجْحِ مَقَاصِدِهِ ظَافِرُهُ

¹ الخفاجي، محمد عبد المنعم: *جهاد ابن تيمية في سبيل الإسلام وتربية الأمة*، مجلة التربية _ قطر، س22، ع 107، 1993م.

² ابن فضل الله العمري: *مسالك الأبصار*، 336/5. المقرئ: *المقفى الكبير*، 470/1.

³ ابن عبد الهادي: *العقود الدرية*، 571.

⁴ تزري: *عاب وعنف*، ابن منظور: *لسان العرب*. مادة "زري".

⁵ ابن عبد الهادي: *العقود الدرية*، 563.

وَيَا مَنْ عَزَائِمُهُ لَا تَتَّبِي إِلَى دَرَجَاتِ الْعُلَا سَائِرُهُ

وبيّن الأديب منبج شجاعة الشيخ ابن تيمية وأسبابها، فكان إيمانه بالحق وعمله على إعلانه أقوى هذه المنابع، وبيّنوا أنّ خوف الله لديه مقدم على سخط العباد، وهذا ما تجلّى في قول تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي¹:

(الطويل)

وَفِي الْحَقِّ لَمْ تَأْخُذْهُ لَوْمَةٌ لِائِمٍّ وَلَا خَافَ مِنْ غِمْرٍ² تَشَدَّدَ حَرْدُهُ³

لذا كان لا يخشى العدو ولا الإنس وحتى الجن في سعيه وشجاعته في إظهار الحق، هذا ما شهد به الذهبي أيضاً، في قوله: " كان قوَّالاً بالحق، نهَاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار"⁴، و مثله قول البزار: " كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم"⁵، وعبر عن ذلك برهان الدين إبراهيم بن الشيخ الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الكريم الكوشنت إذ صورَّ قوة إيمانه وإرادته وعزيمته التي لا تصدُّها قوة بشرية ولا جنية، فقال⁶:

(الطويل)

وَفِي اللَّهِ لَمْ تَأْخُذْهُ لَوْمَةٌ لِائِمٍّ وَلَمْ يَخْشَ مَخْلُوقًا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِ

وتشهد المصادر الأدبية والتاريخية بفرط شجاعته في ميادين القتال تارة ومحارِب العلم وغياهب السجن تارة أخرى، إلا أنّ أكثر هذه الصور بروزاً مشاركته في المعارك وإقدامه في ساحة القتال، وكانت مجالسه العلمية ومناظراته لكافة الفرق والمذاهب بالأدلة والبراهين مظهرًا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 512. الكرمي: الكواكب الدرية، 212.

² الغمْر: الرجل الغمر الجاهل الذي لم يجرب الأمور، ولم تحنَّه التجارب، ابن منظور: لسان العرب، مادة "غمر".

³ الحَرْدُ: الغيظ والغضب، ابن منظور: لسان العرب، مادة "حرد".

⁴ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، 326/53. الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، 130.

⁵ البزار: الأعلام العلية، 63.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

من مظاهر شجاعته¹، ومن صور شجاعته أيضاً صبره على السجن وظلامه، وثباته على مبدئه².

ومن تجليات شجاعة ابن تيمية التي صورها الأدب، شجاعته في مواجهة الملوك والحكام، فقد أكد محمود ابن الأثير الحلبي أنه جريء القلب، لا يهاب الموت في قوله³:

(الخفيف)

لَا يَخَافُ الْمُلُوكَ أَيْضًا، وَلَا الْخَلَّ — ق، وَلَا لِلْعِدَاةِ وَاللُّؤَامِ
كَمْ مُلُوكٍ أَتَى بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ وَهُوَ فِي اللَّهِ مُسْرِعُ الْإِقْدَامِ

وأظهر الأدب خوف الملوك من ابن تيمية، وقدرته على دَبِّ الرعب في قلوبهم حال مجالستهم، فقد صورّه أحدهم بالأسد الذي يخشى جانبه، في قوله⁴:

(البسيط)

تَهَابُ مَجْلِسَهُ الْعَالِي الْمُلُوكُ، وَمَنْ يُخْشَى سَطَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْهَبِ الْأَسْدَا؟!
ويؤكد قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ ذلك مصوراً خشية العدو ووجلهم منه، في قوله⁵:

(الكامل)

غَلَبَ الْمُلُوكَ مَهَابَةً وَشَجَاعَةً لَيْثٌ يَهَابُ لِقَاءَهُ الْكُفَّارُ
وصورّه مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط سيفاً قاطعاً براه الله في وجه أعدائه، فقال⁶:

¹ سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثالث من الدراسة، تحت عنوان مجالسه العلمية وفضلها، انظر: ص108_117. وفي الفصل الرابع، تحت عنوان مناظرته للفرق والطوائف، انظر: ص134_142 .

² سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الرابع، تحت عنوان موقف ابن تيمية من خصومه وأفعالهم، انظر: ص151_154.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 498، 499.

⁴ المصدر نفسه، 554.

⁵ المصدر نفسه، 458.

⁶ المصدر نفسه، 474.

(الخفيف)

فَنُضَاهُ الْجَبَّارِ، جَلَّ ثَنَاهُ فِي وُجُوهِ الْعِدَى كَحَدِّ الْحُسَامِ

وعبّر الأدب عن شجاعته في مواجهة أعداء الأمة، فمن أهم مواقف شجاعة ابن تيمية التي خطّها التاريخ والأدب معاً، دوره الكبير في مواجهة المغول وقادتهم، وغاراتهم المتتابعة على الشام¹، وأهمها ما حدث سنة 699هـ²، وسنة 702هـ³، وتصديّه لأهل جبل الكسروان⁴ الكسروان⁴ سنة 704هـ⁵.

وتذكر المصادر أنه حين هاجم المغول الشام سنة 699هـ، انتصروا على الجيوش الإسلامية بمكر وخديعة منهم، فسقطت دمشق وكثرت الأراجيف واختلفت الأقوال، وقُتِل عدد من المسلمين، فخرج الشيخ ابن تيمية في جماعة من قضاة وفقهاء وشيوخ دمشق إلى غازان⁶، وهو

¹ انظر: رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص126. أثر الغزو المغولي في الثقافة العربية في العصر المملوكي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة، 2017، ص82_87.

² كانت الوقعة بين المسلمين والتتار فيما يعرف بوادي الخزندار، وعرفت باسمه فيما بعد، وتعرف أيضاً باسم مجمع المروج، وقعت بين حماه وحمص، كسر التتار فيها المسلمين، وولّى بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون هارباً إلى مصر، وجماعة من أعيان الدولة أيضاً، وبها طلب الأمراء والفقهاء والعلماء الأمان من غازان. انظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق الباز العريني، مراجعة عبد العزيز الأهواني، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992، 384/31_401. الدّواداري، أبا بكر بن عبد الله بن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رومر، (د.ط.)، القاهرة: المعهد الألماني للأبحاث، 1960، 9/31 15. البرزالي: المقتفي، ج2، ق23/1. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 2000م، 7097/52. ابن كثير: البداية والنهاية، 813/14. المقرئ: السلوك، ج1، ق3/886901.

³ معركة شقحب: دارت رحاها بين الملك الناصر محمد بن قلاوون وجيش غازان بقيادة قلووشاه، بالقرب من دمشق وكانت النصر للملك الناصر وجيشه، وعُرفت أيضاً بوقعة "عُرْض"، ومعركة مرج الصفر سنة 702هـ، انظر: النويري: نهاية الأرب، 23/32، 24. البرزالي: المقتفي، ج2، ق217/1. المقرئ: السلوك، ج1، ق3. 927—948. الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية، 1982، ج1. ق1، ص412_415.

⁴ وسيأتي الحديث عن تلك الحادثة بالتفصيل، انظر، ص42.

⁵ انظر: الدّواداري: كنز الدرر، 9/40. البرزالي: المقتفي، ج2، ق284/1_290. ابن كثير: البداية والنهاية، 13/14. المقرئ: السلوك، ج1. ق3/902_906.

⁶ غازان محمود بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولى بن جنكيزخان السلطان معز الدين، ويقول العامة قازان بالقاف عوض عن الغين المعجمة، وقد اعتنق الإسلام سنة 694هـ، له حروب مع المماليك للسيطرة على الشام، فطرقها غير مرة وأعظمها سنة 699هـ، الوقعة العظيمة الشهيرة بوقعة الخزندار في الشام، وكان الظفر له، واستمر طالباً مصر فكانت الكسرة العظيمة عليه في وقعة شقحب سنة 702هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 292/3_294. العريني، سيد الباز: المغول، (د.ط.)، بيروت: دار النهضة العربية، 1967، ص324.

وهو أحد قادة المغول ومشهور بهم، سائلين الأمان لأهل دمشق، فكلمه الشيخ ابن تيمية في ذلك كلاماً قوياً شديداً، فأوقع الله في قلبه هيبه للشيخ ابن تيمية¹، وكان للشيخ ابن تيمية حضور واضح أيضاً بعد تجاوز غازان الأمان ورجوعه للشام، فقد عاد مرة أخرى للقاء بغازان وقد عدل عن الشكوى إلى الدعاء²، وأشارت المصادر أيضاً إلى توجه ابن تيمية إلى مخيم مولاي، وهو أحد مقامي التتار، فاجتمع به يسأله في المأسورين، وفكاك من كان معهم من أسرى المسلمين، وبقي يحدثهم حتى أفرجوا عن الأسرى³.

وصور الأدب هذه الأحداث، فقد وقف مجير الدين أحمد بن عبد الحسن بن محمد البغدادي الخياط على دمشق وأحوالها بعد عدوان المغول، وكيف جاروا في البلاد، حتى انقلب فيها الحال، فالقلعة محصنة والغلاء شديد والحال ضيق، فغدت دمشق في ضعف بعد قوة، مشبهاً همجيتهم بأكثر الحيوانات وحشية، وانقضاضها على الماشية والإبل الراعية والتهامها، مشيراً أيضاً إلى هروب جماعة من أعيان البلد إلى مصر، بقوله⁴:

(الخفيف)

وَبَنُو فَارِسٍ قَدْ أَفْتَرَسُوا النَّا سَ افْتَرَسَ الْأَسْوَدِ سَرَحَ⁵ السَّوَامِ⁶
وَدَمَشِقُ الشَّامِ بَعْدَ انْبِساطِ مِنْ ضَوَاحِي رُسْتاقِها⁷ فِي انْضِمامِ

¹ انظر: النويري: نهاية الأرب: 387/31، 388. الذوادي: كنز الدرر، 19/9. البزار: الأعلام العلية، 64. ابن كثير: البداية والنهاية، 8/14. المقرئ: السلوك، ج1، ق889/3.

² انظر: النويري: نهاية الأرب، 395/31. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 341/5. المقرئ: المقفى الكبير، 473. الكرمي: الكواكب الدرية، 95.

³ انظر: الذوادي: كنز الدرر، 36/9. البرزالي: المقتفي، ج2، ق66/1، 67. الذهبي: تاريخ الإسلام، 93/52. البزار: الأعلام العلية، 65. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/1112. المقرئ: السلوك، ج1، ق896/3. انظر: رائد عبد الرحيم، فن الرثاء، ص126. أثر الغزو المغولي، ص84.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 474.

⁵ سرح: من سرحت الماشية: أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى. ابن منظور: لسان العرب، مادة "سرح".

⁶ السَّوَامِ: الإبل الراعية. ابن منظور: لسان العرب، مادة "سوم".

⁷ الرُّسْتاقُ: الرُّزْداقُ: وهو موضع فيه مزدراع، وقرى أو بيوت مجتمعة. والرُّزْدَقُ: الصف من الناس أو الأشجار، وهي كلمة معربة، أصلها فارسية "رستته". ابن منظور: لسان العرب. مصطفى إبراهيم، والزيات أحمد حسن وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللغة العربية_ المكتبة الإسلامية، (د.ت)، مادة "رزق".

إذْ غَزَانَا عِلْجُ الْعُلُوجِ غَزَانٌ وَغَزَانَا مِنْ فَارِسٍ بِالطَّغَامِ¹
فَأَعَادَ الْعَزِيمَ مَنَا ذَلِيلًا ذَا صَغَارٍ، يَنْقَادُ كَالْأَنْعَامِ

ويفخر شمس الدين الحنبلي بابن تيمية وهيئته وهو غادٍ إلى خصمه غازان، فوصف قوة قلبه وجأشه من جهة، واستعداده للقتال من جهة أخرى، في موقف أحجم عنه غيره من الناس، وصور ما أوقعه في نفوس المغول وقائدهم من هيبة واحترام، فقال²:

(البسيط)

مَنْ قَبَلَهُ جَاءَ إِلَى غَازَانَ مُبْتَسِمًا عَلَى الْجَوَادِ وَكُلِّ الْخَلْقِ قَدْ نَزَلُوا
حَتَّى إِذَا جَاءَهُ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُهُ قَامَ الْجَمِيعُ وَلَمْ يَأْخُذْهُمْ كَسَلٌ

وتحدث ابن فضل الله العمري عن هيبة الشيخ التقيّ في مقابلته غازان، فوصف حاله في مجلسه وجرأته في التصدي له والحديث معه، فصوره أسدًا يلقي الرعب في قلوب أعدائه، كما يبدو في قوله: " جلس الشيخ إلى السلطان محمود غازان حيث تجمُّ الأسدُ في آجامها³، وتسقط القلوب دواخل أجسامها، وتجذُّ النارُ فتورًا في ضرَمِها، والسيوفُ فرقًا في قرَمِها⁴، خوفًا من ذلك ذلك السَّبْعِ المغتال، والنمرود⁵ المختال، والأجل الذي لا يُدفع بحيلة محتال، فجلس إليه، وأومأ بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نحره⁶، وأشار البزّار إلى ذلك أيضًا، مؤكدًا أنّ شجاعة ابن

¹ الطغام: أزدال الطير والسباع، وتعني أيضًا أزدال الناس وأوغادهم. ابن منظور: لسان العرب، مادة "طغم".

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 586.

³ آجامها: من الأجمة: وتعني منبت الشجر كالغيضة. وتعني أيضًا الشجر الكثير الملتف. ابن منظور: لسان العرب، مادة "أجم".

⁴ القرم: الثوب والستر الرقيق، ستر فيه رقم ونقوش، انظر: ابن منظور: لسان العرب، "مادة قرم".

⁵ هو " النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل أنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح " وهو أحد ملوك بابل، استمر في ملكه أربعمئة سنة، وقد طغى وبغى، وتجبر وادعى الربوبية، وأنز الحياة الدنيا، وقد حاجج سيدنا ابراهيم في وجود الله، وطلب منه دليلاً على وجوده، وأشار إليه القرآن الكريم في سورة البقرة، آية 258. انظر: ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفدا: تفسير القرآن العظيم، أشرف على طبعتها وتصحيحها لجنة من العلماء، ط1، بيروت- دار الأندلس، 1966، ج1، ص555_557. ابن كثير: قصص الأنبياء، ط1، دار نهر النيل، ص142_144.

⁶ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 338/5. المقرئ: المقفى الكبير، 473/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 95_94.

تيمية دفعت غازان إلى الاعتراف به، بقوله: " من شِدَّة ما أوقع الله له في قلبه من المحبَّة والهيبة، سأل من يخصُّه من أهل حضرته: مَنْ هذا الشيخ؟ وقال ما معناه: إنِّي لم أرَ مثله ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادًا مني لأحد منه" ¹.

كما صورَّ الأدب مواجهة الشيخ ابن تيمية لغازان عقب معركة شقحب وخروجه لمعسكره بعد نقضه الأمان، واستعانته بالله وقدرته عليه، داعيًا: " اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وجهادًا في سبيلك، فأيدّه وانصره، وإن كان للملك والدينا والتكاثر، فافعل به واصنع، يدعو عليه وغازان يؤمّن على دعائه" ²، وعبر شهاب الدين ابن فضل الله العمري عن ذلك ³، في قوله ⁴:

(البيسط)

رمى إلى نحر غازان مواجهةً سِهامةً من دُعاءِ عَوْنُهُ الْقَدْرُ

بدلَ ذلك على عظم جرأته في قول الحق يومذاك، وعلى حماسه الشديد في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ⁵. وتابع العمري قائلاً على لسان ابن تيمية مؤكداً لغازان أن هذه ليست من شيم المسلمين: "أنت تزعم أنك مسلم ⁶، ومعك قاضٍ وإمام، وشيخ، ومؤذنون، على ما بلغنا، فغزوتنا، وأبوك، وجدك هو لآكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت. عاهداً فوقياً، وأنت عاهدت، فغدرت، وقلت فما وفيت" ⁷، وصورَّ شمسُ الدين الحنبلي ذلك، بقوله ⁸:

¹ البزار: الأعلام العلية، ص 64_65. الكرمي: الكواكب الدرية، 93.

² ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 341/5. ابن كثير: البداية والنهاية، 12_11/14. الكرمي: الكواكب الدرية، 94.

³ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، 128. أثر الغزو المغولي في الثقافة العربية في العصر المملوكي، 87.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 542. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 345/5. المقرئ: المقفى الكبير، 477/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 185.

⁵ انظر: عبد الرحيم، رائد: أثر الغزو المغولي، ص 84.

⁶ وكان غازان قد دخل إلى الدين الإسلامي عام 694هـ، وبعض المصادر تقول 693هـ، " على يد الشيخ صدر الدين إبراهيم بن سعد الله بن حمويه الجويني، وعمره يومئذ بضع وعشرون سنة، وكان يوم إسلامه يوماً عظيماً ". انظر: الدرر، 292/3.

⁷ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 341/5.

⁸ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 586.

(البيسط)

فَقَالَ جَهْرًا لَهُ وَالْخَلْقُ تَسْمَعُهُ: هَلْ أَنْتَ مُحَمَّدٌ بِالْإِسْلَامِ مُتَّصِلٌ؟
فَقَالَ لَهُ: الشَّامُ يَا مُحَمَّدُ دَارُ تَقَى وَمَعْقَلُ الْأَنْبِيَاءِ عَنْهُ فَارْتَحِلُوا

وعبر بدر الدين بن عزّ الدين المغيبي عن جرأة الشيخ ابن تيمية في تخليصه أسرى المسلمين من يد غازان في تلك السنة، وردّهم إلى أهلهم سالمين، إذ كشف عن دور الشيخ ابن تيمية يومذاك، وأثر ذلك في غازان، فقال¹:

(الكامل)

مَنْ رَدَّ غَازَانَ الْهُمَامَ بِحَسْرَةٍ مَنِ خَلَّصَ الْأَسْرَى، وَهُمْ أَيْتَامٌ؟

وشهد الأدب بشجاعته يوم شقّحب، فصوره وهو في الحرب وساحتها حائلًا بين المقاتلين، ومحرصاً على جهاد العدو²، وركّز على شجاعته وثباته في قلب المعركة، وقد أشاد زين الدين عمر ابن حسام الشبلي ببسالته وصدوره، وأشهد الخصم على شجاعته³، بقوله⁴:

(الكامل)

ولهُ إِذَا اضْطَرَمَّ الْقِتَالُ شَجَاعَةٌ قَامَتْ بِنَصْرِ الدِّينِ فِي الْهَيْجَاءِ
سَلَّ عَنْهُ غَازَانًا وَسَلَّ أَمْرَاءَهُ لَمَّا أَتَوْا بِطَلَائِعِ الْأَسْرَاءِ
وَالْمَغْلُ قَدْ مَلَكَوا الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا كَمْ فَكَّ مِنْ عَانَ بَغِيرِ عَنَاءِ؟
وَكَذَا بِشُقْحَبٍ وَالتَّتَارِ قَدْ أَقْبَلُوا بِالطَّمِّ فِي أُمَّمٍ بَغِيرِ مِرَاءِ
وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى النُّزُولِ قَدْ أَجْمَعُوا وَالْمَغْلُ عَنْهُمْ نَظْرَةٌ لِلرَّائِي

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 504. الكرمي: الكواكب الدرية، 209.

² سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثاني، تحت عنوان جهاده، انظر: ص 77_80.

³ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، 127. أثر الغزو المغولي، ص 87.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 201.

وأثنى ابن فضل الله العمري على شجاعته يومذاك، فقدّم صورة تكشف حال ولوجه المعركة، مؤكداً أنّ السيوف مجردة من أغمادها، ماضية في ضرباتها، مسلطاً الضوء على حال أعدائه الذين خافوا وتستروا كالنساء، في قوله¹:

(البسيط)

وَشَقَّ فِي الْمَرْجِ وَالْأَسْيَافِ مُصَلَّتَةً طَوَائِفًا كُلُّهَا أَوْ بَعْضَهَا التَّتَرُّ
هَذَا وَأَعْدَاؤُهُ فِي الدُّورِ أَشْجَعُهُمْ مِثْلُ النِّسَاءِ بِظُلِّ الْبَابِ مُسْتَتَرُّ

ويشيد ببسالته القوية في موضع آخر، بقوله: " وحكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شقحب ونوبة كسروان ما لم يُسمع إلاّ عن صناديد² الرجال وأبطال اللقاء وأحلاس³ الحرب"⁴، ويؤكد البزار مشاركته الفعلية في ساحة المعركة، بقوله: " أخبر غير واحد أنّ الشيخ رضي الله عنه كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم أوقفهم وقطب ثباتهم، وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان"⁵، وأشار بدر الدين المارداني إلى شجاعة ابن تيمية في قتال الأعداء، واتخذ من لوحة الألوان مطية له للدلالة على حال المعركة، فأكد أنّه إذا اشتدّ الوطيس سقيت سيوفه بدماء العدو، بقوله⁶:

(الطويل)

سُيُوفُكَ بِيضٌ مِثْلُ عِرْضِكَ فِي الْوَرَى إِذَا اسْوَدَّ لَيْلُ النَّقْعِ، صَيَّرْتَهَا حُمْرًا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 542. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 345. المقرئزي: المقفى الكبير، 477. الكرّمى: الكواكب الدرية، 185.

² صناديد: الصناديد: الملك الضخم الشريف، وقيل السيّد الشجاع. ابن منظور: لسان العرب، مادة "صند".

³ أحلاس: الحلس: كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرّحل والقنّب والسّرج، وما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع، والجمع أحلاس، وحلوس، والواحدة حلوسة، وهنا جاءت بمعنى ما يحرص على المشاركة في الحرب والملازم لها. انظر: المعجم الوسيط، مادة "حلس".

⁴ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 342. المقرئزي: المقفى الكبير، 474/1، 475.

⁵ البزار: الأعلام العلية، 63.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 578.

وأشاد الأدباء أيضاً بالنصر العظيم الذي حققه المسلمون ببركة الشيخ على الكسروانيين في سنتي 704_705هـ، وهؤلاء ينسبون إلى جبل كسروان، وهو جبل متصل بجبال لبنان¹، ويعود نسبهم للطائفة الدرزية، وهي إحدى الفرق الشيعية المغالية²، والمتتبع لحوادث السنين يلاحظ أنّ الطائفة الدرزية في جبل كسروان قد اشتدّ ضررها بعد انهزام الجيوش المملوكية أمام غازان وجيشه سنة 699هـ، واعتراض طريقهم بكل سوء، فقد استعدوا للقتال، لاجئين محتمين بجبلهم صعب المرتقى³، فقد كشف ابن كثير عن "فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا قد عاملوا به العساكر لما كسرهم النتر وهربوا حين اجتازوا بلادهم، وثبوا عليهم ونهبوا أسلحتهم وخيولهم"⁴، ويشهد النويري أيضاً بطغيانهم واشتداد شوكتهم، واغترارهم بجبالهم المنيع، وجموعهم الغفيرة⁵.

والناظر في تسلسل الأحداث التاريخية يلاحظ أنّ العساكر المملوكية شنّت عليهم حملات هجومية غير مرة، وأولها سنة 699هـ، ما قام به جمال الدين نائب الشام حين توجه إلى جبل الكسروان مصطحباً عدداً كبيراً من الرجال، وقاتلهم قتالاً شديداً، وكسر شوكتهم، في ستة أيام، وأدخلهم تحت طاعته بعد استسلامهم وموافقته على إعادة ما قد سلبوه منهم وقت الهزيمة⁶، إلاّ أنّهم لم يلتزموا بذلك أبداً، الأمر الذي دفع شيخ الإسلام ابن تيمية لعزم النية والتوجه إليهم سنة 704هـ، وعاد منتصراً، ولكنهم لم يرتدعوا، فتوجه إليهم مرة أخرى في مستهل عام 705هـ، برفقة نائب دمشق جمال الدين بن الأفرم⁷ لقتالهم، فأقدم عليهم بخمسين ألف رجل، وزحف بهم لمقاتلة أهل الجبل، ومزقهم بعد أحد عشر يوماً، وسيطروا على الجبل عنوة، وأسروا منهم

¹ انظر: النويري: نهاية الأرب، 407/31. غانم آمال: الدور السياسي لشيخ الإسلام، 149.

² انظر: النويري: نهاية الأرب، 407/31. المقرئزي: السلوك، ج1، ق902/3.

³ ابن كثير: البداية والنهاية، 13/14. المقرئزي: السلوك، ج1، ق903/3.

⁴ ابن كثير: البداية والنهاية، 13/14.

⁵ انظر: النويري: نهاية الأرب، 97/32.

⁶ انظر: الدواداري: كنز الدرر، 40/9. ابن كثير: البداية والنهاية، 13/14. المقرئزي: السلوك، ج1، ق903/3.

⁷ جمال الدين بن الأفرم: هو أقوش بن عبد الله الدواداري المنصوري، جمال الدين، المعروف بالأفرم، نائب الشام، اختلف في سنة وفاته فبعض المصادر تذكر أنه توفي سنة 716هـ، وبعضها يذكر سنة 720هـ، وهو جركسي الجنس، من مماليك الملك المنصور بن قلاوون، وكان شجاعاً، جواداً، يحب العلم، والأدب، منقاداً للشريعة، مدحه العديد من شعراء عصره. انظر: المقرئزي: المقفى الكبير، 198/2_206. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، 9/3_13.

ستمائة رجل، مغتمين مالا كثيرا، حتى فتح الله الجبل وأجلا أهله¹، وتوقف الأدب عند هذه الأحداث وقد صور عزيمة الشيخ ابن تيمية وقوة إيمانه، وفرط شجاعته وتمكّنه من اقتحام جبالهم واستئصال شأفتهم، تجلّى ذلك في قول ابن عبد الهادي في سيرته: " وكان من أصعب الجبال مسلكا، وأشقها ساحة. وكانت الملوك المتقدّمة لا تُقدّم على حصاره، مع علمها بما أهله عليه من البغي والخروج على الإمام والعصيان"²، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد صور ابن عبد الهادي حال الناس بعد الانتصار على الروافض، بين سرور وتعجب؛ بقوله: " ولما فُتح الجبل، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة، عكف خاصّ الناس وعامّهم على الشيخ بالزيارة والمسألة له عن كيفية الحصار للجبل، وصورة قتال أهله، وعمّا وقع بينهم وبين الجيش من المراسلات"³، وعبر الشعر عن ذلك كله فهذا شهاب الدين ابن فضل الله العمري يشيد بانتصاره على أهل كسراون، فيقول⁴:

(البيّط)

وبَعْدَهَا كِسْرَوَانُ وَالْجِبَالُ وَقَدْ أَقَامَ أَطْوَادَهَا وَالطَّوْدُ مُنْفَطِرٌ⁵
مُنْفَطِرٌ⁵

ومثل ذلك ما عبّر عنه زين الدين عمر بن الحسام الشبلي الذي تحدث عن انهيار جبال كسروان، وهزيمتها أمام الشيخ وعزائمه، فقال⁶:

(الكامل)

وَأَتَى جِبَالَ الْكِسْرَوَانِ فَأَذْنَتْ بِدِمَارِهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ بَقَاءِ

¹ انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق284/1، 290. البداية والنهاية، 14/13. السلوك، ج1. ق903/3. انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، ص127. غانم آمال: الدور السياسي لشيخ الإسلام، 149، 150.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 231.

³ المصدر نفسه، 232.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 542. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/345. المقرئ: المقفى الكبير، 477/1.

⁵ منظر: من انفطر: انشق. ابن منظور: لسان العرب، مادة " فطر".

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرّم: الكواكب الدرية، 201.

واستوحى الأديباء شخصيات عرفت بشجاعتها ليقرّنوا ابن تيمية بها، فقرن الذهبي شجاعته بخالد بن الوليد؛ قال: " شجاعته خالدية"¹، وقرنه الشاعر نجم الدين إسحاق بن أبي بكر ابن أُمى التركي بعلي رضي الله عنه وقتله مَرْحَب اليهودي² في غزوة خيبر، قائل³:

(الطويل)

وَلَكِنْ رَأَوْا مِنْ بَأْسِهِ مِثْلَمَا رَأَى مِنْ الْمُرْتَضَى فِي حَرْبِهِ رَأْسُ مَرْحَبٍ

وجعل أحد الشعراء المعركة وساحتها المحك الحقيقي الذي تعرف فيه الأبطال، ويؤكد أنّ حالهم تمامًا كحال الدرر، إذ صور الدرر في حال بقائها في خبايا الصدف، لما اعتلت الأعناق والرؤوس، في قوله⁴:

(البيسيط)

فَالدَّرُ لَوْ لَزِمَ الْأَصْدَافَ مَا ارْتَفَعَ الْـ لِبَاتٍ، وَارْتَكَبَ التَّيْجَانَ وَاقْتَعَدَا

وصوره ابن مقبل الدقوقي مثالاً يحتذى به في الشجاعة، قائلًا⁵:

(الكامل)

خَوْضُ الْكِرَائِهِ لَمْ يَزَلْ مِنْ دَأْبِهِ فِيهِ الْفَوَارِسُ فِي الْمَضَائِقِ تَهْتَدِي

¹ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، 327/53. الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، 131.

² " مَرْحَب: فارس من فرسان يهود خيبر، " أنه من حمير، طويل القامة، عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره، إلا أنه قُتل على يد علي بن أبي طالب يوم خيبر 7هـ، عندما أُقيل مرحب يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
فأقبل علي رضي الله عنه قاتلاً:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة
أكيلهم بالسيف كيل السندرة "

وبعد المباراة تمكن علي من قتل مرحب، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، (د.ت)، عبد الحفيظ شلبي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1936، 3/ 348. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 193/1، 194. الأمين محسن: أعيان الشيعة، حققه وأخرجه واستدرك عليه: حسن الأمين، (د.ت)، بيروت: دار التعارف، 1986، مج 1/270. الأعلمي محمد حسين: دائرة المعارف المُسمّاة بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، 1972م/1374هـ، 206/27.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 455. الكرمي: الكواكب الدرية، 74.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 556.

⁵ المصدر نفسه، 517.

وهذا ما شهد له به ابن عبد الهادي، في قوله: " بشجاعته تضرب الأمثال، وبيعضها يتشبه أكابر الأبطال."¹

صوّر الأدب شجاعته بصورة واقعية ومثالية لها، فصوّره وقد دانت له الأسود بذلك، وفاق اقتحامه المصاعب والمخاطر عنتره، يقول فيه الصفدي: " شجاعة يفرّ منها قسورة"²، وإقدام يتأخّر عنه عنتره"³، وهو بذلك يأخذ المعنى من قوله تعالى في تصوير فرار الكفار ونفيرهم عن الحق، وإعراضهم عن تذكرة النبي صلى الله عليه وسلم بفرار حمر الوحش ممن يريد صيدها من الأسد الكاسرة"⁴، في قوله تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}⁵، ويراه البزار من أجرأ الورى وأقواهم وأشجعهم، في قوله: " كان رضي الله عنه من أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه."⁶

واستحضر نجم الدين اسحاق بن أبي بكر ابن ألمى التركي صورة الهزبر وهو في أشد حالاته قوة وقدرة على الفتك، ليبين أن الشيخ يغضب للدين والمسلمين غضبة تهدّ جبليّ ثبير⁷ ويذبل⁸، في قوله⁹:

(الطويل)

فَقَامَ بِمَا يُوهِي ثَبِيرًا وَيَذْبُلًا قِيَامَ هَزْبَرٍ لِلْفَرِيْسَةِ مَغْضَبِ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 169.

² قسورة: الأسد. ابن منظور: لسان العرب، مادة "قسر".

³ الصفدي: أعيان العصر، 236/1.

⁴ ابن كثير: تفسير ابن كثير، 165/7.

⁵ سورة المدثر، آية 49_51.

⁶ البزار: الأعلام العلية، 63.

⁷ ثبير: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة وراء، وهو من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة، وسمي ثبيراً نسبة لرجل من هذيل مات في ذلك الجبل، اسم الرجل ثبير فعرف الجبل به، الحموي ياقوت: معجم البلدان، باب الثاء والباء وما يليهما، 85/2.

⁸ يذبل: بالفتح ثم السكون، هو جبل مشهور بنجد، وقد ورد في أشعار العرب ومن ذلك قول امرؤ القيس: وأيسره على الستار فيذبل، الحموي ياقوت: معجم البلدان، باب الياء والذال وما يليهما، 496/5.

⁹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 453.

وفي المعنى ذاته صور مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط ابن تيمية واقحامه الصعاب وشدائد الأمور، لا يخشى في ذلك بطش أحد في سبيل إقامة حدود الله، قائلاً¹:

قائلاً¹:

(الطويل)

هَزِيرٌ وَمِقْدَامٌ عَلَى الْهَوْلِ لَمْ يَهَبْ مَلِيكاً بِمَنْعِ الْمُنْكَرَاتِ مَمْنَعاً

وتبدو صورة الأسد في قول الشاعر ذاته²:

(الخفيف)

كَانَ كَاللَّيْثِ بِالنَّوَابِ فَتَكاً كَانَ كَالغَيْثِ بِالمَوَاهِبِ هَاماً

وفي تصويره الممدوح بالأسد، أشاد مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط ببأس ابن تيمية وقدرته الفائقة على القتال وهزيمة العدا، من خلال تصويره الأعداء أيضاً بالأسد، وذلك لأن الشجاعة الحقيقة تتجلى حال التساوي والتكافؤ قوة، معلياً بذلك أيضاً من شجاعته وقيمة النصر الذي أحرزه، فجعل الشاعر الأسود المفترسة ذليلة بحضرتة وسطوته، وذلك في قوله³:

(المتقارب)

يَا لَيْثَ حَرْبٍ إِذَا مَا سَطَا تَذَلَّ لَهُ الْأُسْدُ الْكَاسِرَةَ

وأكد بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني ذلك، فسَلَّطَ الضوء على حال العدو وعودته مقهوراً من بأس الشيخ في المعركة، فقال⁴:

(الطويل)

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 477.

² المصدر نفسه، 473.

³ المصدر نفسه، 564.

⁴ المصدر نفسه، 578.

لَقَدْ كُنْتُ فِي يَوْمِ الْفَخَارِ وَفِي الْوَعَى شَجَاعًا يَرُدُّ اللَّيْثَ عَن سُبُلِهِ قَهْرًا

هذه صورة الشجاعة التي قدمها الأدب لابن تيمية، الذي كان رجلاً شجاعاً لا يخشى الموت ولا يهاب الملوك والأمراء، والأعداء، ناطقاً بالحق غير مدهن ولا مُحابٍ، وذا سَطْوَةٍ وإقدامٍ ضربت به الأمثال.

ثالثاً: حِلْمُهُ

ومن الشيم العظيمة التي وُسم بها ابنُ تيمية، وصورها الأدب أيضاً سِعة صدره وحِلْمه، وتتجلى هذه الصورة من خلال حرص الشعراء على تأصيل هذه السمة في أخلاقه وصفاته وتشبيهها بالجبل الثابت¹، ومن ذلك قول ابن فضل الله العمري، الذي جعل الحلم من أعمدة أخلاقه وأساسها، في قوله²:

(البسيط)

طَوْدٌ مِنَ الْحِلْمِ لَا يَرْقَى لَهُ فَنَنْ كَأَنَّما الطَّوْدُ مِنْ أَحْجارِهِ حَجَرٌ

وأثنى سعد الدين بن بُخيخ على حلمه، مصوراً صفحه ومسامحته عن قصر في حقه، في قوله³:

(المتقارب)

وَيَا طَوْدَ حِلْمٍ إِذَا مَا جَيْ عَلَيْهِ امْرُؤٌ يَنْتَنِي عَازِرُهُ

وفي قصيدة أخرى، عاد أكد ثبات سمة الحلم فيه، قائلاً⁴:

(الكامل)

¹ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، ص124.

² ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 345. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 541. المقرئ: المقفى الكبير، 1/ 476. الكرمي: الكواكب الدرية، 184.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 564.

⁴ المصدر نفسه، 566.

هُوَ بَحْرُ عِلْمٍ، طَوْدُ حِلْمٍ رَاسِيخٍ فِي الْحَقِّ لَا وَإِنْ وَلَا مُتَرَدِّدٍ

إنَّ إلقاءَ نظرةٍ على الأدب الذي قيل في ابن تيمية المتعلِّق بالحلم، تكشف أنَّ الأدباء يصوِّرون شخصية الشيخ ابن تيمية، ويرسمون ملامحها، وسماتها النفسية، في إطار يكشف عن حسن تعامله مع الآخرين، وتجاوزه عن المسيء ومقابلته بالعمو والإغضاء. ومن مظاهر هذه الصورة عفوه عن بعض القضاة الذين ظلموه وآذوه، وأصدروا الفتاوى في حقه، وذلك في بلاط السلطان الناصر بن قلاوون، إلا أنَّ الأخير قام باستفتاء الشيخ بهم، فما كان من ابن تيمية إلا أن أخذ بمدحهم والثناء عليهم، وأكد للسلطان أن ذهابهم وغيابهم سيكون خسارة له و لدولته، مما أثار تعجب ابن قلاوون، وقام بتذكيره بأنهم هم من آذوه، وأرادوا قتله غير مرَّة¹، فأجابته قائلاً: " من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله، فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي"². فهدأ بذلك غضب السلطان وحنقه عليهم، وكان أشعله مبايعتهم للملك بيبرس الجاشنكير³، وهذا الموقف دعا القاضي زين الدين ابن مخلوف⁴ إلى القول: " ما رأينا مثل ابن تيمية، حرصنا عليه فلم نقدِّرْ عليه، وقد رنا فصفح عنا وحاجج عنا"⁵. ويعدُّ هذا الموقف من أشهر المواقف التي عُرفت في حياة الشيخ، حتى بات مضرِباً للأمثال، والموقف يدل دلالة حقيقية على كمال عفوه وسعة حلمه، المقترن بالحكمة من جهة، والدَّال على صدق إيمانه من جهة ثانية، فهو أزال بتسامحه وتعامله بالتي هي أحسن عداوةً متأصلةً طال أمدها في نفوس أعدائه.

¹ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 346، 347. ابن كثير: البداية والنهاية، 56/14.

² ابن كثير: البداية والنهاية، 56/14.

³ بيبرس الجاشنكير: هو بيبرس البرجي العثماني الجاشنكير، ركن الدين الملك المظفر، كان من مماليك المنصور قلاوون، شركسي الأصل، وتأمَّر في أيامه، وصار من كبار الأمراء في دولة الأشرف خليل بن قلاوون. تسلطن سنة 708هـ ولقب بالمظفر، وذلك لما ذهب الملك الناصر إلى الكرك، وما كاد يستقر حتى جاءه من الكرك أن الناصر يستكثر من الخيل والمماليك، قال به الأمر إلى الاستسلام للناصر. فكانت مدة سلطته 10 أشهر و24 يوماً توفي سنة 709هـ. انظر: المقرئ: السلوك، ج2، ق1/45_49. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 36/2_40. الزركلي: الأعلام، 79/2.

⁴ ابن مخلوف المالكي: هو علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف، زين الدين النويري المالكي. قاضي القضاة، ولد سنة 634هـ، وتوفي سنة 718هـ. كان عزيز المروءة والاحتمال والإحسان. سمع من علماء عصره، واشتغل على مذهب مالك ومهر فيه. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 93/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 202/3. ابن العماد: شذرات الذهب، 49/6.

⁵ ابن كثير: البداية والنهاية، 56/14.

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على صبر الشيخ على الأذى وتجاوزه عنه، وبراعته من الانتقام من مخالفيه مهما بلغ أذاهم وحققهم عليه، صبره على أذية الفقيه المصري المعروف بالبكري¹، عندما ظفر به بمكان غير ذي ناس وحرّاس، وأساء الأدب معه، فجاءت جماعة من الجند تريد الانتصار للشيخ، إلا أنه لم ينطق ببنت شفة غير قوله: "أنا ما أنتصر لنفسي"²، ففي نهي الشيخ عن جلده والانتصار لحقه، خير شاهد على حلمه وأناته و ضبط نفسه. وسجّل الأدب حادثة أخرى قامت بها جماعة من خصوم الشيخ ومنازعيه، حيث تفرّدوا بالشيخ وضربوه بجامع مصر، إلا أنه مضى ولم يلق لذلك أي اهتمام³.

ويشهد له الذهبي بخلقه الرفيع ورحابة صدره، إذ صورّ قهره الشدة التي تجتاحه بعفو ولين، قائلاً: "تعترية حدة، ثم يقهرها بحلم وصفح"⁴. وأكد الصفدي ذلك، مبيناً أنّ ابن تيمية يفوض أمره لله، بقوله⁵:

(السريع)

كَانَ سَلِيمَ الصِّدْرِ قَدْ سَلَّمَ الْـ أَمْرَ لِبَارِيهِ وَقَدْ فَوَّضَا

ومن صور ابن تيمية وصفحه ما سرده البزار يوم احتضاره في أرض دمشق، عندما دخل عليه شمس الدين الوزير⁶، يطلب العفو والمسامحة على ما أخطأه بحق الشيخ، فقبل الشيخ اعتذاره، وتجاوز عنه، ولم يبق في قلبه أثر⁷، وذلك بإجابته: "إني قد أحللتك وجميع من عاداني

¹ هو علي بن يعقوب بن جبريل البكري، نور الدين أبو الحسن المصري الشافعي الفقيه. ولد سنة 673هـ، وتوفي سنة 724هـ، وكان عالماً صالحاً متصوفاً جواداً مقلداً فقيهاً فاضلاً مناظراً، وهو ممن كان يشدد على ابن تيمية. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 14/118_119. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 3/214_215. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/64.

² انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق32/2 ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 353، 354.

³ للمزيد، انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 350_353.

⁴ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، 53/329. الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص133.

⁵ الصفدي: أعيان العصر، 1/251.

⁶ شمس الدين الوزير: هو محمد بن محمود بن سلمان بن فهد الحلبي، شمس الدين ابن شهاب. ولد سنة 669هـ، وتوفي سنة 727هـ، عن ثمان وخمسين سنة. وكان كثير التواضع لم يغيره المنصب. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 5/19. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/80.

⁷ انظر: البزار: الأعلام العلية، 72.

وهو لا يعلم أني على الحق. وقد أحللت كل واحدٍ مما بيني وبينه، إلّا مَنْ كان عدوًّا لله ورسوله¹، وبهذه الحادثة يؤكد الشيخ ابن تيمية أن الحلم كان شعارًا رافقه طيلة حياته، وأن حلمه مقرون بأمر لا يغضب الله أو ينتهك شريعته.

ويأتي برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم ابن الكرشت في قصيدته على وصف حلمه، وتأكيد مبدئه أنه لم ينتصر لنفسه يومًا، وكان حليمًا عفوًّا، فقال²:

(الطويل)

وَلَمْ يَنْتَقِمْ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّهُ يُؤَدِّي فَيَعْفُو عَنِ الْجَانِي

وأكد المعنى ذاته عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم، مظهرًا صورته في التعامل مع المسيئين له، الذين يتربصون به، ويظنون به ظنَّ السوء، إلّا أنه يظنَّ بهم خيرًا ويدعو لهم، في قوله³:

(الطويل)

وَيَدْعُو لِمَنْ قَدْ نَالَ مِنْ تَلْمٍ⁴ عَرَضِهِ وَلَمْ يَنْتَقِمْ مِمَّنْ أَتَى بِالْأَذْيَةِ

وأظهر شاعر آخر، أنه لم يحمل في قلبه حقدًا، ولم يتعرض لأحد بسوء، فلم يدع على أحد ذات يوم، بل كان يستغفر له ويدعو له بالصلاح كما يبدو، في قوله⁵:

(البيسط)

لَمْ يَدْعُ يَوْمًا عَلَى مَنْ خَاضَ فِي دَمِهِ بَغِيًّا، وَلَا لَامَ ذَا لَوْمٍ وَلَا حَقًّا
وَرُبَّمَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِمَنْ عَمَدًا عَلَيْهِ اعْتَدَى، أَوْ قَتَلَهُ اعْتَمَدًا

¹ البزار: الأعلام العلية، 72.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 531. الكرمي: الكواكب الدرية، 225.

⁴ تلم الإناء والسيف ونحوه يتلّمه تلمًا وتلّمه فانتم وتلّم: كسر حرّفه. ابن منظور: لسان العرب، مادة "تلم".

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 554.

ولم يأت الشعراء على ذكر حالة تكشف غضب الشيخ ابن تيمية، إلا في سياق قصيدة نجم الدين اسحاق بن أبي بكر ابن ألمى التركي، في باب مدحه، فقد أشار أنه يغضب لله وحده، مؤكداً بذلك أنه يغضب للحق وليس للخلق، في قوله¹:

(الطويل)

حَلِيمٌ كَرِيمٌ مُشْفِقٌ، بَيِّدَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُطْعَ فِي اللَّهِ، اللَّهُ يَغْضَبُ

أما مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، فقد تناول في بيت شعري تفرد ابن تيمية وسماحته أبد الدهر، بقوله²:

(الخفيف)

كَانَ سَمَحًا، بِمِثْلِهِ الدَّهْرُ كَزْ³ فِي لِيَالِي الزَّمَانِ وَالْأَيَّامِ

وتتفاوت الأخلاق رتبةً ومقامةً، إلا أنَّ الحلم يبقى أسماها عند ابن تيمية، هذا ما عبّر عنه أمين الدين عبد الوهاب ابن سلار الشافعي، في قوله⁴:

(الخفيف)

يَا ابْنَ عَبْدِ الْحَلِيمِ، حِلْمُكَ يَسْمُو يَا ابْنَ عَبْدِ السَّلَامِ، سِلْمُكَ جُودٌ

هكذا صورّ الأدب ابن تيمية صاحب صدرٍ رحبٍ، مُتَسَلِّحًا بالأناة والصبر وضبط النفس والتريث. مصورين هذه الصفة بالطود الراسخ، مؤكدين طيب أخلاقه وشمائله في ترفعه عن المعاملة السيئة بالمثل، واتساع صدره لتحمل الآخرين وهفواتهم، عادًا ما يقترفونه بحقه هفوةً وزلةً، ومبينين أنه لا يغضب إلا لله.

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 454. الكرمي: الكواكب الدرية، 74.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 473.

³ كز: بخيل. ابن منظور: لسان العرب، مادة "كزز".

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 548.

رابعاً: تواضعه

صوّر الأدب ابن تيمية متواضعاً، وهي سمة استمال بها قلوب الآخرين فاعتلى سلّم الشرف. وقد تحدث البزار مطولاً عن ذلك فكشف طهارة نفسه وسلامة قلبه، مؤكداً ذلك من خلال معاشرته له، فقال: " وقد بالغ معي حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام حتى إنه لا يذكرني باسمي، بل يُلقبني بأحسن الألقاب، ويظهر لي خصوصاً بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء منه، حيث لا يتركني أجلس إلا إلى جانبه، قصيراً كان مجلسه أو طويلاً، خاصاً أو عاماً¹ يدل ذلك على أنّ نظرتَه له كانت نظرة احترامٍ وتقديرٍ ومساواةٍ، دون تكبرٍ أو تعالٍ.

ويؤكد البزار تواضع الشيخ في حالاته كلّها، ويبين أنّ هذه السمة نابعة من داخل الشيخ، وتجلّى ذلك في قوله: " وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم، في قيامه وقعوده، ومشيئه ومجلسه، ومجلس غيره². ومن مظاهر تواضعه التي ذكرها أيضاً اهتمامه بالناس؛ كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم، حرّهم وعبدهم، عالمهم وجاهلهم، فهو يقبل عليهم ويستمع إليهم، ويؤثرهم على نفسه ويتجنب إخراجهم ورفع صوته على الآخرين، ويطيّب خواطرهم بأحب الكلام إليهم³. وقد تجلّى ذلك في الشعر أيضاً، إذ صرّح مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط بتواضعه، فأوضح أنّ ذلك لم يقلل من هيئته وحضوره، بل على العكس عزّز قيمته ومكانته، من خلال تصويره غض الناس بصرهم احتراماً للشيخ وخلقته، في قوله⁴:

(الطويل)

إِمَامٌ عَلِيمٌ خَاشِعٌ مُتَوَاضِعٌ لِهَيْبَتِهِ تُغْضِي النَّوَاطِرُ خُشَعًا

¹ البزار: الأعلام العلية، 49.

² المصدر نفسه، 49.

³ انظر: المصدر نفسه، 48_49.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 478.

ويكشف شمس الدين الحنبلي أنّ تواضعه ما هو إلا تواضع امرئ عرف قدر نفسه، مشيراً في الوقت ذاته إلى علو قدره وبلوغه أعلى المراتب، وكنى عن ذلك بالجوزاء لوضوحها وشفة لمعانها وإشراقها وسط الظلام، في قوله¹:

(البسيط)

وَكَمْ تَوَاضَعْتَ عَنِّ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ تَقَى، وَقَدْرِكَ بِالْجَوَازِءِ مُنْتَعِلٌ

ومن مظاهر تواضعه أيضاً، لقاءه الناس بالبشر والبشاشة، فقد أكد الأدب طلاقة وجهه في وجوه الآخرين، وأنه ذو تودد وابتسام، هذا ما أقرّه البزار في قوله: " يقبل على الناس بوجه طلق بشيش وخلق دميث"²، وتجلّى المعنى ذاته في الشعر أيضاً، في قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي الحريري، المعروف بالمتيم³:

(الطويل)

وَيَلْقَى مَنْ يَلْقَاهُ بِالْبِشْرِ وَالرِّضَا بِأَوْصَافِهِ الْحُسْنَى وَنَفْسٍ زَكِيَّةٍ

وبوفاته افتقد صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق دماثة أخلاقه، فوقف راثياً إياها متسائلاً عن تلك الصفات، فقال⁴:

(الخفيف)

أَيْنَ ذَلِكَ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَحُسْنِ الْعَمَلِ ————— بَشْرٌ لِلزَّائِرِينَ عِنْدَ اللِّقَاءِ

وهكذا نرى أنّ الأدب ركز على سمات ابن تيمية الخلقية وجعلها في مرتبة عالية من سمو والأصالة في ذاته، ورسم له صوراً متعددة في الكرم والجود والشجاعة والحلم واللين ودماثة الخلق.

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 583.

² البزار: الأعلام العلية، 29، 30.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 531. الكرمي: الكواكب الدرية، 225.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 479.

الفصل الثاني

صورته الدينيّة

أفاض الأدباء في الحديث عن حياة ابن تيمية الدينية، وتصوير قوة إيمانه وإخلاصه في عبادة الله وطاعته وعمل الصالحات، وقد جاء ذلك في سياق الحديث عن تعبده، وزهده وإيثاره، وفراسته، وجهاده، وتأييده، ويمكن إجمال ذلك كله في:

أولاً: تعبده

إنَّ قارئ حياة ابن تيمية يلاحظ أنه كان متمثلاً دين الله في مواقف حياته كلها، هذا ما صورته بعض المصادر الأدبية إذ رسمت له صوراً متنوعة، وقد جمعها ابن شاکر الكتبي في قوله: " الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع القدوة المحقق، شيخ الإسلام تقي الدين ¹، ويعد ابن عبد الهادي هذه الصفات، قائلاً: " ورعاً عفيفاً، عابداً ناسكاً، صواماً قواماً، ذاكراً لله تعالى في كلِّ أمر وعلى كلِّ حال، رجّاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، ²، أما في الشعر، فهذا صفي الدين عبد المؤمن يُجمل صفاته الدينية في بيتين شعريين، يُعاش القارئ فيهما حياة ابن تيمية، التي تراوحت بين صبرٍ وشكر، وخضوع واستسلام، وتزهد وعبادة، إذ قال ³:

(الخفيف)

وَرَعَ ظَاهِرٌ وَنُسُكٌ وَإِخْبَاءٌ تَشُكْرٌ فِي شِدَّةِ وَرَخَاءِ
وَالْتَقَى وَالْعَفَافُ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنَى يَا حُلَاهُ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ

قدّم الشاعر صورة متكاملة عن حياة ابن تيمية الدينية، وأحاط بالصفات الدينية التي تمثلها في حياته إحاطة السوار بالمعصم، ومثله في قول جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الخضري أيضاً ⁴:

¹ ابن شاکر الكتبي: عيون التواريخ، مخطوطة 276. انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، 398.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 10

³ المصدر نفسه، 481

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 508. الكرمي: الكواكب الدرية، 203

(الكامل)

مُنْزَهًا مُتَعَبِّدًا مُتَهَجِّدًا مُتَخَشِّعًا مُنَوَّرَعًا مُتَدِينًا

وجمع بدر الدين بن عز الدين المغيبي بعض صفات الشيخ، متمماً للصفات السابقة، وأشار إلى حرصه على أداء فرائض الله، حين ألبسه لباس الصوفية، وقرن انكبابه الديني بالصوفيين ونهجهم، في قوله¹:

(الكامل)

وَتَصَوُّفٌ وَتَقَشُّفٌ² وَتَعَفُّفٌ وَقِرَاءَةٌ وَعِبَادَةٌ وَصِيَامٌ

ويشير ابن فضل الله العمري إلى تميزه عن سبقه في هذه الصفات، فيؤكد بُعدَه كل البُعد عن التقصير والتفريط، والسامة والضيق، فقال³:

(البيسط)

بَدَّ السَّوَابِقَ مُمْتَدُّ الْعِبَادَةِ لَا يَنَالُهُ مَلٌّ فِيهَا وَلَا ضَجْرٌ

وكان للقبه نصيب في حياته، وفي صفاته، وتدينه، فوقف بعض الشعراء عند لقبه، ووظفوه في مدحه، ومن ذلك قول تقي الدين محمود بن علي ابن مقبل الدقوقي⁴:

(الطويل)

وَكُنْتَ تَقِيَّ الدِّينِ مَعْنَى وَصُورَةً قَوُولًا، وَخَيْرُ الْقَوْلِ عِنْدَكَ جِدُهُ

وقول سعد الدين سعد الله بن بُخَيْخ، إذ أكد على صلاح أموره وكمال خلقه⁵:

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 504. الكرمي: الكواكب الدرية، 209.

² القَشْفُ: يُبْسُ العَيْشِ. وَتَقَشَّفَ الرَّجُلُ: تَرَكَ التَّرْفَةَ وَالتَّعَمَّ. ابن منظور: لسان العرب، مادة "قَشْف". إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات وآخرون: المعجم الوسيط، مادة "قَشْف".

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 539. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 344. المقرئ: المقفى الكبير، 475/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 183.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 514. الكرمي: الكواكب الدرية، 213.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 559.

(الخبيف)

يَا تَقِيَّ الدُّنْيَا مَعَ الدِّينِ، يَا مَنْ خُصَّ بِالْفَضْلِ وَاكْتَمَالَ الْمَعَانِي

وبيّن مجير الدين أحمد بن الحسن البغدادي الدمشقي الخياط أنّ الشيخ ابن تيميّة كان مخلصاً مقلباً على طاعة الله منذُ صغره، فسور انقياده لأوامر الله وأحكامه وتمسكه بها، في قوله¹:

(الطويل)

مُنِيباً إِلَيْهِ قَائِماً بِحُدُودِهِ إِلَى حِينٍ وَلَى، مُذْ نَشَأَ وَتَرَ عَرْعَا
مُطِيعاً لِرَبِّ الْعَرْشِ لَمْ يَعْصِ أَمْرَهُ وَمَنْهُ لَهُ فِي الْعَصْرِ لَمْ نَرَ أُطُوعَا

ولما كانت حياة ابن تيميّة لا تخلو في جانب من جوانبها من ذكر الله، فقد احتلت دلالتها مكانةً واسعةً من بين الدلالات التي أشار إليها الأدب، فقد جاءت أقوال الأدياء تموج موجاً بألفاظ العبادة، فعبروا عن تماهيه الكامل في حب الله، وذوبانه فيه قلباً وجسداً وروحاً، وكشفوا عن صلته الروحية الواضحة وضوح الشمس، تجلّى ذلك في قول ابن حجر العسقلاني عندما تحدث عن تدنيه، فنفى وجود شبيهه للشيخ في توكله على الله واعتماده عليه، في قوله: "لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه".²

ويقف الموقف ذاته البزّار إذ أشار إلى أنه من القلائل الذين شهد لهم الزمان بتفردهم في العبادة، وأكد اعتكافه وقطعه العلائق عن الخلق كلهم، واتصاله بالخالق، في قوله: "أما تعبده رضي الله عنه، فإنه قلّ أنْ سُمعَ بمثله، لأنه كان قد قطع جُلّ وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يُرادُّ له من أهلٍ ولا من مال"³.

أمّا ابن الوردي، فيرى أنّ ابن تيميّة مُجَلُّ الله ولأمره، فزيادة إيمان قلبه بالله، وإجلاله له، قادتته إلى تعظيم الحُرّمات، وبيّن أيضاً أنه كان رطب القلب واللسان في كل أوقاته وأحواله

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 477.

² ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 161/1.

³ البزار: الأعلام العلية، 37. الكواكب الدرية، 83.

وشؤونه، جهراً وسراً، قولاً وعملاً، فقال: " كان معظماً لحرمان الله دائماً الابتهاال، كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يديهما"¹، ويستحضر ابن الجزري مثلاً يُدلل به على نقاء قلبه وصدقه، قائلاً: " ومن ذكره كان دائماً يقول: يا حيّ يا قيوم، برحمتك أستغيث، لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يشخص إلى السماء حتى يغيب بكليته"². وكتب البزار في صفحاته من أذكاره بعد الصلاة " فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عزّ وجلّ هو ومن حضر بما ورد من قوله: " اللهم أنت السلام ومنك السلام"، ثم يقبل على الجماعة، ثم يأتي بالتهليلات الواردة حينئذ، ثم يسبّح الله ويحمده ويكبّره ثلاثاً وثلاثين، ويختم المائة بالتهليل"³.

ويكشف القول المتقدم أنّ الشيخ ألزم نفسه الجلوس بعد الصلاة بالذكر، تسبيحاً وتهليلاً، وبتردادها يكشف تشبّهه بها. والبزار في حديثه عن الذكر يوضح سبيله في ذلك، وما اعتاد عليه، فقد بيّن أنه دأب على استهلال يومه بالذكر حتى ترتفع الشمس، فصور إخلاصه في ذلك فلا يكلم أحداً إلا لضرورةٍ دعت، أو حاجةٍ لحّت، وأشار أيضاً إلى تماهيه في الكون وتأمّله في ملكوت الله، من خلال تصوّيره تقليب بصره نحو السماء، وأكد أنّ ذلك هو حاله أيضاً عند زوال الشمس⁴، ويأتي ذلك شاهداً على سير ابن تيمية على مذهب السلف الصالح، واقتدائه بسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: " مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة، ثم قعدَ يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم صَلَّى ركعتين؛ كانت له كأجر حجةٍ وعمرَةٍ، تامة، تامة، تامة"⁵.

وتجلّت هذه الصورة أيضاً في قول تلميذه ابن قيم الجوزية، الذي يسرد في كتابه " الوابل الصيب" حادثة جرت معه، يؤكد فيها مداومة الشيخ على الذكر، وبيّن أنّ ذكر الله يمدّه بطاقة يستغنى بها عن الطعام، في قوله: " وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرةً: صَلَّى الفجر، ثم

¹ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 410.

² ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 309/2.

³ البزار: الأعلام العلية، 37.

⁴ انظر: المصدر نفسه، 38.

⁵ التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب: مشكاة المصابيح، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط1، بيروت: دار الفكر، 1990، كتاب الصلاة، 288/1، 289. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط.)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت.)، كتاب الصلاة، باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد، حديث رقم (568)، 481/2.

جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ، وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتعدّ هذا الغداء، لسقطت قوتي".¹، وتأتي مداومته على الأذكار استجابةً لنداء الله عزّ وجل في كتابه: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً* وسبحوه بكرةً وأصيلاً}². ويستحضر قولاً آخر يدل دلالة واضحة على إلزام نفسه بالاستغفار والذكر طيلة الوقت، فيكشف أنه إذا ترك التسبيح، لا يتركه إلاّ تجديداً واستعداداً لتسبيح وذكّر آخر، فهو في حقيقة الأمر لا يتركه أبداً، في قوله: "قال لي مرة: لا أترك الذكر إلاّ بنية إجمام نفسي وإراحتها، لأستعدّ بتلك الراحة لذكرٍ آخر"³، وكان صدى ذلك جلياً في الشعر أيضاً، فهذا زين الدين عمر بن الحسام الشبلي يصور استحضاره الله قياماً وعوداً، وفي الغدو والآصال، في قوله⁴:

(الكامل)

أَيُّ خَاشِعٍ أَيُّ شَاكِرٍ أَيُّ ذَاكِرٍ اللَّهُ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ

وأكدّ أمين الدين عبد الوهاب بن سلاّر الشافعيّ حرصه على ترديد الأذكار، وابتعاده كل البعد عن المعاصي والغفلة والنسيان، في قوله⁵:

(الخفيف)

كَانَ اللَّهُ ذَاكِرًا كُلَّ وَقْتٍ وَعَنِ اللَّهِ وَالضَّلَالِ بَعِيدٌ

وذكر العبد ربه محفوف بالعديد من الفضائل، إلاّ أنّ أعظمها ما يرثه المرء من ذكر الله سبحانه وتعالى له، بين أهل الأرض وأهل السماء، وقد أشار إلى ذلك ابن الخصري، إذ أكدّ أنّ مداومته على الذكر والاستغفار، أغنته عما يُكنى به الناس تفخميّاً لشأنهم، في قوله⁶:

¹ ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1425هـ، ص96.

² سورة الأحزاب، آية 41_42.

³ ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب، ص96.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 494. الكرمي: الكواكب الدرية، 200.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 548.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 508. الكرمي: الكواكب الدرية، 203.

(الكامل)

شَيْخُ الْأَنَامِ وَحُجَّةُ الْإِسْلَامِ مَنْ أَغْنَاهُ نَشْرُ الذِّكْرِ عَنِ ذِكْرِ الْكُنَى

ويورد مُغلطاي بن قليج المصري¹ قصةً تشير إلى تعلق ابن تيمية بالله وقوته وعظمته، فعندما التقى بالشيخ ابن تيمية في القاهرة، سأله الوصية والدعاء، فأجابته: " يا غلام، رُوينا في كتاب الترمذي بإسناد ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس: " يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجففت الصحف."^{2 3} يتجلى من خلال الموقف السابق واستحضاره الحديث النبوي إيمانه المطلق بالقوة الإلهية، فقد أوصاه باستشعار مراقبة الله سبحانه وتعالى له، والاستعانة به وحده، وعبر عن ذلك الشعراء فصور سعد الدين سعد الله بن بختيار إخلاص ابن تيمية في العزم والتوكل على الله، وأكد قوة إيمانه، ونوره القلبي ويقينه في عون الله وإجابته، فقال⁴:

(الكامل)

وإِلَيْهِ أَخْصَتِ التَّوَكُّلَ مُوقِنًا أَنْ لَيْسَ يُخْذَلُ مَنْ بِهِ يَسْتَنْجِدُ
ثُمَّ اسْتَخَرْتَ اللَّهَ وَاسْتَفْتَحْتَهُ فِيمَا تَرَوُّمُ مِنَ الْأُمُورِ وَتَقْصِدُ

ويؤكد ذلك شاعر آخر، فأثبت أنه إذا همَّ به أمر سأل الله واستعان به، فقال⁵:

¹ هو مُغلطاي بن قليج بن عبد الله بن المصري البكري، الحافظ علاء الدين أبو عبد الله الحكري الحنفي. ولد سنة 690هـ وتوفي سنة 716هـ، وتذكر بعض المصادر أنه ولد 689هـ، وهو تركي الأصل، مستعرب، مؤرخ من حفاظ الحديث، عارف بالأنساب، نقادة له مأخذ على أهل اللغة وعلى كثير من المحدثين. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 352/4. الزركلي: الأعلام، 275/7.

² الإمام ابن حنبل أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الفكر، 293/1. الترمذي: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (59)، رقم الحديث: 2516، 575/4.

³ ابن قليج المصري: "الإيصال لكتاب ابن سليم وابن نقطة والإكمال": الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 343

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 568.

⁵ المصدر نفسه، 556.

(البيسط)

فَاسْتَرَشَدَ اللهُ فِي الإِصْدَارِ عَنِ بَدِي نَبَا بِهِ، وَاسْتَخَارَ اللهُ، ثُمَّ غَدَا

ويعزي عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي الحريري، المعروف

بالمتميم نفسه لخسارته نفس ابن تيمية التي عمر الإيمان قلبها كل حياتها، كما يبدو في قوله¹:

(الطويل)

فَقَدْتُ إِمَامًا لَمْ يَزَلْ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللهِ لَا يُصْغِي إِلَيَّ غَيْرِ سُنَّةٍ

ومن مظاهر تعبده التي صورها الأدب أيضًا، الخشوع لله والخضوع بين يديه، ويشهد

كل من عايش ابن تيمية وسعد بصحبته استكانته لله رب العالمين في صلاته، يتضح ذلك في

قول ابن الوردي، إذ عبّر عن طمأنينة نفسه وجوارحه وهو واقف خلف الشيخ في الصلاة، فقال:

" صَلَّيْتُ خَلْفَهُ التَّرَاوِيحَ فِي رَمَضَانَ فَرَأَيْتُ عَلَى قِرَائَتِهِ خُشُوعًا، وَرَأَيْتُ عَلَى صَلَاتِهِ رَقَّةً حَاشِيَةً

تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ." ²، وذلك لإيمانه أنها من صفات الفالحين، لقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} ³.

ويُسلِّطُ البزَّارُ الضوءَ على أدائه تكبيرة الإحرام، فصور قوته وصدقه تارةً، وأثرها في

ملامسة القلب وانسراح الصدر تارةً أخرى، في قوله: " وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع

القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام." ⁴، ويتابع كاشفًا قنوته لله، فصور كيف تسير في قلبه وجلده

خشية الله تعالى، وقد تذوق كلامه حتى بان على جوارحه، في قوله: " فإذا دخل في الصلاة

ترتعد أعضاؤه حتى يמיד يمنة ويسرة. وكان إذا قرأ يمدّ قراءته مدًا كما صحَّ في قول رسول الله

صلى الله عليه وسلم" ⁵. وفي السياق ذاته أورد ابن رجب دليلًا آخر يثبت حب الشيخ لله، من

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 527. الكرمي: الكواكب الدرية، 223.

² ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 408/2.

³ سورة "المؤمنون": آية 1-2.

⁴ البزار: الأعلام العلية، 37.

⁵ البزار: الأعلام العلية، 37. الكرمي: الكواكب الدرية، 83.

خلال تصوير إطلالته بين يدي الله، يرجو رحمته، في قوله: " ويصلي بالناس صلاةً لا يكون أطول من ركوعها وسجودها"¹.

ويأتي قيام الليل أيضاً مظهرًا من مظاهر تعبده وصورته الدينية، وهو مشهد حبّ الله؛ وذلك لأنّ الإنسان يخالف به هواه حبًا لحبيبه، فهذا البزّار يؤكد تهجده وقيامه بين يدي الله، في قوله: " وكان في ليله متفرّدًا عن الناس كلّهم، خاليًا بربه عزّ وجلّ، ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن الكريم، مكرّرًا أنواع التعبّات الليليّة والنهاريّة."²، هذا ما أثبتته غير شاعرٍ، مؤكّدين ترك الشيخ النوم وعكوفه على مناجاة باريه في الظلام، مصلّيًا داعيًا مستغفرًا، يتجلّى ذلك في قول زين الدين عمر بن الحسام الشبلي³:

(الكامل)

يَجْفُو الْمَضَاجِعَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا أَوْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي الظُّلْمَاءِ

وقول مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، إذ بيّن كثرة قنوته آناء الليل من جهة، ووصله الليل بالنهار من جهة أخرى، في قوله⁴:

(الخفيف)

كَمْ لَهُ فِي حَنَادِسِ⁵ الخَطْبِ والنَّاءِ س⁶ نِيَامٍ حَتَّى الضُّحَى مِنْ قِيَامٍ

ويشير بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني إلى فضل قيامه في ظلمات الليل، فيوضح أنّها تجارة المؤمنين وعمل الفائزين، ويذكر جميل خصاله، فيشكل بذلك صورةً جامعةً بين صفاته الدينية وأخلاقه، في قوله⁷:

¹ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 4/510، 509.

² البزّار: الأعلام العلية، 37. الكرمي: الكواكب الدرية، 83.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 493. الكرمي: الكواكب الدرية، 199.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 474.

⁵ الحنّديس: الظلمة، الليل الشديد الظلمة. والحنّاديس: ثلاث ليالٍ من الشهر لظلمتهن. ابن منظور: لسان العرب، مادة "حنّديس".

⁶ أشار في الهامش، والخلق نيام.

⁷ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 579.

(الطويل)

بِفَضْلِ صَلَاةٍ مَعَ صَلَاتِكَ فِي الدُّجَى وَجُودِكَ وَالْإِحْسَانِ أَرَبِحْتَ مَغْنَمًا

أما حياته في السجن، فقد شهد الأدب أنها لا تختلف كثيرًا عن حياته خارجه، فأكدَّ الأدباء مواصلته في التوجه لله سبحانه وتعالى تعبدًا وتهجدًا، يصور ابن رجب الحنبلي¹ في مؤلفه "الذيل على طبقات الحنابلة" مناجاة الشيخ لله وهو ساجد في غياهب الظلم، طالبًا منه العون على ذكره وشكره وعبادته على أتم وجهه، فقال: "وكان يقول في سجوده، وهو محبوس: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"².

ويبقى شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي الأصل، المعروف بابن الكوشة الضوء على صورة أخرى من صور تعبد داخل السجن، إذ صور كيف بدد وحشة المكان وقفرته بتلاوة آيات الله، فكان ذكر الله أنيسه فيه، فقال³:

(الكامل)

فَخَلَا بِهِ يَتْلُو عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَكَأَنَّ الْحَبِيبُ مُؤَانِسٌ وَسَمِيرٌ

وبناء على ذلك، يرى برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم ابن الكوشة، أنه لا ضرر عليه ولا خوف مادام برب العالمين خاليًا مستأنسًا، في قوله⁴:

(الطويل)

وَمَا ضَرَّهُ أَنْ طَالَ فِي السَّجْنِ مُكْتَهُ إِذَا كَانَ فِي نُسْكَهِ وَطَاعَةِ رَحْمَنِ

¹ ابن رجب الحنبلي: هو عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي، زين الدين، جمال الدين أبو الفرج الدمشقي الحنبلي، ولد سنة 706هـ ببغداد، وتوفي سنة 795هـ، وقدم دمشق مع والده، فسمع معه من محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وإبراهيم بن داود العطار وغيرهما. وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة، منها شرح البخاري وسماه فتح الباري في شرح البخاري، وكتاب اللطائف، والذيل على طبقات الحنابلة. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 428/2، 429. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/339.

² ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 4/519.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 486. الكرمي: الكواكب الدرية، 205.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

وأكد أحد الشعراء أن قراءة الشيخ للقرآن الكريم كانت قراءة تدبر وتعقل، وهداية واستقامة، فيشير أن عدد قراءاته بلغ الثمانين قراءة¹، في قوله²:

(الطويل)

وَفِي سِجْنِهِ يَتْلُو ثَمَانِينَ خَتْمَةً قِرَاءَةً تَرْتِيلٍ وَقَصْدَ سَبِيلٍ

وأشار الأدب إلى أن دعوته للحق والتذكير بالله، تجلت أيضاً في السجن، فقد أنكر الشيخ ابن تيمية على أهل السجن ما هم عليه من لهو ولعب، فأمرهم بالصلاة، وصالح الأعمال، وبرز ذلك فيما أورده ابن عبد الهادي في سيرته، بقوله: " ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عمّا هم فيه، كالشطرنج والنرد،... فأنكر الشيخ ذلك عليهم أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلمهم من السنة ما يحتاجون إليه...³."

وبيّن البزار افتتاحه الدعاء وختمه بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم سألته المغفرة والهداية له ولكل طوائف المسلمين⁴. مستحضراً أكثر الأدعية تردداً على لسانه " اللهم انصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسر الهدى لنا. اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، اليك راغبين، لك مُخْبِتِينَ، اليك راهبين، لك مطاوعين. ربنا تقبل توباتنا، واغسل حوباتنا، وثبت حجبتنا، واهد قلوبنا، واسل سخيمة صدورنا"⁵.

¹ وتورد مصادر أخرى أنه ختم إحدى وثمانين ختمة، إلا أنه بقي من الأخيرة من سورة الرحمن إلى سورة الحمد. انظر: النووي: نهاية الأرب، 276/33. ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 307/2. ابن كثير: البداية والنهاية، 144/13. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 525/4. ابن العماد: شذرات الذهب، 86/6.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 575.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 330، 331.

⁴ انظر: البزار: الأعلام العلية، 37.

⁵ المصدر نفسه، 38.

وسجّلَ الشعرَ أيضاً دعاءه لولاية الأمر من المسلمين بالصلاح والتسديد، والنصر على الأعداء، ومن ذلك دعاؤه للسلطان الناصر¹، الذي يدل على حرص الشيخ ابن تيمية على البلاد والأمة على السواء، يتجلّى ذلك في قول أحدهم²:

(البسيط)

يَدْعُو لِسَيِّدِنَا السُّلْطَانَ نَاصِرٍ دِي — مِنْ اللَّهِ نَجَلٍ قَلَاوُونَ الْفَتَى أَبْدَا
بَأَنْ يَدُومَ لَهُ فِي الْمَلِكِ أَرْبَعَةٌ: عِزٌّ، وَنَصْرٌ، وَتَأْيِيدٌ وَكَبْتٌ عِدَى
حَتَّى يُمَلِّكَهُ اللَّهُ الْعِرَاقَ فَيَمِّمَ — حَوْ الشَّرْكَ، وَالرَّقْضَ مِنْهَا، وَالَّذِي مَرَدَا

وبعد وفاته، صوّرت المراثي الأثر الذي خلفه رحيل الشيخ ابن تيمية على الدين والأماكن الدينية، فصوّر بدر الدين بن عز الدين المغيبي تفجع الدين، مؤكداً أنّ ابن تيمية الذاب عن الدين، وحاميه، وقد غدا بعد وفاته وحيداً يكابد القهر والاضطهاد، في قوله³:

(الكامل)

وَتَفَجَّعَ الدِّينَ الْقَوِيمُ لِفَقْدِهِ وَبَقِيَ غَرِيباً يُبْتَائِي وَيُضَامُ
مُذَمَّاتَ نَاصِرِهِ الَّذِي أَوْصَافُهُ أَبْدَا تَكُونُ عَلَيَّ سِوَاهُ حَرَامُ

ويصوّر شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي أنّ بمفارقة الشيخ الحياة الدنيا ترك فراغاً لا يملأ، من خلال تصويره ازدياد شرخ الدين، بقوله⁴:

(البسيط)

يَا ثُلْمَةً ثُلِمَتْ فِي الدِّينِ وَاتَّسَعَتْ وَلَسْتُ حَتَّى اللَّقَا وَالْحَشْرُ تَلْتَمِي

¹ الملك الناصر بن قلاوون: هو محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، الملك الأعظم ناصر الدين ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين. ولد سنة 684هـ وتوفي سنة 741هـ، كان ملكاً مطاعاً مهيباً محظوظاً، ذا دهاء وحزم ومكر، طويل الصبر على ما يكره، وفي فترة حكمه تعرضت البلاد لغزو التتار، فكان له دور كبير في صدّهم والدفاع عن الديار الإسلامية. انظر: أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود: المختصر في أخبار البشر، ط1، بيروت: دار المعرفة، (د.ت)، 143_126/2. الصفدي: الوافي بالوفيات، 374_353/4. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 265_261/4.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 557.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 501. الكرمي: الكواكب الدرية، 208.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 483.

وصور الأدب بكاء الأماكن الدينية التي تؤدي فيها الشعائر، فقد ترددت في قصائد الرثاء صورة المساجد والمصليات، وهي باكية، تحن إليه غير مرة¹، برز في قول تقي الدين محمود بن علي ابن مقبل الدقوقي²:

(الكامل)

أَبْدَى مُصْلَاكَ الْبِكَاءَ وَحَسْبُهُ يَبْكِي عَلَيْكَ وَحَقُّهُ يَتَدَمَّمُ
أَسْفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ وَرْدِهِ وَاللَّيْلُ سَاجٍ وَالْخَلِيقُ نُومٌ

وصور شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي وحشة المنابر وحنينها وبكاءها، في قوله³:

(البسيط)

بَكَى عَلَيْهِ مُصَلَّاهُ وَمَنْبَرُهُ وَفِي الْخُدُورِ بَكَتَهُ أَعْيُنُ الْحُرْمِ

ثانياً: زهده

ومن مظاهر الصورة الدينية التي عبّر عنها أيضاً الأدياء في كلمتهم شعراً ونثراً، زهده في الدنيا وزخرفتها ومتاعها، ورغبته في الآخرة؛ ويشير البزار في سيرته أن ابن تيمية قد جُبل قلبه منذ الصغر على ترك الدنيا والتعلق بالآخرة؛ وذلك في قوله: "أما زهده في الدنيا ومتاعها. فإن الله تعالى جعل ذلك له شعاراً من صِغَرِهِ"⁴، ويستشهد بقصة تثبت ذلك، خلاصتها أن والد ابن تيمية طلب من شيخه معلم القرآن أن يعده بمبلغ من المال إذا واصل القراءة والدروس مكافأة له، وليزداد حرصاً على تعلم القرآن الكريم وحفظه، إلا أنه امتنع عن أخذها، وعلل ذلك أنه عاهد الله ألا يأخذ على القرآن أجراً ومقابلاً⁵. وبين أنها غدت سمة يعرفه بها القريب والبعيد

¹ انظر: عبد الرحيم رائد: فن الرثاء، ص 148.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 521.

³ المصدر نفسه، 485.

⁴ البزار: الأعلام العلية، 44.

⁵ انظر: المصدر نفسه، 44.

على السواء، وبات مضرِباً للأمثال في زهده ورفضه متع الدنيا¹، وبدا ذلك في قول عبد الباقي بن اليماني: " وأما الزهد في الدنيا، ورفض زُحرفها: فالإيه الغاية، وعنده يوجد في هذا الشأن النهاية.²"

وبرزت هذه الصورة أيضاً في القصائد الشعرية التي تغنت بابت تيمية، فقد اجتهد الشعراء في رسم صورته الزاهدة والقنوعة باليسير، والمترفعة عن زاد الدنيا وجاهها وأموالها، وكان بذلك متبعاً خطى السابقين والصالحين، فهذا نجم الدين اسحاق بن أبي بكر ابن ألمى التركي يساوي بينه وبين من سبقوه من الصلحاء في عفته وزهده وإيثاره الآخرة على الدنيا، إذ قال³:

(الطويل)

وَلَيْسَ لَهُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ مُشَبِّهٌ سِوَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ⁴ وَابْنِ الْمُسَيَّبِ⁵
الْمُسَيَّبِ⁵

ويتجلى ذلك عند الشاعر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي الحريري، المعروف بالمتيم الذي قرن الشيخ بأولياء الله الصالحين، الذين خصهم سبحانه وتعالى بالكرامات، فجعله صنواً لهم في استصغار الدنيا والعزوف عنها، فقال⁶:

¹ انظر: البزار: الأعلام العلية، 45.

² اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد: "لغة العجلان في مختصر وفيات الأعيان". انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، 246.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 456. الكرمي: الكواكب الدرية، 75.

⁴ الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري. ولد 21هـ، وتوفي بالبصرة سنة 110هـ، كان من سيد أهل زمانه علماً وعملاً، جامعاً بين العلم والزهد والورع والعبادة. انظر: ابن خلكان شمس الدين أبا العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة، (د.ت)، 73_69/2. الذهبي: سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: مأمون الصاغري، ط10، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994، 563/4.

⁵ ابن المسيب: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم، أبو محمد القرشي المدني. ولد 15هـ، وتوفي سنة 94هـ. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع. وكان ممن برز في العلم والعمل. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 375/2. الذهبي: سير أعلام النبلاء، 217/4.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 536. الكرمي: الكواكب الدرية، 230.

(البسيط)

فِي زُهْدِهِ مَا سَمِعْنَا مَنْ يُشَاكِلُهُ إِلَّا رِجَالٌ مَضَوْا أَهْلَ الْكِرَامَاتِ

وتحدث القاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ عن هذا العزوف والترفع، فوصف

كيف أزال الله الدنيا وآثارها من قلبه، في قوله¹:

(الكامل)

يَلْوِي عَنِ الدُّنْيَا، وَمَا يَعْنَى بِهَا وَزَوَاهِ عَنْهَا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

ويشير صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق إلى رضاه بما قسم الله له، فأكد أنه غنيٌّ

بما عند الله، قائلاً²:

(الخفيف)

قَانِعُ النَّفْسِ بِالدُّنْيَا مِنَ الْعَيْسِ — شِ غَنِيًّا يُعَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ

وتجلى ذلك في قول بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني، إذ أكد تقضيل ابن

تيمية دار النعيم والجزاء على دار العمل والبلاء، في قوله³:

(الطويل)

قَنِعْتُ وَفِي الدُّنْيَا زَهْدَتَ دِيَانَةً وَفَارَقْتُهَا وَاخْتَرْتُ ضَرَّتَهَا الْأُخْرَى

والقارئ للأدب الذي صور حياة ابن تيمية يخلص إلى أنه كان قليل الراحة والنتعم، فلم

يُحَبِّبُ إِلَى قَلْبِهِ الْبَذْخَ وَالتَّرْفَ فِي الطَّعَامِ وَالتَّشْرَابِ وَالتَّلْبَاسِ، وَقَدْ أَشَارَ الذَّهَبِيُّ إِلَى ذَلِكَ، إِذْ تَحَدَّثَ

عَنْ تَرْكِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ لَذَاتِ الدُّنْيَا، غَيْرَ فَرِحَ بِهَا، مَصَوِّراً يَقِينَةً أَنَّ لِلْعِلْمِ لَذَةً لَا تَضَاهِيهَا لَذَةُ مَنْ

الذَّاتِ الْفَانِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: "فَارِغاً عَنْ شَهْوَاتِ الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالتَّجْمَاعِ، لَا لَذَّةَ لَهُ فِي غَيْرِ نَشْرٍ

¹ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 458.

² المصدر نفسه، 481.

³ المصدر نفسه، 577.

العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه"¹، وبين مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، أنه لم يدخر لغيره ذهباً ولا فضةً، وإنما كان علمه وعمله خير ميراث في قوله²:

(الكامل)

وَلَأَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ عِلْمٌ نَافِعٌ لَا دِرْهَمٌ يُقْتَلَى، وَلَا دِينَارٌ

وبين جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الخضري أن طيب سيرته خير أثر تركه الشيخ خلفه، فقال³:

(الكامل)

لَمْ يَدْخُرْ قُوتاً لِأَجْلِ غَدٍ وَلَا أَبْقَى لَهُ إِرْثاً سِوَى حُسْنِ الثَّنَا

تتجلى الصورة ذاتها عند الحسن ابن الحبيب، الذي صرح بانصراف الشيخ ابن تيمية وهجرانه متع الدنيا كافةً، فلم يكن لديه مَيْلٌ ولا لذةً، ولم يجمع شيئاً من حطامها؛ في قوله: " وإعراض عن الدنيا بالجملة الكافية، لا يكثرث بنصرتها وبهجة نزارها، ولا يلتفت إلى المنقوش من درهمها ودينارها"⁴، يُقرُّ بذلك ابن الغانم أيضاً في قوله⁵:

(الخبيف)

زَاهِدٌ، عَابِدٌ، تَنَزَّهُ فِي دُنُوِّ ————— يَاهُ عَنْ كُلِّ مَا يَهَا مِنْ حُطَامٍ

وصور مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط نفور الشيخ وبغضه الدنيا يفوق بغض الإنسان سليم الصحة المرض، ويشير إلى أنه لم يُراءِ أحداً من ذوي السلطة سعياً في تحصيل ما لديهم من نعيم وأموال⁶:

¹ الذهبي: المعجم المختص، 25. الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، 135.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 470.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 508. الكرمي: الكواكب الدرية، 203.

⁴ ابن حبيب: تذكرة النبيه، 185/2.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 463. الصفدي: الوافي بالوفيات، 328/4. أعيان العصر، 249/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 191.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 473.

(الخبيف)

كَانَ حُبُّ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بَغِيضًا فَوْقَ بُغْضِ الصَّحِيحِ ثَوْبَ السَّقَامِ
كَانَ لَا يَرَهُبُ المَلُوكَ وَلَا يَرُ غَبُّ فِيمَا لَهُمْ مِنَ الإِنْعَامِ

وبيّن في موضع آخر من القصيدة، اقتصاده في عيشه وبساطة حاله، فلم يفاخر بطعام ولا لباسٍ قط، في قوله¹:

(الخبيف)

لَمْ يَكُنْ ذَا تَأْنُقٍ فِي مَتَاعٍ وَلِبَاسٍ، وَمَشْرَبٍ، وَطَعَامٍ

وأطال البزار في الحديث عن ذلك، فقد أفرد لهيئته ولباسه، وطعامه وشرابه فصلاً كاملاً، أكدّ فيه توسطه في حياته، كغيره من سائر الناس، فلم يُبالغ في لباسٍ فيرْمَق، ويُمَيِّز، وأضاف أيضاً أنه يأكل مما حضر. وتابع البزار أنه قد أخبر غير مرة ممن لازم الشيخ، أنه ما طلب غداءً ولا عشاءً، بل على العكس من ذلك يُؤتى بالطعام، فلا يلتفت إليه زمنياً، وذلك لانشغاله بما يقربه إلى الله²،³ ومثل هذه المعاني تجلّت في قول بدر الدين بن عز الدين المغيبي، إذ سلّط الضوء على عزيمة ابن تيمية وإرادته، في قوله⁴:

(الكامل)

حَدَّثَ بِلا حَرَجٍ وَقُلَّ عَن زُهْدِهِ مَا شِئْتِ لَا رَدًّا وَلَا آثَامَ
هَجَرَ المَطَاعِمَ وَالمَلَابِسَ وَالدُّنْيَا وَلِعَزَمِهِ فِي تَرْكِهَا إِحْزَامَ

ويعقد عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتميم مقارنة بين نفس ابن تيمية الشريفة التي لم ترضَ بالدون، وبين ما دون ذلك الذين تحوم حول الدناءة نفوسهم وقلوبهم، قائلاً⁵:

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 473

² انظر: البزار: الأعلام العلية، 51، 52. الكرمي: الكواكب الدرية، 87.

³ للإطلاع على المزيد من الأمثلة، انظر: البزار، الأعلام العلية، 45. الكرمي، الكواكب الدرية، 84.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 503. الكرمي، الكواكب الدرية، 209.

⁵ المصدر نفسه، 530. المصدر نفسه، 225.

(الطويل)

تَزْهَدَ فِي كُلِّ الْوُجُودِ وَغَيْرِهِ يَدُورُ عَلَى الدُّنْيَا بِنَفْسٍ دَنِيَّةٍ

ويقف الأدب خير شاهد على أن الدنيا لم تكن تساوي عنده شيئاً، بل ولم تكن يوماً بباله، يتجلى ذلك عندما حال الواشون بينه وبين الملك الناصر بأقوالهم وأداسيسهم، فزعموا أن في نفسه شيئاً من الملك، في قوله: " إني أُخبرتُ أنك قد أطاعك النَّاسُ، وأنَّ في نفسك أخذَ الملكُ" ¹، إلّا أن ابن تيمية لم يلق لذلك بالاً، بل أجابه جواباً أتّج صدره وأراح أساريه؛ كما يبدو في قول البزار: " فلم يكثر به، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عالٍ سمعه كثيرٌ ممّن حَضَرَ: أنا أفعل ذلك؟ والله إنَّ مُلْكَكَ ومُلْكُ المَعْلُ لا يساوي عندي فلسين" ²، فَحَسْبُكَ من إجابته موطناً ودليلاً على زهده عن الدنيا، وإقباله على الآخرة، ما دعا الملك الناصر إلى تصديقه، إذ قال: " إنَّكَ والله لصادقٌ، وإنَّ الذي وشى بك إليّ لكاذبٌ" ³، وهذه المعاني برزت في قول بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني ⁴:

(الطويل)

تَأخَّرَتْ عَنِ نَيْلِ الْمَنَاصِبِ رِفْعَةً وَمَثَلُكَ فِي أَيَّامِنَا مَا تَقَدَّمَ
تَخَيَّرْتَ مَا يَبْقَى عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فَأَرَبَحْتَ مِنَ تِلْكَ التِّجَارَةِ مَغْنَمًا

وتبيّن الأبيات المتقدمة أن ابن تيمية لم يرغب يوماً في المراتب والمغانم، وتفضيله لما هو خير وأبقى من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة من جهة ثانية.

ويقف عند المعنى ذاته برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد ابن الكوشة، فبيّن تحرره من أسر الدنيا وشهواتها، الجاه والشهرة، الرئاسات والشهادات، النساء والغلمان والبنين، فعاش هادئ البال، سامي النفس بعبادته منشغلاً بعلمه وإخلاصه فيه، في قوله ⁵:

¹ البزار: الأعلام العلية، 65. الكرمي: الكواكب الدرية، 98.

² المصدر نفسه، 65. المصدر نفسه، 99.

³ المصدر نفسه، 65. المصدر نفسه، 99.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 580.

⁵ المصدر نفسه، 491.

(الطويل)

وَلَمْ يَكُ مَشْغُولًا بِحُبِّ رِيَاةٍ وَلَا شَدَّ بَغْلَاتٍ وَلَا حُسْنَ غِلْمَانٍ
وَلَا كَانَ مَشْغُولًا بِجَاهٍ وَمَنْصَبٍ وَلَا رَفَعَ بُنْيَانٍ وَلَا غَرَسَ بَسْتَانٍ
وَلَكِنْ بَعِلِمٍ نَافِعٍ وَعِبَادَةٍ وَزَهْدٍ وَإِخْلَاصٍ وَصَبْرٍ وَإِيمَانٍ

ومن مظاهر زهده أيضاً، تورعه عن الأموال والهدايا والعطايا التي كانت تقدم له، هذا ما أورده ابن فضل الله العمري في متن مؤلفه "مسالك الأبصار" فقد بيّن أنه ترك فضول الدنيا وتخلّى عن الضروريّ وغير الضروريّ منها، فطال بذلك الغاية العليا؛ في قوله: "كانت تأتيه القناطير المقتطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، فيهبه بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه، لا يأخذ منه شيئاً إلاّ ليهبه، ولا يحفظه إلاّ ليذهبه كله في سبيل البر، وطريق أهل التواضع"¹، وقد أتاح بذلك الفرصة للحديث عن طيب أفعاله، فبيّن أنّها تراوحت بين هبة لذوي الحاجة، وحفظ لعابري السبيل. وفي سياق استدلاليّ يستحضر البرزالي ما قاله تاج الدين محمود ابن عبد الكريم الفارقي² حال عودته من زيارة الشيخ ابن تيمية من الديار المصريّة، فأثبت تورعه، وبيّن أنّه لم يتسخ بمالهم وهداياهم؛ في قوله: "إنّه لا يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنّس بشيء من ذلك"³، وفي السياق ذاته صورّه ابن حبيب سيّدًا عظيم الهمة مترفعًا عن الفضل والإحسان، إذ صرّح بفيض ورعه، بقوله: كان "هُمامًا لا يميل إلى حلاوة من المنّة، ذا ورع زائد"⁴.

ويُثبت ابن البرزّار في سيرته فصلاً كاملاً يؤكّد فيه ورع ابن تيمية وتجنبه الشبهات، فيظهر ميله الفطري إلى رفض المباح فضلاً عن الحرام، مستهلاً حديثه بالإشارة أنّه بلغ بذلك

¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 339. المقرئزي: المقفى الكبير، 1/ 474.

² هو محمود بن عبد الكريم بن محمود، تاج الدين أبو علي الفارقي، ولد سنة 650هـ وتوفي سنة 733هـ، وكان من الصلحاء الأخيار المنقطعين للعبادة والذكر والتلاوة ليلاً ونهاراً، عفيف النفس، كبير القدر ملازماً للجامع. انظر: ابن الوردي: تاريخ ابن الجزري، 3/ 633. الذهبي: معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روية عبد الرحمن السيوفي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، 609.

³ البرزالي: المقتفي، ج2 ق1، ص 346. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 310. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 513/4.

⁴ ابن حبيب: تذكرة النبيه، 2/ 185.

الغاية الكبرى؛ في قوله: " كان رضي الله عنه في الغاية التي ينتهي إليها الورع¹، ويعلل ذلك ذلك بأنها كانت ملازمة له طيلة حياته ومعاشرته للناس، بيعاً وشراءً، وتجارة وزراعة²، وبين أن ورع ابن تيمية من نعم الله عليه، وأحد طرق نيل توفيقه، مقارنة بغيره من طالب الدنيا الساعين لها، كاشفاً حالهم بين غلٍّ وحسدٍ، سعياً لتحقيق أغراضهم ومقاصدهم، في قوله: " لكن لكل شيء سبب، وعلامة عدم التوفيق سلب الأسباب. ومن أعظم الأسباب لترك فضول الدنيا التخلي عن غير الضروري منها. فلما وفق الله هذا الإمام لرفض غير الضروري منها انصبت عليه العواطف الإلهية فحصل بها كل فضيلة جلية، بخلاف غيره من علماء الدنيا، مختارياً وطالبيها والساعين لتحصيلها، فإنهم لما اختاروا ملاذها وزينتها ورياستها انسدت عليهم غالباً طرق الرشاد فوقعوا في شركها يخبطون خبط عشواء...³، وبدا صدى ذلك في الشعر أيضاً، فأكد شهاب الدين محمد أبو الطاهر البعلبي الحنبلي أن ابن تيمية سلم من الإقبال على الدنيا ونعيمها الذي وقع في شباكه الناس، بقوله⁴:

(البسيط)

وكلُّ شيءٍ بهِ جُلُّ الورى هلكوا فشِخْنَا ذُو التُّقى مِنْ شَرِّهِ سَلِمَا

وتحفل أبيات زين الدين عمر بن المظفر ابن الوردى بإشارات كثيرة عن طبيعية حياة الشيخ، فقد أشار إلى ورع ابن تيمية ومآله، في قوله⁵:

(الوافر)

تَقَى الدِّينِ ذُو وَرَعٍ وَعِلْمٍ خُرُوقُ الْمُعْضَلَاتِ بِهِ تُخَاطُ⁶

¹ البزار: الأعلام العلية، 41. الكرمي: الكواكب الدرية، 83.

² انظر: المصدر نفسه، 41. المصدر نفسه، 83.

³ البزار: الأعلام العلية، 42.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 589.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 466. ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، 406/2. الصفدي: الوافي بالوفيات 329/4.

أعيان العصر، 250/1. المقرئ: المقفى الكبير، 478/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 187.

⁶ ورد صدر البيت في بعض المصادر " تقي الدين أحمد خير حبر ". انظر: ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، 406/2.

المقرئ: المقفى الكبير، 478/1.

هكذا صورّ الأدب زهد ابن تيمية وورعه، فكان مثالاً ونموذجاً في الزهد، رغب عن الدنيا، ابتغاء ما عند الله من نعيمٍ مقيمٍ، وأكدَّ أنه سار في ذلك على خطى الصالحين أمثال الحسن البصري وابن المسيّب، وأشار إلى أنه لم يُفتن كبعض الخلق في سبل العيش وحبّ كسب المال، فلم يرغب في ولايةٍ، ولا زاحم في رياسته، ولم تزدهم الدنيا في قلبه، مستغنياً عن المال والبنين، مورثاً العلم والدين، ولقد شهد له صحبه الذين عاشروه وتعاملوا معه ورافقوه بذلك.

ثالثاً: إيثاره

ومن الصور التي صورها الأدب وتكشف عن حياة ابن تيمية الدينيّة ومعاشرته الناس؛ إيثاره. فعلى الرغم من شدة زهده وإعراضه عن الدنيا ورفضه لها، إلا أنه كان يُؤثر ما لديه وما يملك، كثر أو قلّ، فقد أفرد البزار الفصل السابع من سيرة ابن تيمية لإيثاره وعنونه " في إيثاره مع فقره، وتواضعه"، واستشهد بقصصٍ تُثبت ذلك؛ قال: " فقد كان يتصدّق حتى إذا لم يجد شيئاً نزع بعض ثيابه ممّا يُحتاج إليه فيصِل به الفقير"¹، فهذا أصدق مثالٍ على بذله وعطائه حال عسره، وعبر تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي ببيتٍ شعريٍّ عن هذا المعنى، فأشار فيه إلى إيثاره وقناعته ونفسه المعطاءة في حياته، فقال²:

(الطويل)

وَيُؤْتِرُ عَنِ فَقْرٍ وَفِيهِ قَنَاعَةٌ وَيُعْجِبُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَشَدُّهُ

وقدّم الأدب صورةً لنفس ابن تيمية الساميّة وإيثاره الكريم، كاشفاً إبطامه الطعام على حبه، إذ صورّ تقديمه من قوت نفسه لوجه الله، وإيثاره الآخرين على ذاته، بدا ذلك في قول البزار: " وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه"³، ويستشهد البزار في متن حديثه عن إيثار ابن تيمية بقصة على لسان الشيخ زين الدين علي الواسطي⁴،

¹ البزار: الأعلام العلية، 47. الكرمي: الكواكب الدرية، 85.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 511. الكرمي: الكواكب الدرية، 211.

³ البزار: الأعلام العلية، 47. الكرمي، الكواكب الدرية، 85.

⁴ لم أعتز على ترجمة له.

مفادها أنه أي_ الشيخ الواسطي_ قام بملازمة الشيخ ابن تيمية مدةً طويلةً، وقال في هذا السياق ما معناه، إنه خلال ملازمته الشيخ كان ابن تيمية يأتي بالقوت في صباح كل يوم، ويأكل هو والشيخ والجميع، وأشار أنه_ أي ابن تيمية_ كان يرفع يده من الطعام فارغاً منتهياً أولاً، فكان لا يأكل سوى لُقَيْمَاتٍ، ويؤثره بالباقي¹، وتجلّى ذلك في الشعر أيضاً ففي قصيدة لتقي الدين محمود ابن علي بن مقبل الدقوقي صرّح أنه كان يدفع الطعام لزواره ووارديه، ولا يترك لنفسه شيئاً يَقتات به، وهذا يدل على صفاء نفسه ونقاؤها من البُخل والشحّ وحبّ الذات، وقال²:

(الكامل)

قَدْ كَانَ يُؤَثِّرُ مَنْ أَتَاهُ بِقَوْتِهِ وَيَظِلُّ طُورَ نَهَارِهِ لَا يَطْعَمُ

ويقدم صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق صورة حية تكشف دوافعه الداخليّة، وتدلّ دلالة واضحة على تأصل خلق الإيثار في ذاته، من خلال بيانه أن أفعاله إرضاءً لله وليس حباً للناس، في قوله³:

(الخفيف)

مُؤَثِّرًا بِالذِّي لَدَيْهِ لِعَافِيَةٍ ————— هِ عَلَى نَفْسِهِ بِغَيْرِ رِيَاءٍ

رابعاً: فراسته

وتحدث الأدب عن فراسة ابن تيمية الإيمانية، والتي هي هبةً من الله له، وتجلّت إحدى صورها في حادثة شقّحب إذ تنبأ بنصر المسلمين على المغول، وبشّرهم بالفوز والغنيمة، بقوله " إنَّكم في هذه الكرة منصورون على التتار. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً."4، وسرد في السياق ذاته البزّار قصةً على لسان أحد المعاصرين، أنه جاء

¹ البزار: الأعلام العلية، 47، 48. الكرمي: الكواكب الدرية، 85.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 521. الكرمي، الكواكب الدرية، 218.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 481.

⁴ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 343. ابن الوردي: تاريخ ابن السوردي، 411/2. ابن كثير: البداية

والنهاية، 26/14

الشيخ جماعة من المسلمين مستغيثين طالبين الدعاء للشام ودمشق حال ولوج المغول، يقول الراوي: " فتوجّه إلى الله، ثم قال: أبشروا، فإنّ الله يأتكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثلاثة، حتى ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض. فو الذي نفسي بيده ما مضى إلا ثلاث حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ، على ظاهر دمشق، معبأة بعضها فوق بعض"¹، وقدّم الشعر أيضاً صورة تؤكد ذلك، وتصرّح بهزيمة العدو وخيبتته، كما يبدو في قول برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن الكوش²:

(الطويل)

وَمَنْ قَالَ لِلنَّاسِ: اثْبُتُوا يَوْمَ شَقَبٍ فَإِنَّ الْأَعَادِي فِي أَنْهَزَامٍ وَخِذْلَانٍ؟

وقول زين الدين عمر بن الحسام الشبليّ، إذ صور نتيجة المعركة وتحقيق المسلمين النصر كما نبأهم به ابن تيمية، قائلاً³:

(الكامل)

قَالَ: اثْبُتُوا، فلكم دليلُ النصرِ قد وَافَى، فَكَانَ النَّصْرُ عِنْدَ لِقَاءِ

ويأتي في هذا السياق ما أورده خادمه الغياني، الذي مُنع من مرافقة شيخه ابن تيمية عند خروجه من القاهرة إلى الاسكندرية في عهد السلطان بيبرس الجاشنكير، فأمره الشيخ بالذهاب إلى الشام مقسماً بالفرج القريب، في قوله: " يا إبراهيم انزل إلى الشام، وقل لأصحابنا: وحق القرآن_ ثلاثُ مرات_ ما بقيت هذه المحنة تبطئ، وتفرج قريباً فوق ما في النفوس، ويقلب الله مملكة بيبرس أسفلها أعلاها، وليجعلنَّ الله أعزَّ من فيها أذل من فيها"⁴، فقد كان حقاً ما قاله

¹ البزار: الأعلام العلية، 56. الكرمي: الكواكب الدرية، 90.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 201.

⁴ الغياني، إبراهيم: "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرّد في تكسير الأحجار": الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، ص

الشيخ، فسرعان ما عاد الملك الناصر بن قلاوون إلى دمشق حاكماً، وأقصى المظفر بيبرس الجاشنكير وخذله وخذل معه شيخه المنبجي، وأزال دولته¹.

ويورد البزّار في حديثه عن فِراسة ابن تيمية حادثة مفادها أنّ الشيخ ابن تيمية أُخبر ذات يوم أنّ بعض القضاة اتّجه إلى الديار المصرية ليقضي بقتل نفس، ذات علم ودين، نشب بينه وبينها خلاف تبعه شحناء وضغناء، فلم يرَ أصوب من القتل حُكماً، فنقل الأمر على سامعيه خوفاً وكرهاً، فأسرعوا به إلى الشيخ ابن تيمية مستغيثين، ولما انتهى إلى مسامعه الخبر²، قال: "إنّ الله لا يُمكنه ممّا قصد، ولا يصل إلى مصر حيّاً، فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير، وأدركه الموت، فمات قبل وصولها، كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ رضي الله عنه³، يتضح مما سبق أنّ الله أنار قلب ابن تيمية بنور إيمانه وإسلامه، وألهمه بصيرة وفراسة جعلته على ثقة بما يقول.

خامساً: جهاده

يتحدث الأدب الذي صورّ شجاعة ابن تيمية وبطولته، عن جهاده في سبيل الله، ودوره في الحث عليه أيضاً. فقد عبّر الأدب عن الجهد الكبير الذي بذله الشيخ في مقاومة المغول ونجدة دمشق وبلاد الشام وأهلها، فوقف عند توجه قائد المغول غازان إلى الشام سنة 699هـ بعد إسلامه وجنده، الأمر الذي أدى إلى حدوث خلل واضطراب في صفوف الجيش، متسائلين عن كيفية قتالهم، لأنهم يظهرون الإسلام⁴، فأفتى الشيخ موجباً محاربتهم، وبين لهم كفرهم، بقوله: "هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ ومعاوية... وكان يقول للناس: إذا رأيتُموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجّع الناس في قتال التتار، وقويت

¹ انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق1، ص434. ابن كثير: البداية والنهاية، 49/14_52. النويري: نهاية الأرب، 107/32.

² انظر: البزار: الأعلام العلية، 57. الكرمي: الكواكب الدرية، 90.

³ البزار: المصدر نفسه، 57، 58. المصدر نفسه، 90.

⁴ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 14/23_24.

قلوبهم ونيّاتهم^{1 2}، ويُذكَر أيضاً أنه أفتى بإفطار الجند في القتال، وقد بدأ بنفسه فكان يدور بين الجنود والساّطين ويأكل معهم، مبيّناً أنه بذلك يكون القتال أفضل³، سائرًا على هدي الرسول، صلى الله عليه وسلم في قوله: " إنكم ملاقو العدو غدًا، والفطر أقوى لكم"⁴.

وقد اتفق فقهاء وقضاة وأعيان ذلك العصر بعد استيلاء المغول على الشام، وسقوط دمشق التوجه إلى غازان، طالبين الأمان منه لدمشق وأهلها، وقد كَلّمه الشيخ كلامًا شديدًا أفاد المسلمين^{5 6}، ورغم ذلك كان الشيخ ابن تيمية بصيرًا بحقيقة نفوسهم وطبيعتها المخادعة، حيث لا أمان ولا اطمئنان لهم⁷، فقد اتّجه الشيخ سنة 700هـ إلى مصر فأقام فيها أكثر من سبعة أيام، طالبًا يد العون والغوث من أهلها، وحثهم على الجهاد، وقال الذهبي: " ساق الشيخ تقي الدين في البريد إلى القاهرة وحرصهم على الجهاد، واجتمع بأكابر الأمراء"⁸، وكان ابن فضل الله العمري معاصرًا لهذه الأحداث فأكد أنَّ الشيخ " ركب البريد إلى مهنا بن عيسى⁹ واستحضره إلى الجهاد وركب بعدها إلى السلطان¹⁰ واستنفره وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره"¹¹، وأضاف أيضًا أنه امتنع عن عطاياهم، فقد خصصوا له مرتبًا في كل يوم دينارًا،

¹ ابن كثير: البداية والنهاية، 14 / 24.

² انظر: عبد الرحيم، رائد: أثر الغزو المغولي، ص 83، 82.

³ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 24، 23.

⁴ ابن الحجاج مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ط1، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1955، ج2، كتاب الصيام، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل، ص 789.

⁵ وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول من الدراسة، تحت عنوان شجاعته، انظر: ص 36_40.

⁶ النويري: نهاية الأرب، 31/384_401. الداوداري: كنز الدرر، 9/15_31. البرزالي: المفتي، 2، ق 1/23. الذهبي: تاريخ الإسلام، 52/70_97، ابن كثير: البداية والنهاية، 14/8_13. المقرئ: السلوك، 1، ق 3/886_901. عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، 126. أثر الغزو المغولي، 83.

⁷ انظر: غانم، أمال: الدور السياسي لشيخ الإسلام، ص 140.

⁸ الذهبي: العبر في ذكر من خبر، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط)، لبنان: دار الكتب العلمية، (د.ت)، 3/406.

⁹ هو مُهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصبية بن فضل بن ربيعة، حسام الدين التدميري، أمير آل فضل الطائي، ولد سنة 650هـ، وتوفي 735هـ، كان وقورًا متواضعًا، ذا مروءة وسؤدد، جليل القدر، كثير الخير، وافر الديانة. انظر: ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، 3/823. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 5/138_140.

¹⁰ السلطان المقصود هنا الناصر محمد بن قلاوون. وقد تقدمت ترجمته، انظر: ص 65، حاشية رقم 1.

¹¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/342.

وأحضروا له بَقَّةَ قماش، إلاَّ أنه لم يقبلها¹، علَّه أراد من خلال استصراخه وإغلاظه عليهم أن يشعرهم بأهمية الأمر وخطورة الحال.

وكان الشيخ ابن تيمية قبل خروجه للديار المصرية جلس بالجامع وأخذ يحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات الواردة في الجهاد، حتى ينجح في التأثير في نفوس المسلمين، واستثارة حميتهم على الجهاد في سبيل الله وبذل أموالهم وأنفسهم فداءً لذلك، وبيّن لهم ما أعدّه الله للمجاهدين من ثواب وجزاء، فطابت قلوبهم وقويت عزيمتهم وزاد ثباتهم².

"وأشار زين الدين عمر بن الحسام الشبلي إلى مواقفه جميعها، فأثنى على شجاعته وجهاده وصموده في ساحة المعركة دفاعًا عن الإسلام والمسلمين"³، بقوله⁴:

(الكامل)

وَكَاذِبُ شَقِيبٍ وَالتَّارِ قَدْ أَقْبَلُوا بِالطَّمِّ فِي أُمَّمٍ بَغِيرِ مِرَاءِ
وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى النِّزُولِ قَدْ اجْمَعُوا وَالْمَغْلُ عَنْهُمْ نَظْرَةٌ لِلرَّائِي
مَنْ حَرَّضَ السُّلْطَانَ وَالْأُمْرَاءَ عَل تَرَكَ النِّزُولِ سِوَاهُ عِنْدَ مَسَاءِ؟
قَالَ: اثْبُتُوا فَلَكُمْ دَلِيلُ النَّصْرِ قَدْ وَأَفَى، فَكَانَ النَّصْرُ عِنْدَ لِقَاءِ

وتجلى المعنى في قول برهان الدين إبراهيم ابن الكوشث، الذي صور ابن تيمية بلغ المدى في شجاعته وحثه على الجهاد، وجرأته في سبيل الله ، الأمر الذي أخاف العدو وقائدهم غازان، وقذف الرعب في قلوبهم، فعاد بالنتفع على الإسلام، بقوله⁵:

(الطويل)

وَلَوْ وَزَنُوا أَهْلَ الشَّجَاعَةِ كُلَّهُمْ بِهِ رَجَحَ الشَّجْعَانَ فِي كُلِّ مِيزَانِ

¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 319/5. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 162/1.

² انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق. 1، ص138. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/15_16.

³ عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، 127.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 495. الكرمي: الكواكب الدرية، 201.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

فَمَنْ جَاهَدَ الْأَعْدَاءَ فِي الدِّينِ مِثْلَهُ وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْعَزْمِ فِي وَجْهِ غَازَانِ؟
وَمَنْ قَالَ لِلنَّاسِ: اثْبُتُوا يَوْمَ شَقْبِ فَإِنَّ الْأَعَادِي فِي أَنْهَزَامٍ وَخِذْلَانٍ؟
فَمَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَاتَّقَى إِلَهَ الْبِرَايَا خَافَهُ كُلُّ سُلْطَانٍ

وشهد ابن عبد الهادي في سيرته على ذلك، قائلاً: " بقي الشيخ _ابن تيمية_ وأخواه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بظهوره وجهاده ولأمة حربيه، يوصي الناس بالثبات، ويعيدهم النصر، ويُبشِّرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسينيين، إلى أن صدق الله وعده، وأعز جنده وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين، وهزم الجمع وولوا الدُّبر، وكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفار السفلى، وقُطِع دابر القوم الكفار"¹.

ومن مظاهر جهاده التي صورها الأدب أيضاً محاربة الشيخ ابن تيمية البدع ودفاعه عن الدين الإسلامي، وما لحق به من انحراف من بعض المذاهب يومذاك، فهذا خادمه ابراهيم في فصل عنوانه " فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الأحجار" صور تصدي شيخه للمنكرات والمقامات " التي كان الناس يزورونها، ويتبركون بها، ويقبلونها، وينذرون لها النذور، ويلطخونها بالخلوق، ويطلبون عندها قضاء حاجاتهم"²، وأبان خطأ اعتقادهم أيضاً في قدرة هذه الحجارة على إلحاق الأذى والضرر بمن تعرض لها³، وقد ساق ابراهيم الغياني غير قصة تُثبت وقوف الشيخ ابن تيمية في وجه الناس الذين يتضرعون إلى الحجارة راجين متسولين، وردَّهم إلى الحق، فاستشهد بأدلة نقلية وعقلية تدلُّ على أنَّ الله تعالى المنزه المالك للسموات والأرض وما بينهما، وحده القادر على كل شيء وليس الحجر، وما الحجارة إلا مخلوقات تُسبح بحمده⁴، ومن هذه الشواهد حادثة البلاطة السوداء في مسجد بالعلافين⁵، فمن البدع والمنكرات التي شاعت بين الناس صورة كف يد من خمس أصابع على تلك البلاطة في المسجد، زعموا أنها

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 228.

² الغياني: " فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الأحجار": الجامع ، ص132، 133.

³ المصدر نفسه، ص133.

⁴ انظر: المصدر نفسه، ص133_ 134.

⁵ لم أعر على تعريف له.

صورة كف الرسول صلى الله عليه وسلم، فعرف المسجد بها وسمي (مسجد الكف)¹، وترجع هذه هذه الكف إلى كلام رجل من قديم الزمان زعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وحدثه أموراً، فقال له الرجل: إن حدثت الناس بحديثك لا يصدقونني، فأجابه: بأن كفه اليمين على البلاطة دليل على صدقه، فأقبل الناس على الكف والبلاطة للتبرك والاستسقاء، فتوجّه الشيخ إليها و رأى أنّ اليد يسرى منحوتةً نحتاً، فكسرها ولم يبق له الأثر².

وعبّر سعد الدين سعد الله بن بُخيخ عن ذلك، فأشار إلى كثرة هذه القصور والأعمدة التي باتت محط إقبال وتبرك وشفاعة، ويكشف الشاعر بلفظة "قهرًا" عن مشاعر الشيخ ابن تيمية إزاء ذلك، فقد كان يحترق ألماً وقهرًا على ما أصاب المسلمين وحالهم، وأضاف إلى فعله قوة كلمته التي بدد بها الباطل والضال من أقوالهم وتأويلاتهم، في قوله³:

(البيسيط)

وَكَمْ حَصُونِ ضَالِّ أَنْتَ هَادِمُهَا قَهْرًا، وَكَمْ قَوْلِ غَاوٍ أَنْتَ مُوْهِيه

ويأتي شمس الدين الحنبلي في مراثيه للشيخ ابن تيمية على ذكر ذلك أيضًا، مبيّنًا بطولته التي أعاد فيها للدين عزّته، من خلال إظهار دوره ومحاولاته الحثيثة في محو آثار البدع والانحرافات، فقال⁴:

(البيسيط)

كَمْ بَدْعَةٍ قَدْ مَاحَاهَا ثُمَّ أَبْطَلَهَا وَكَمْ أَزَاحَ لَنَا مِنْ مُنْكَرٍ عَمِلُوا

¹ مسجد الكف: هو "مسجد في قبة الحنفي، وقيل: في قبة اللحم، سفلى له بابان، وله مؤذن، وله امام ووقف، ويعرف أيضًا بمسجد القرشيين". انظر: ابن عساكر، أبا القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، (د.ط) بيروت: دار الفكر، 2، 293/1995. النعمي دمشقي، عبد القادر بن محمد: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحني، (د.ط)، 2، 310_309/1988. ابن عبد الهادي، يوسف: ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تحقيق: محمد أسعد طلس، المعهد الفرنسي بدمشق، بيروت: مكتبة لبنان، 1975، ص 66.

² انظر: الغياني: "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكميل الأحجار": الجامع، ص 135. للمزيد من الأمثلة، انظر: المصدر نفسه، ص 132_150.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 562.

⁴ المصدر نفسه، 585.

وفي مرثية أخرى، يفدي الشاعر شمس الدين الحنبلي الشيخ ابن تيمية بنفسه، ويؤكد أن أفعال الشيخ كانت ابتغاء وجه الله وتحقيقاً لمرضاته، فقال¹:

(البسيط)

وَكَمْ قَمَعْتَ فَدَتِكَ النَّفْسُ مِنْ بَدْعٍ وَكُنْتَ فِيهَا بِأَمْرِ اللَّهِ تَسْتَطِلُّ²

ووقف عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم في قصيدته التي بكى فيها الشيخ، موقفاً لا يكاد يختلف عن موقف غيره من الشعراء، فقد رثى الشيخ وبين في مرثيته أنه كان واعظاً وهادياً متوجعاً عمله بالعمل، وكان عالماً عاملاً ناصحاً قومه، وحريصاً عليهم، قائلاً³:

(الطويل)

فَقَدْتُ إِمَامًا كَانَ بِالْعِلْمِ عَامِلًا وَكَانَ حَقِيقًا قَامِعًا كُلَّ بَدْعَةٍ
وَحَذَرْنَا مِنْ كُلِّ زَيْغٍ وَبَدْعَةٍ وَعَنْ كُلِّ طَاغٍ خَارِجٍ عَنْ مَحَبَّةِ

وصور الأدب قصده ومبتغاه من الجهاد، تجلّى ذلك في رسالة لأحمد بن محمد بن مريّ الحنبلي إلى تلاميذ الشيخ ابن تيمية، إذ كشف حرصه على الشريعة والسنة، وحمائتها من التبديل والانحراف، بقوله: " وكان رحمه الله ورضي عنه، يذبُّ عن الشريعة ويحمي حوزة الدين بكل ما يقدر عليه⁴، وعبر عن ذلك أيضاً تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي، إذ وصف جهوده التي رآب بها صدع الإسلام مما طرأ على فكر بعض أربابه من انحراف، في قوله⁵:

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية ، 583.

² تستطل: من الفعل استطال عليه أي تطاول، يقال: استطالوا عليهم أي قتلوا منهم أكثر مما كانوا قتلوا. ابن منظور: لسان العرب، مادة طول.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 528. الكرمي: الكواكب الدرية، 223، 224.

⁴ ابن مري الحنبلي: "رسالة من الشيخ أحمد بن مريّ الحنبلي": الجامع ، 157.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 513. الكرمي: الكواكب الدرية، 213.

(الطويل)

شَدَدَتْ عُرَى الْإِسْلَامِ شَدَّةَ عَارِفٍ قَوِيٍّ عَلَى الْأَعْدَاءِ لَمْ يَأَلْ جُهْدُهُ

ويكشف برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن الكوشة عن حب الشيخ لدينه، فبين أنه يصعب عليه أن يرى منكراً قائماً، ولا يؤد حق الله، وأثبت أنه يغار الله وشريعته، وليس لنفسه أو لدنياه، فقال¹:

(الطويل)

يَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ كُلِّ بَدْعَةٍ وَمَا زَالَ مِنْهَا هَادِمًا كُلَّ بُنْيَانٍ

وصور الأدب ابن تيمية ودوره في تقويم الباطل، ومواجهة العادين بالسيف وحدته، فقد جعله ابن عبد الهادي سيفاً مفارقاً غمده، ومصلتاً، معترضاً طريق البدع والأهواء، في قوله: " سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجى في حلق أهل الأهواء والمبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين"²، وتجلى المعنى ذاته في قول أحدهم، مصوراً مساعي الضالين لقتل عزيمة الشيخ والتقليل من دوره، بقوله³:

(البيسط)

وَكَانَ سَيْفًا عَلَى الْأَضْدَادِ مَشْتَهَرًا فَحَاوَلُوا أَنْ يَكُونَ السَّيْفُ مُنْغَمِدًا

إلا أنه أبقى وشهر سيفه، وأبقى بحدّه أوامر الشرك والبدع، وهو ما عبّر عنه عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل، المعروف بالمتيم، إذ قال⁴:

(البيسط)

حَبْرٌ⁵ الْوَجُودِ فَرِيدٌ فِي مَعَارِفِهِ أَفْنَى بِسَيْفِ الْهُدَى أَهْلَ الضَّلَالَاتِ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 491.

² المصدر نفسه، 12.

³ المصدر نفسه، 555.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 536. الكرمي: الكواكب الدرية، 230.

⁵ الحبر: بالفتح، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه. ابن منظور: لسان العرب، مادة "حبر".

ويتجلى ذلك في قول بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني¹:

(الطويل)

شهرت على البدائع في الورى صوارم شرك الكفر منها تصرّما

وأشاد بدر الدين بن عز الدين المغيبي ببسالته في إزالة المنكرات، التي يعيا حملة السلاح فعلها، فقال²:

(الكامل)

وأما من بدع الضلال عوائدا لا يستطيع لدفعها الصمصام³

وكان للشيخ دور في إقامة الحدود ومحاربة الخمر وشاربيها في دمشق، ويتجلى ذلك في غير سنة منها سنة 699هـ، إذ دار الشيخ على خمارات دمشق يخربها ويريق خمورها، ويكسر أوعيتها، ويعزّر المترددين عليها⁴.

وأشار نجم الدين اسحاق بن أبي بكر بن ألمى التركي في إحدى قصائده إلى مظهر آخر من مظاهر جهاده، وهو سبيل الجهاد التي سلكها الشيخ ابن تيمية، فقال⁵:

(الطويل)

وجاهد في ذات الإله بنفسه وبالمال والأهلين والأمم والأب

تبيّن من الإشارة السابقة أنه سلك السبل كلّها، فأكدّ أنه جاهد في ذات الله بنفسه وبماله ولسانه وأهله، وهو أعظم أنواع الجهاد.

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 580.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 502. الكرّمي: الكواكب الدرية، 208.

³ الصمصام: سيف صمصام و صمصامة: صارم لا ينثي. ابن منظور: لسان العرب، مادة "صمم".

⁴ انظر: النويري: نهاية الأرب، 401/31. البرزالي: المقتفي، 2، ق1/73. ابن كثير: البداية والنهاية، 12/14.

المقريزي: السلوك، ج1، ق3/900.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 456. الكرّمي: الكواكب الدرية، 75.

وفي المعنى ذاته أكدَّ عباس بن علي بن رسول، أن الشيخ حقق مراتب الجهاد كافةً، فقال: كان " قوالاً بالحق، ناهياً عن المنكر، مجاهداً في ذات الله بنفسه ويده ولسانه. "1، وأكدَّ البزار ذلك، فقال: " ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده"2، وأشار جمال الدين عبد الصمد البغدادي، المعروف بابن الخضري إلى جزاء الجهاد، مبيّناً أن الهداية لسبيل الله جزاء المجاهدين، والشاعر بذلك متأثرٌ بقوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا * وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}3، فقال:4

(الكامل)

إِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ عَدُوَّنَا فِينَا سَنَهْدِيَهُمْ إِيَّانَا سُبُلَنَا

سادساً: تأييده بالله

ومن مظاهر الصورة الدينية التي أسبغها الأدياء على الشيخ تأييد الله له، وهذه نتيجة طبيعية لرجل زاهد عابد تقي مجاهد مخلص لله وشرعه، وتجلّى ذلك عند غير أديب فهذا قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ، يصورُ الشيخ مؤيداً محفوظاً من الله، إذ قال:5

(الكامل)

وَلَهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ عِنَايَةٌ وَلَهُ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ دِثَارُ

وقد أكدَّ بدر الدين بن عز الدين المغيبي ذلك، وبيّن أنّ الحفظ الإلهيّ نعمة يمنحها الله لمن يشاء من خلقه، قائلاً:6

(الكامل)

وَلَهُ فَتَوْحٌ مِنْ غِيُوبِ إِلَهِهِ وَتَحْزُنٌ وَتَمَكُّنٌ وَكَلَامُ
وَعِنَايَةٌ وَحِمَايَةٌ وَوَقَايَةٌ وَصِرِّيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ وَمَقَامُ

¹ ابن رسول، عباس: " نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون": الجامع ، 449.

² البزار: الأعلام العلية، 63

³ سورة " العنكبوت"، آية 69.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 509. الكرمي: الكواكب الدرية، 204.

⁵ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 458.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 503، 504. الكرمي: الكواكب الدرية، 209.

مَنْ يَخْصُ بِهَا الْمُهَيْمِنُ مَنْ يَشَا مِنْ خَلْقِهِ، وَالْجَاهِلُونَ نِيَامُ

وقوله " والجاهلون نيام" تدل على ارتباط العناية الإلهية والحفظ الرباني ارتباطاً وثيقاً بحفظ دين الله والاستقامة عليه طاعةً وخشياً.

وصور الأدب الشيخ وقد حفظه الله من كيد الأعداي وخدعهم ومكرهم الهزيل، فلم يدعه لخدعهم ولألاعيبهم الواهية، فهذا ابن سيّد الناس اليعمري يصور مكر هؤلاء وقد ردّ إلى نحورهم، فيقول: " وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دبّت إليه عقارب مكره فردّ الله كيد كلّ في نحره، ونجّاه على حدّ من اصطفاه، والله غالب على أمره.¹، وهذا شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان، المعروف بابن الكوشة، يرى ضعف أعداء ابن تيمية عن إطفاء نور الله وهدية المتين الذي بدا في الشيخ، فقال²:

(البسيط)

وَنُورُ رَبِّكَ لَا يُطْفِئُ وَكَو حَرَصَ الْ— حَرِيصٌ يَوْمًا وَمَالًا كُلُّ مُؤْتَثِمٍ

وصور صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق كيف أمدّ الله الشيخ بعونه حين مكر به عدوه، فمحق ما كانوا يمكرون، بقوله³:

(الخفيف)

لَمْ يَنَالُوا مِنْهُ الَّذِي أَمَّلُوهُ بَلْ رَمَى اللَّهُ جَمْعَهُمْ بِالْفَنَاءِ

وأكد أحد الشعراء أنه من كان معه الله لا تقلقه أطماع المستبدين وبطشهم، مصوراً أنه لن يستطيع امرؤ إيذاء الشيخ ما دام بربّ العالمين مستكفياً، فقال⁴:

(البسيط)

كَفَاهُ آيَةٌ تَأْيِيدِ سَعَايَهُ مَنْ سَعَى، وَكَمْ يَسْتَطِيعُ يُوْذِي لَهُ جَسَدًا

¹ "ابن سيّد اليعمري: " أجوبة ابن سيّد الناس اليعمري عن سوالات الدمياطي": الجامع ، 189.

² ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 484.

³ المصدر نفسه، 482.

⁴ المصدر نفسه، 555.

ومن مظاهر التأييد أنّ الله جعله سرّه في كونه، وهو ما عبّر عنه تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي، في قوله¹:

(الكامل)

شَهِخُ كَأَنَّ اللَّهَ أودَعَ سِرَّهُ فِيهِ فَمَا تَلَقَاهُ إِلَّا يَعْلَمُ

وقد عدّ الأدباء أنّ موافقة بعض الأحداث لكلام الشيخ كانت دلالة على تأييد الله له، من ذلك حين بشر بهزيمة العدو في معركة شقحب أو مرج الصفر سنة 702هـ، إذ قال: "إنكم في هذه الكرة منصورون على التتار. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً".²، "إلى أن صدق الله وعده، وأعزّ جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين، وهزم الجمع وولوا الدبر، وكانت كلمة الله العليّاء، وكلمة الكفار السفلى، وقطع دابر القوم الكفار"³.

وأكدّ بدر الدين بن عز الدين المغيبي أنّ النصر تحقق على أهل جبال كسروان ببركة الشيخ المتصل بالله، وأنّه لا نصر إلا نصر الله، إذ قال⁴:

(الكامل)

مَنْ قَامَ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ مُؤَيِّدًا فِي كِسْرَوَانَ، وَهُمْ طُغَاةٌ عِظَامُ

ومن مظاهر ثقته بربه ونصره له أيضاً، ما صورّه تلميذه ابن عبد الهادي يوم محاكمته في المسألة الحموية⁵، فيبيّن أنّه خرج مسروراً مستبشراً "ثابت الجأش، قوي القلب، واثقاً بالنصر الإلهي، لا يلتفت إلى نصر مخلوق".⁶

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 520. الكرمي: الكواكب الدرية، 218.

² ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 343. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 411/2. ابن كثير: البداية والنهاية، 26/14. وقد سبق ذكرها خلال الحديث عن فراسته، انظر: ص75.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 228.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 504. الكرمي: الكواكب الدرية، 209.

⁵ سيأتي الحديث عنها بالتفصيل تحت عنوان فتاوى ابن تيمية واجتهاداته، انظر: ص 120_121.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 257.

ومن مظاهر التأييد الإلهي تصوّر الملائكة تحيط بجنازته، فهذا مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط يصوّر ذلك ويبين أنّ الله قد أسبغ على الشيخ من نوره فزاد نور النهار نوراً، فقال¹:

(الكامل)

وَبِهِ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ تَطَوَّفَتْ زُمْرًا، وَحَفَّتْ حَوْلَهُ الْأَبْرَارُ
فَكَسَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ نَوْرًا سَاطِعًا فَكَأَنَّمَا غَشِيَ النَّهَارَ نَهَارُ

وقول زين الدين عمر بن المظفر بن الوردی²:

(الوافر)

وَلَوْ حَضَرُوهُ حِينَ قَضَى لِأَلْفَاوَا مَلَائِكَةَ النَّعِيمِ بِهِ أَحَاطُوا

ولم يكتف الأدب بالحديث عن حماية الله الشيخ ابن تيمية بل جعل كل من وقفوا معه وساندوه مشمولين بهذه المكرمة الإلهية، وهو ما يبدو في قول نجم الدين إسحق بن أبي بكر بن ألمى التركي³:

(الطويل)

وَأَصْحَابُهُ أَهْلُ الْهُدَى لَا يَضُرُّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ طَعْنُ أَمْرٍ جَاهِلٍ غَبِي
هُمُ الظَّاهِرُونَ الْقَائِمُونَ بِدِينِهِمْ إِلَى الْحَشْرِ، لَمْ يَغْلِبْهُمْ ذُو تَغْلِبِ
لَنَا مِنْهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ أُمَّةٌ هُدَاةٌ إِلَى الْعَلْيَا، مَصَابِيحُ مَرْقَبِ
فَأَيَّدَهُمْ رَبُّ الْعُلَمَاءِ مِنْ عَصَابَةٍ لِإِظْهَارِ دِينِ اللَّهِ أَهْلَ تَعَصُّبِ

وصوّر الأدب تأييد الله للشيخ ابن تيمية بعد وفاته أيضاً، فقد وصف الأدباء حال الشيخ حال الفائزين في خير جنان، وقد أكثروا في الحديث عن هذا الجانب، صوروا فيها مقامه وجنانه، والنساء والولدان، وأبدعوا في تنويع الصور، إلا أنّها اتفقت جميعها على عظيم الجراء،

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 468.

² ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 466. ابن الوردی: تاريخ ابن الوردی، 406/2. الصفدي: الوافي بالوفيات 329/4. أعيان العصر، 250/1. المقرئ: المقفى الكبير، 478/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 187.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 453، 454. الكرمي: الكواكب الدرية، 74.

ورفيع المنزلة، مستمدين صورهم ومعانيهم من القرآن الكريم وألفاظه، والحديث الشريف؛ فوقف قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ في رثائه عند عظم كرم الله له، وصور ما أعدّه الله لعباده الصابرين من جنات وعيون، وأنية من ذهب وفضة، وثياب فاخرة، فلباسهم فيها حريير، وتوقف أيضاً عند قبابها العالية وقصورها المشرقة، وأشار إلى أن الله سيكرم الشيخ من لدنه، في قوله¹:

(الكامل)

الله يُكْرِمُهُ بِأَفْضَلِ رَحْمَةٍ فِي جَنَّةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أَكْوَابُهَا مَوْضُوعَةٌ، وَقِبَابُهَا مَرْفُوعَةٌ حَقَّتْ بِهَا الْأَنْوَارُ
وَكَوْسُهَا قَدْ أَدْهَقَتْ، وَقُصُورُهَا قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارُ
وَصِحَافُهَا مِنْ فِضَّةٍ، وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُندُسٍ، وَطَعَامُهُمْ أَطْيَارُ

الشاعر متأثر بالقرآن الكريم جلياً في الأبيات السابقة، فصورة المتقين التي رسمها الشاعر مستقاة من تصوير القرآن لهم، فهو ينظر إلى قوله تعالى: {فيها سررٌ مرفوعة * وأكواب موضوعة²}، وقوله: {يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشبهه الأنفس وتلذ الأعين³}، وعند حديثه عن لباسهم أخذ المعنى من قوله تعالى: {عليهم ثياب سندس خضر وإسبرق⁴}، ومن نعم الله التي صورها الشاعر أيضاً، الحور العين العُرب، اللواتي وعد الله بهن عباده، ويتمنى الشاعر هنا أن يكون من الذين عليهم رضوان الله، في قوله⁵:

(الكامل)

وَالْحُورُ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ بِبَهْجَةٍ لَكِنَّهُنَّ عَلَى الْمَدَى أَبْكَارُ
عُرْبًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَلَيْتَنَا مِنْهُمْ إِذَا صِرْنَا إِلَى مَا صَارُوا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 459.

² سورة الغاشية، 13، 14.

³ سورة الزخرف، آية 71.

⁴ سورة الإسنان، آية 21.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 459.

الشاعر متأثراً في قوله تعالى: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرْبًا أَتْرَابًا *} لأصحاب اليمين¹، ويشير أيضاً إلى حالهم، فصورهم جالسين ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل، مقتبساً قوله تعالى {على الأرائك ينظرون}²، بقوله³:

(الكامل)

وَعَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ نَعِيمَهُمْ وَعَلَيْهِمْ كَأْسُ الرَّحِيقِ تُدَارُ
وَيَمْتَعُونَ بِنَظَرَةٍ قُدْسِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ، سُبْحَانَهُ الْجَبَّارِ

وهكذا فإن الاقتباس من القرآن الكريم زَيْنَ الأشعار المتقدمة، وأضفى عليها جمالاً وجلالاً، وناسب السياق الذي اقتبس فيه أتم تناسب.

وأما صفاتهم، فشبه نورهم وحسنهم بالصباح تارة، وبالقمر تارة أخرى، وبين أنهم يدخلون الجنة على قدر اكتمال شباب عيسى، ودرجة حسن يوسف، وطول آدم، ويستلهم المعنى من قول الرسول الكريم: (يدخل أهل الجنة جرداً مردداً بيضاً جعداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع)⁴، بقوله⁵:

(الكامل)

ووجوههم مثل الصباح إذا بدا للنناظرين، كأنهم أقمار
في عمر عيسى، والجمال كيوسف وبطول آدم، كلهم أبرار

وبصور عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم مصيره بعد وفاته، مسروراً وقد تحققت آمانيه، مهنئه لتتعمه بجوار الرحمن، هادئ البال قريير العين، في قوله⁶:

¹ سورة الواقعة، آية 35_38.

² سورة المطففين، آية 23.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 459_460.

⁴ الترمذي، أبو عيسى: سنن الترمذي، ج4، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سنن أهل الجنة. ص643. ابن حنبل/ أحمد: مسند الإمام أحمد، 2/295.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 460.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 531، 532. الكرمي: الكواكب الدرية، 226.

(الطويل)

تهنأُ أبا العباسِ بالقُربِ والرِّضا لقد نلتَ ما ترجو بكلِّ مسرَّةٍ
خرجتَ من السَّجنِ الذي كان ضيقًا إلى دارِ فوزٍ في رياضِ فسحةٍ
وقد نلتَ من مولاك ما كنتَ راجياً وأشهدك المعنى بعينِ قريرةٍ

أمَّا الذهبي، فبيِّن أنَّ الله أحسن مثواه بجنان الخلد برفقة الأئمة الصالحين السابقين، في

قوله¹:

(البيسط)

أسكنه اللهُ في الجنانِ ولا زال علينا في أجملِ الخلعِ
مع مالك²، والإمامِ أحمدَ، والنَّـ نعمان³، والشافعي⁴، والنخعي⁵

من خلال ما تقدم، يُلاحظ أنَّ المصادر الأدبية، الشعرية منها والنثرية، تعكس السبيل

الديني الذي احتذاه ابن تيمية، فقد كان رجلاً عفيفاً تقي النفس، ورعاً متجنباً الشبهات، دائم الذكر

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 552.

² مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن عامر أبي عامر بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث، وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، وحدث عنه خلق من الأئمة، ولد سنة 93هـ، وقيل 95هـ، وتوفي سنة 179هـ، نشأ في صَوْنٍ ورفاهية، وطلب العلم وهو حَدَثٌ. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 135_48/8. ابن خلكان: وفيات الأعيان، 139_135/4. ابن كثير: البداية والنهاية، 174/1، 175.

³ نعمان: هو أبو حنيفة نعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام وأصحاب المذاهب، ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 150هـ، وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع لله، ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 403_390/6. ابن خلكان: وفيات الأعيان، 405/5. ابن كثير: البداية والنهاية، 107/10.

⁴ الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله القرشي، ولد سنة 150هـ، وتوفي سنة 204هـ، ولد في غزة، ونشأ يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضياع، فتحولت به إلى مكة، وأقبل على العربية والشعر، وحبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 99-5/10. ابن خلكان: وفيات الأعيان، 169_163/4. ابن كثير: البداية والنهاية، 255_251/10.

⁵ النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك النخعي اليماني الكوفي، أبو عمران النخعي، توفي سنة 95هـ، وقيل 96هـ. كان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً، فقيهاً، متوقفاً، قليل التكلّف، والنخعي نسبة إلى النَّخَع وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 529_520/4. ابن خلكان: وفيات الأعيان، 26_25/1. ابن كثير: البداية والنهاية، 140/9.

الله تعالى على كل حال، حريصًا على أداء عباداته وفرائضه، ملازمًا للخشوع والقنوت لله، خاليًا متهجدًا والناس نيام، زاهدًا في الدنيا، يقتصد في ملبسه ومأكله، كثير الخير قاصد النفع، ناصر الإسلام والمسلمين، ينيب إلى الله فيما يروم ويقصد، وكان مجاهدًا وقف في وجه العدو والملوك والطغاة وأهل البدع والضلال، ولذا كان مؤيدًا من ربه دنيا وآخرة.

الفصل الثالث

صورته العلميّة

صوّر الأدباء مكانة ابن تيمية العلمية، فوقفوا على علومه وغزارتها، وعلى مجالسه العلمية وفضلها، وعلى فتاويه وأجوبته عن المسائل والمباحث كافة، والصفحات الآتية ستقف عند ذلك كله.

أولاً: علومه وغزارتها

حرص ابن تيمية على طلب العلم وحضور حلقاته ومجالسه، فقد نشأ نشأة تعليمية على يد والده¹، وعلى يد العديد من المشايخ² الفضلاء في عصره، فقد كانت علامات النجابة وآيات الذكاء واضحةً عليه منذ الصغر، وغرس حبُّ التعلُّم والتَّعليم في نفسه، وطُبِع في قلبه حتى الممات. فقد ألقى الخطب في المساجد ودور العلم وهو ابن العشرين عاماً، كما جاء في قول الذهبي: "كان يحضر المدارس والمحافل في صِغَرِه، فيناظر ويُفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم."³

نذر ابن تيمية نفسه للعلم، وكرّس جُلَّ وقته للقراءة والبحث والاستزادة في العلم، بعيداً كلُّ البُعد عن متع الدنيا وملذاتها، قال الصفدي، " لا يُؤثر على الاشتغال لَذَّةً، ولا يرى أن تضيع لحظة منه في البطالة فذَّةً، يذَهَلُ عن نفسه ويغيب في لَذَّة العلم عن حِسِّه، لا يطلب أكلاً إلَّا إذا أُحْضِرَ لِدِيهِ، ولا يرتاحُ إلى طعام ولا شراب في أَبْرَدِيهِ⁴ "5، حتى غدا آيةً في العِلْم والتدريس والإفتاء والتفسير، ويذكر البزار فيما سطره في سيرته عن منشئه وعلمه، قصةً تكشف أن قوّة ذكائه وفطنته متأصلة فيه من صغره؛ مفادها أن يهودياً كان يعترض طريقه سائلاً مستفسراً، ومتعجباً في الوقت ذاته من سرعة بديهته وصحة أجوبته، حتى أنار الله طريقه وقلبه على يدي الشيخ ابن تيمية؛ وذلك في قوله: " أخبرني مَنْ أثق به عن جدِّته أنّ الشيخ، رضي الله، عنه في

¹ تقدمت ترجمته، انظر: ص21، حاشية رقم 1.

² سيأتي الحديث عن شيوخه بالتفصيل في الصفحات المقبلة.

³ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 2/408. الكرمي: الكواكب الدرية، 62.

⁴ أبرديه: من الأبردان: الغداة والعشي، وهما طرفا النهار. انظر: شريف يحيى الأمين: معجم الألفاظ المثناة، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1982. ص11.

⁵ الصفدي: أعيان العصر، 1/236.

حال صغره كان إذا أراد المضيّ إلى المكتب يعترضه يهوديٌّ كان منزله بطريقه، بمسائل يسأله عنها لما يلوح عليه من الذكاء والفيطنة، وكان يُجيبه عنها سريعاً حتى تعجّب منه، ثم إنه صار كلّما اجتاز يُخبره بأشياء مما يدلّ على بُطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه.¹

ورسم ابن عبد الهادي صورة تكشف عن تعطش نفس ابن تيمية للعلم، وحرصه على طلبه، وصبره على تتبع مسائله من مظانّها المختلفة، وجرأته في تتبعها وطرحها، حتى تفوق بذلك على الأثبات الراسخين فيه؛ ويتجلى ذلك في قوله: " لا تكاد نفسه تشبع من العلم، ولا تروى من المطالعة، ولا تملُّ من الاشتغال، ولا تكلُّ عن البحث، وقلّ أن يدخل في علم من العلوم، في باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك أشياء في ذلك العلم على حذّاق أهله"²، ويكشف ابن الحزاميين في رسالته أيضاً عن إخلاص نيته في طلبه العلم وبذله، قارناً إياه بغيره من العلماء، إذ وصفه، قائلاً: " أصحّهم علماً وعزماً"³.

وتحدث الأدب عن تلقيه العلم أيضاً، ذاكراً شيوخه الذين تلقى العلم منهم، فقد حرص على السماع من الشيوخ، " فسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الكبار والأجزاء"⁴، وفي موضع آخر ذُكر أنه " سمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير وما لا يحصى من الكتب والأجزاء"⁵، ويعدد ابن عبد الهادي شيوخه الذين سمع منهم وتلمذ على أيديهم؛ في قوله: " ثمّ سمع شيخنا الكثير من: ابن أبي اليُسْر⁶، والكمال ابن

¹ البزار: الأعلام العلية، ص 21.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 10.

³ الواسطي: التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار، ص 44.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 7.

⁵ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 4/494. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/80.

⁶ ابن أبي اليُسْر: هو اسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر شاعر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي المجد، مسند الشام، تقي الدين، أبو محمد التنوخي المعري الدمشقي، ولد سنة 589هـ، وتوفي سنة 672هـ، وكان متميزاً في كتابة الإنشاء جيد النظم حسن القول، أجاز له جماعة وروى الكثير. انظر: الكتبي: فوات الوفيات، 1 / 170_172. ابن تغردى بردي:

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 2/383_186. ابن العماد: شذرات الذهب، 5/338.

عَبْدٌ¹، والمَجْدُ ابن عساكر²، وأصحابِ الخُشُوعي³، ومن الجمال يحيى ابن الصيرفي⁴، وأحمد ابن أبي الخير سلامة⁵، والقاسم الإربلي⁶، والشيخ فخر الدين ابن البخاري⁷، والكمال عبد الرحيم⁸،

¹ الكمال ابن عَبْدٌ: هو عبد العزيز بن عبد المنعم بن أبي البركات الخضر بن شبل بن الحسين بن علي بن عبد الواحد، كمال الدين، أبو نصر الحارثي الدمشقي، المعروف بابن عبد، ولد سنة 589هـ، وتوفي سنة 672هـ، وسمع من الخشوعي والقاسم بن عساكر وغيرهم. انظر: الذهبي: العبر في خبر من غير، 326_325/3، تاريخ الإسلام، 98_97/50. ابن العماد: شذرات الذهب، 338/5.

² المَجْدُ ابن عساكر: هو محمد بن اسماعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين، الشيخ مجد الدين أبو عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي ولد سنة 587هـ، وتوفي سنة 669هـ، وكان عدلاً جليلاً من بيت الرواية والرئاسة، وسمع من الخشوعي والقاسم بن عساكر وآخرين. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 249/49. الوافي بالوفيات، 1/458-459. ابن العماد: شذرات الذهب، 331/5.

³ الخُشُوعي: هو بركات بن إبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي، مسند الشام، أبو طاهر الخُشُوعي الدمشقي، ولد سنة 510هـ، وتوفي سنة 597هـ، كان له سماعات عالية وإجازات تفرد بها، وتعود تسميته بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأعلى الذي كان يؤم بالناس، فتوفي في المحراب. انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 24/338_341. الصفدي: الوافي بالوفيات، 117/10. ابن العماد، شذرات الذهب، 335/4.

⁴ الجمال يحيى ابن الصيرفي: هو يحيى ابن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي بن الإمام، المفتي جمال الدين ابن الصيرفي الحراني الحنبلي، ويُعرف بابن الحبيشي، ولد بحران سنة 583هـ، وتوفي سنة 678هـ، ودُفن بمقابر دمشق بباب الفراديس، وكانت له جنازة حفلة مشهورة جداً، وقد كان إماماً كبيراً مُفتياً، أفتى ببغداد وحران ودمشق. انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج4، ص34_35. ابن شاکر الكتبي: عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، (د.ط)، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984، ج21، ص239، ابن العماد: شذرات الذهب، 363/5.

⁵ أحمد بن أبي الخير: هو أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن معروف بن خلف، زين الدين الدمشقي الحداد الحنبلي، ولد سنة 589هـ، وتوفي سنة 678هـ، وكان شيخاً جليلاً متيقظاً، خيراً سليماً متواضعاً. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 298_296/50. ابن العماد: شذرات الذهب، 360/5.

⁶ القاسم الإربلي: هو القاسم بن أبي بكر بن القاسم بن غنيمة، المقرئ أمين الدين أبو محمد، ولد سنة 594هـ— بإربل، وتوفي سنة 680هـ، ودُفن بمقابر الصوفية، وكان من أعيان التجار، وسمع صحيح مسلم. انظر: اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد: ذيل مرآة الزمان، ط2، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1992م. 121/4. الذهبي: تاريخ الإسلام، 361/50. ابن العماد: شذرات الذهب، 367/5.

⁷ فخر الدين ابن البخاري: هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو الحسن المقدسي الحنبلي. يُعرف بابن البخاري وابن النجار ولد سنة 596هـ، وتوفي سنة عن خمس وتسعين سنة، ودفن بسفح جبل قاسيون. كان فقيهاً، إماماً، أدبياً، خيراً، ورعاً، فيه كرم ومروءة وعقل وعليه هيبه وسكون. ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، 1/69. الذهبي: تاريخ الإسلام، 426_422/51. ابن كثير: البداية والنهاية، 343/13.

⁸ الكمال عبد الرحيم: هو عبد الرحيم بن عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدم، الشيخ كمال الدين أبو محمد المقدسي الصالحي الحنبلي، ويُعرف بابن قدامة الحنبلي، وُلد سنة 598هـ، وتوفي سنة 680هـ، روى عنه الدماطي وابن العطاء والبرزالي والمزي. انظر: الذهبي: العبر في خبر من غير، 343/3-344. الصفدي: الوافي بالوفيات، 18/334. ابن العماد: شذرات الذهب، 366/5.

وأبي الغنائم بن علان¹، وأحمد بن شيبان²، وخلق كثير. ³، وهذا يتجلى فيما خطّه الذهبي أدنى أدنى خط ابن تيمية في إجازته لابن الشّهروزي⁴: " وشبوخه أكثر من مئتي شيخ ⁵، وقد اعتمد اعتمد على ذاته كثيراً، فقد " قرأ في العربية أياماً على سليمان بن عبد القوي⁶، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه. ⁷

وتنوعت العلوم التي جمعها ورعاها ابن تيمية، فقد كان ذا بصر وبصيرة باللغة العربية، صرفها ونحوها ودلالاتها، وفي الأحاديث سندها ومنتها، وفي القواعد الفقهية الفرعية وعلاقتها بالقواعد الكبرى، وعلم التفسير وعلوم القرآن، والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام، ويشهد ابن دقيق العيد بمعرفته بعد مقابلته ومجالسته؛ في قوله: " لمّا اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كلّ العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد. ⁸، حتى شهد له أعداؤه بذلك، فهذا ابن الزمّلكاني يثبت ذلك، إذ قرنه بداود وما أعطاه الله من معجزات، في قوله: "لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين. وقد ألان الله له العلوم، كما ألان

¹ أبو الغنائم بن علان: هو المسلم بن محمد بن المسلم بن مكي بن خلف بن المسلم بن أحمد بن محمد بن حصن بن صقر بن علان، القاضي الجليل شمس الدين أبو الغنائم بن علان القيسي الدمشقي الكاتب، ولد سنة 594هـ، وتوفي سنة 680هـ، ودُفن بسفح قاسيون، وكان من سروات الناس. انظر: الذهبي: العبر في خبر من غير، 3/34. الصفي: الوافي بالوفيات، 15/560-561. ابن العماد: شذرات الذهب، 5/369.

² أحمد بن شيبان: هو أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة، بدر الدين أبو العباس الشيباني الصالحي العطار الخياط. ذكره الصفي بابن المعالي. ولد سنة 597هـ، وذكر 598هـ، وتوفي سنة 685هـ، عن تسع وثمانين سنة. وكان شيخاً حسناً مطبوعاً متواضعاً. الصفي، الوافي بالوفيات، 6/417، 418. ابن تغردي بردي: النجوم الزاهرة، 7/370. ابن العماد: شذرات الذهب، 5/391.

³ ابن العماد: العقود الدرية، 6. الصفي، الوافي بالوفيات، 4/316. الكتبي، فوات الوفيات، 1/74. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 4/493. الشوكاني: البدر الطالع، 1/63.

⁴ الشهورزي: هو محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن، محيي الدين الشيباني الشهروري الموصل الشافعي، ولد سنة 698هـ بالموصل، وتوفي سنة 778هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 4/21.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 33. ابن ناصر الدين الدمشقي، محمد بن أبي بكر: الرد الوافر، تحقيق زهير الشاويش، ط1، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، 1980، ص69.

⁶ تقدمت ترجمته. انظر: ص11، حاشية3.

⁷ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 2/408. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 4/494. ابن العماد: شذرات الذهب، ج6/81. ابن الألويسي: جلاء العينين، ص6.

⁸ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/341. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 2/410. المقرئ: المقفى الكبير، 1/469. ابن العماد: شذرات الذهب، 5/83. الكرمي: الشهادة الزكية، ص29.

الحديد لداود¹. وقد سجّل الشعر أيضاً سعة علمه، واطلاعه على العلوم المختلفة، فهذا شهاب الدين محمد أبو طاهر البعلي الحنبلي يصرّح بتفوقه في الفنون جميعها ، حتى بلغ بذلك قمة المجد وأوجه، في قوله²:

(البسيط)

كَانَ الْمَبْرُورَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ، وَقَدْ أَضَحَّتْ لَهُ فِي ذُرَى أَسْنَامِهَا عِلْمًا

ويؤكد ذلك قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ، من خلال تصوير تغلغل معرفة الشيخ حتى الجذور، وتعمقه بكافة الجزئيات والأقسام، في قوله³:

(الكامل)

حَازَ الْعُلُومَ، أَصُولَهَا وَفُرُوعَهَا وَبِكُلِّ مَا يُرَوَى لَهُ آثَارُ

وصور الشعراء علمه جبلاً راسخاً في باطن الأرض، وهي صورة تقليدية دأب الشعر عليها، من أجل تعظيم قدر هذا العالم وبيان بلوغه الذروة من جهة، وقوة تأثيره من جهة أخرى؛ وبرز ذلك في قول مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط⁴:

(الكامل)

مَا كَانَ إِلَّا طُودَ عِلْمٍ بَادِخٍ مِنْ دُونَ وَرَنٍ حَصَاتِهِ الْقِنَطَارُ

ويؤكد ذلك أحد الشعراء، فيقول⁵:

(الكامل)

إِنْ قَلْتُ: طُودُ الْعِلْمِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ فَاسْمَعْ بِهَذَا الْقَوْلِ فِيهِ وَحَقَّقْ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 13. العمري: مسالك الأبصار، 340/5. ابن ناصر الدين دمشقي: الرد الوافر، 105. المقريزي: المقفى الكبير، 1/ 469. الكرمي: الشهادة الزكية، 36. الكواكب الدرية، 59، 60.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 589.

³ المصدر نفسه، 458.

⁴ المصدر نفسه، 469.

⁵ المصدر نفسه، 587.

وقد أكدَّ الأدب بشقيه أنَّه وعلى الرغم من معرفة ابن تيمية في معظم العلوم، إلاَّ أنَّه تميَّز في العلوم الدينيَّة؛ ومنها تفسير القرآن، وعلوم الحديث، والفتوى، وشهد له بذلك العديد من العلماء والفقهاء من معاصريه؛ فهذا ابن سيِّد النَّاس اليَعْمَرِي يشهد أنَّه من العلماء الذين كان لهم طرف جيد في الفقه والتفسير والأصول والفروع، قال: "فألَّفِيته ممن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد أن يستوعب السُّنن والآثار حفظًا. إنَّ تكلم في التفسير، فهو حامل رايته، أو أفنتى في الفقه، فهو مُدرك غايته، أو ذاكِر في الحديث، فهو صاحب علمه وذو روايته".¹، و ينفى أبو الحَجَّاج المِزِّي مقابله لعالم عارف بأسرار كتاب الله، وكلام رسوله ومقتديًا بهما مثله؛ في قوله: " ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبعَ لهما منه "²، ويرى البزَّار أنَّ علومه تجلَّت في العلوم الدينيَّة، قائلاً: " أمَّا غزارة علومه، فمنها: ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله. "³

ولمع ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم، " فكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه "⁴، وذلك بعد عكوفه على قراءة كل ما تقدم في ذلك؛ حتى جاء " ما ألَّفه من تفسير القرآن العزيز غير ما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم. "⁵، ويؤكد ابن فضل الله العمري بأنَّه من الجهابذة في العلوم الدينيَّة، وعلوم القرآن وتفسير آياته، مسبغاً عليه لقب الإمامة؛ في قوله: " كان إماماً في التفسير وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه، واختلاف الفقهاء "⁶.⁶ وأكدَّ الصفدي قوله، من خلال تسليطه الضوء على مصنفاته الجمَّة في التفسير، قائلاً: "وأما التفسير، فيده فيه طولى، وسرَّده فيه يجعل العيون إليه حوِّلاً "⁷، وعبَّر قاسم بن عبد الرحمن بن

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 16. اليَعْمَرِي: "أجوبة ابن سيِّد النَّاس اليَعْمَرِي عن سوَّالات ابن أبيك الدميَّطي"، انظر:

الجامع، ص188_190. الكرْمِي: الشهادة الزكيَّة، 26_27. الكواكب الدرية، 58.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 12. الكرْمِي: الشهادة الزكيَّة، 45. الكواكب الدرية، 55.

³ البزَّار: الأعلام العليَّة، 23.

⁴ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام 53/324_325. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 160/1.

⁵ ابن رشيق: "أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية": الجامع، ص282.

⁶ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/340.

⁷ الصفدي: أعيان العصر، 1/235.

نصير المقرئ عن معرفة الشيخ بشتى المواضيع والمسائل، إلا أن تفردته تجلّى في كشف أسرار كلام الله، وإيضاح غوامضه؛ كما يبدو في قوله¹:

(الكامل)

وَالْعِلْمُ حَازَ أَصُولَهُ وَفُرُوعَهُ وَغَرَائِبَ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ

ويؤكد ذلك شاعر آخر، إذ بيّن أنه متفرد في علم القراءات والأصول، فقال²:

(الكامل)

هُوَ فِي الْقِرَاءَةِ أَوْحَدٌ فِي عَصَرِهِ هُوَ فِي الْأَصُولِ مُفِيدُنَا وَالْمُنْطَقِي

ويقف الموقف ذاته أيضاً صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، إذ وصفه بأنه الأكثر

معرفة وتعمقاً بآيات الله ودلالاتها، وأقوال رسوله صلى الله عليه وسلم، في قوله³:

(الخفيف)

أَعْلَمُ النَّاسِ كُلَّهُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ لَهُ جِلَّ اسْمُهُ بِغَيْرِ مِرَاءِ
بِمَعَانِيهِ وَالْعُلُومِ الَّتِي فِيهِ وَهُوَ وَأَدْرَى بِالسُّنَنِ الْغَرَاءِ

أما علوم الحديث، فقد سمع الأحاديث الشريفة وعُني بها، وحفظها منسوبة إلى أصلها وسندها حتى قيل: " قلّ مَنْ يحفظ ما يحفظ من الحديث معزواً إلى أصوله"⁴، ويكتشف الذهبي أن أن له ضوابط محكمة، وشروطاً حاسمة في الأخذ بكلام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفهم جوهره، من خلال حرصه على معرفة السياق الذي ورد فيه الحديث، وتواتر الأسانيد، وبحثه في الرواة صدقهم، وعدلهم، ودرجاتهم، قال: " فقد كانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 461.

² المصدر نفسه، 587.

³ المصدر نفسه، 480.

⁴ ابن العماد: شذرات الذهب، 81/6.

وتعديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث وبالعلي والنازل والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به¹؛ وأنشد في ذلك تقي الدين محمود بن علي بن مقل الدقوقي²:

(الطويل)

عَلِيمٌ بِمَنْسُوحِ الْحَدِيثِ وَحُكْمِهِ وَنَاسِخِهِ فَخَرُّ الزَّمَانِ وَمَجْدُهُ

ويؤكد شهاب الدين ابن فضل الله العمري، أنه كانت لديه رؤية كاملة ومعرفة عميقة في

الحكم على الأحاديث، في قوله³:

(البيسط)

أَلَمْ تَكُنْ بِأَحَادِيثِ النَّبِيِّ إِذَا سُئِلْتَ تَعْرِفُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
حَاشَاكَ مِنْ شُبُهٍ فِيهَا وَمِنْ شَبِهٍ كِلَاهِمَا مِنْكَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ

ومثله قول شمس الدين الحنبلي، إذ بيّن معرفته التامة بالأصول، وما تفرع منها، وما

تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله⁴:

(البيسط)

تَرَوِي الْخِلَافَ وَتَأْتِي بِالْأَصُولِ وَعَنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ بِمَا قَالُوا وَمَا نَقَلُوا

أما الفتاوى والاجتهادات، فقد جاء الحديث عنها مستقلاً في القسم الثالث من هذا الفصل.

وقد رسم الأدباء صوراً متعددة تدلّ على علومه وتنوعها، وكانت صورة البحر حاضرةً

بجلاء في صفاته، فساروا على هدى غيرهم، من خلال تصويرهم الممدوح بحرًا في امتداده،

وتضارب موجه، وغزارته، وعمقه، أثبت ابن فضل الله العمري ذلك، بقوله: " هو البحر من أي

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 35. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 409/2. الكرمي: الشهادة الزكية، 41، الكواكب الدرية، 64.

² ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 511. الكرمي: الكواكب الدرية، 211.

³ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 543. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/346. المقرئ: المقفى الكبير، 478/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 186.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 583.

النواحي جنته¹، ووظف الذهبي البحر غير مرة في أثناء حديثه عن ابن تيمية، فوصفه "أنه بحر لا ساحل له"²، وصور المصادر التي نهل منها الشيخ بحراً واسعاً، في حين أخذ غيره من السواقي، وفي ذلك إشارة إلى ضحالة علمهم أمامه؛ يقول: "غير أنه يغترف فيه من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي"³. وتبدو هذه الصورة جلياً في قول شهاب الدين ابن فضل الله العمري⁴:

(البسيط)

بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ قَدْ فَاضَتْ بِقَيْتِهِ فَغَاضَتْ الْأَبْحُرُ الْعُظْمَى وَمَا شَعَرُوا

واستوحى أبو حيان صورة البحر في نفاثسه وفائدتها ليسبغها على علوم ابن تيمية، ويبدو ذلك في قوله⁵:

(البسيط)

حَبْرٌ تَسْرِبُ مِنْهُ دَهْرُهُ حَبْرًا بَحْرٌ تَقَادِفُ مِنْ أَمْوَاجِهِ الدُّرُرُ

وصوره محمود ابن الأثير الحلبي بحراً، يغوص العلماء والأدباء فيه ليستخرجوا منه العلوم فقال⁶:

(الخفيف)

بَحْرٌ عِلْمٌ يَغُوصُ كُلُّ لَبِيبٍ فِي مَعَانِيهِ حَارَ كُلِّ الْأَتَامِ

¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 336/5. المقرئ: المقفى الكبير، 470/1. الكرّم: الشهادة الزكية، 55، الكواكب الدرية، 69.

² الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، 327/53.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 35. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 409/2. الكرّم: الشهادة الزكية، 41، الكواكب الدرية، 64.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 541. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 345/5. المقرئ: المقفى الكبير، 476/1. الكرّم: الكواكب الدرية، 184.

⁵ الصفي: أعيان العصر، 247/1. المقرئ: المقفى الكبير، 469/1. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 162/1. الكرّم: الشهادة الزكية، 32، الكواكب الدرية، 57.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 498. الكرّم: الكواكب الدرية، 197.

ويبين شمس الدين الحنبلي أنّ الله قد أنعم على الدهر والسنين بوجود ابن تيمية وعلومه،
فصوّر الناس ينهلون الخير من علومه الجمّة وخيرها، في قوله¹:

(البسيط)

لَقَدْ حَبَّأَ اللهُ أَيَّامَ الزَّمَانِ بِهِ عُلُومَهُ أَبْحَرُ، وَالْخَلْقُ تَنْتَهَلُ

ويؤكد الصورة ذاتها ابن سيّد الناس اليعمري، حين صوّر معارفه وعلومه صافيةً
كصفاء الماء النّيمير وسط رياض غناء، والناس في حركة دائمة تنتعم بما لذّ وطاب؛ في قوله: "
يردّون من بحر علمه العذب النّيمير، ويرتعون من ربيع فضله، في روضة وغدير"^{2 3}.

وتعجب الشعراء في مراثيهم من هذا البحر الذي ضمّه قبر، كما يبدو في قوله⁴:

(الكامل)

وَاعْجَبَ لِقَبْرِ ضَمِّ بَحْرًا زَاخِرًا بِالْفَضْلِ يَقْذِفُ بِالْعُلَا وَالسُّؤْدِ

وتجلى ذلك في قول شاعر آخر⁵:

(الكامل)

قَدْ أُودِعَ الْقَبْرُ الشَّرِيفُ عُلُومَهُ عَجِبًا لِيُوسِعَ الْقَبْرَ بَحْرًا سَائِلًا

وصوّر الأدباء علم ابن تيمية مطراً متدفقاً في إشارة إلى غزارته أيضاً؛ فهذا مجير الدين
أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط يصوّر علم الشيخ بالمزن التي تحمل ماءً عذباً تارة،

¹ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 582.

² ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 16. الكرمي: الشهادة الزكية، 27. الكواكب الدرية، 58.

³ للمزيد من الأمثلة. انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 34، 463، 457، 564، 577، 579، 583. الذهبي: ذيل

تاريخ الإسلام، 327/53. الصفدي: الوافي بالوفيات، 328/4. الكرمي: الكواكب الدرية، 63_191.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية 516. الكرمي: الكواكب الدرية، 214.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 574.

وبالغيث تارةً أخرى، وما يصاحبهما من خيرٍ وبركةٍ، وألقى الضوء على الديار وحالها بعد الأمطار في إشارة إلى علومه وأثرها في الناس والحياة، في قوله¹:

(الكامل)

مَا كَانَ إِلَّا مُزْنَ عِلْمٍ رُوِّضَتْ مِنْهُ بِصَيِّبِ قَطْرِهِ الْأَقْطَارُ
كَالْغَيْثِ أَقْلَعَ بَعْدَ سَحِّ غَيْمِهِ وَتَخَلَّفَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْآثَارُ

وعبّر الصفيدي عن غزارة علمه فصورّ لمعان ذهنه وسرعة خاطرته، قارناً إياها بسرعة البرق تارةً، وخفة المطر وشدته تارةً أخرى، ومن مظاهر هذا اللمعان أيضاً، سيلان قلمه وترابط كتابته، فالصفيدي هنا يشير إلى صفة امتاز بها ابن تيمية، وهي إنجازها في الجلسة نحواً من الكراريس؛ يتجلى ذلك في قوله: " وكان ذا قلم يسابق البرق إذا لمع، والودق² إذا همع³، يُلمي على المسألة الواحدة ما شاء من رأس القلم، ويكتب الكراسين والثلاثة في قعدة، وحدث ذهنه ما كل ولا انتلم⁴."

ووقف الأدب على مظهر آخر من مظاهر غزارة علمه، وهو كثرة مؤلفاته التي خلفها الشيخ ابن تيمية للأجيال من بعده، فقد عجز الكثير عن المجيء بمثلها أو حتى تقليدها، فقد " كتب بخطه من التصانيف، والتعليق المفيدة، والفتاوى المشبعة، في الأصول والفروع، والحديث، وردّ البدع بالكتاب والسنة، شيئاً كثيراً يبلغ عدّة أعمال⁵. أشاد بها كثيرون، وتحدثوا عن عددها وأشاروا إلى كثرتها وشهرتها، ومنهم البزار في قوله: " وأما مؤلفاته ومصنّفاته فإنّها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرنّي جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد، لأنها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً. وهي منشورة في البلدان. فقلّ بلد نزلته إلا ورأيت فيه من

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 469.

² الودق: المطر. ابن منظور: لسان العرب، مادة "ودق".

³ همعَ الدمعُ والماء: سال. ابن منظور: لسان العرب، مادة "همع".

⁴ الصفيدي: أعيان العصر، 235/1.

⁵ المقرئبي: المقفى الكبير، 468/1.

تصانيفه.¹، وقال الذهبي في ذلك أيضاً: "إن تصانيفه في هذا الوقت أربعة آلاف كراس أو أكثر أكثر"²، ويستشهد الصفدي في ما قاله تلميذ ابن تيمية الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية عنه: " عنه: " وصنف في فنون العلم، ولعل تواليه وفتاويه في الأصول والفروع والزهد واليقين والتوكل والإخلاص وغير ذلك تبلغ ثلاث مئة مجلدة."³، تعددت طرق التعبير عن كثرة مؤلفاته مؤلفاته ومصنفاته، إلا أن ابن رجب يشير إلى شهرتها، فيقرنها بالشمس، التي لا ينكرها أحد، أو يحتكرها؛ في قوله: " وأما تصانيفه، فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تتكرر. سارت مسير الشمس في الأفطار، وامتألت بها البلاد والأمصار"⁴.

وألف محمد بن أحمد المعروف ابن رشيق المغربي عن مؤلفاته ومصنفاته، تحت عنوان " أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية"⁵، فأثبت جميع ما ألفه الشيخ وصنفه حسب الموضوعات، فذكر أولاً ما خطه مفسراً، في الآيات والسور التي طالت تسعين تفسيراً، ووقف ثانياً على ما صنفه في الأصول، موضحاً الكتب التي قالها في ذلك والرسائل التي أجاب بها عن مسائل أو اعتراضات في عشرين مصنفاً، وأسهب في ذكر مجموعة القواعد والفتاوي التي تفرد بها و اقتربت من المئة والخمسين فتوى، وما قدمه من كتب فقهية بلغت خمساً وخمسين قاعدة، و ذكر وصاياه، وهي ثلاث وصايا، وست إجازات، ختمها بذكر رسائله العلمية التي بلغت اثنتين وعشرين رسالة.⁶

وأشار تلميذه ابن قيم الجوزية إلى هذه المؤلفات والمصنفات في قصيدته الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، الشهيرة بالنونية، ذاكراً كتباً كثيرةً منها، ومؤكداً تفرد هذه المؤلفات وشموليتها، بقوله⁷:

¹ البزار: الأعلام العلية، 25.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 254. الكرمي: الشهادة الزكية، 40.

³ الصفدي: الوافي بالوفيات، 318/4.

⁴ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 520/4.

⁵ ابن رشيق: " أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية". انظر: الجامع، ص 282_311.

⁶ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 38_111. الصفدي: الوافي بالوفيات، 322/4_326، أعيان العصر،

245_239/1. الكتبي: فوات الوفيات، 1/75_80. الجامع، ص 282_311.

⁷ ابن قيم الجوزية: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية)، ص 268_269.

(الكامل)

فَأَقْرَأُ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
أَعْنِي أبا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الـ بَحْرَ الْمَحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلْجَانِ
وَأَقْرَأُ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ¹ الَّذِي مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ
وَكَذَا جَوَابٌ لِلنَّصَارِيِّ² فِيهِ مَا يَشْفِي الصَّدُورَ وَإِنَّهُ سِيفَرَانِ
وَكَذَاكَ شَرْحٌ عَقِيدَةٌ لِلْأَصْبَهَانِيِّ نِي³ شَارِحِ الْمَحْصُولِ شَرْحَ بَيَانِ
وَكَذَا قَوَاعِدُ الْإِسْتِقَامَةِ⁴ إِنَّهَا سِيفَرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا وَضَخْمَانِ

وبعد وفاته أيضاً، كتب الشيخ شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي رسالة إلى تلاميذ ابن تيمية يحثهم فيها على الاحتفاظ بما عندهم من الذخائر والنفائس، في قوله: "إنَّ الطريق في حقه: هو الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار على جليتها من غير تصرف فيها ولا اختصار"⁵، ويؤكد أنَّ هذه المؤلفات الغزيرة العظيمة إذا جمعت ونقلت من مسودات أصبحت

¹ كتاب "درء تعارض العقل والنقل" هو الكتاب الثاني من كتب ابن تيمية الكبيرة بعد كتاب "منهاج السنة النبوية"، ويقع في أربعة مجلدات، وفي بعض النسخ جاء في أكثر من ذلك، وهو كتاب عظيم، ردَّ فيه ابن تيمية على الفلاسفة والمتكلمين. وذكر بأكثر من عنوان، منها "بيان موافقة صريح المعقول لصريح المنقول"، "والجمع بين العقل والنقل". انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 36، 37. ابن تيمية: "مقدمة درء تعارض العقل والنقل"، 64/1.

² كتاب "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية" وهو من أهم كتب شيخ الإسلام التي ردَّ فيها على بدع الفرق الضالة، بنهج تيمية عرف عن شيخ الإسلام وهو الدقة والإنصاف الموضوعي. انظر: ابن تيمية: مقدمة منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986، 105/1. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 43.

³ شرح عقيدة الأصبهاني وتسمى أيضاً الأصبهانية، كتبها ابن تيمية شرحاً لرسالة من أبي عبد الله محمد بن محمود بن محمد بن عباد العجلي الأصبهاني الأشعري، وهي عقيدة مختصرة تقع في سطور قليلة، وطلب من ابن تيمية شرحها فشرحها. انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 57. ابن تيمية: مقدمة شرح الأصبهانية، تحقيق محمد بن عودة السعودي، ط1، الرياض: دار المنهاج، 2010، ص41.

⁴ كتاب "قواعد الاستقامة" هو من أجل الكتب التي خلفها ابن تيمية، وأكثرها نفعاً، وقد حققه محمد ابن رشاد سالم أيضاً. انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 45. ابن تيمية: مقدمة الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991، 1، 2/1.

⁵ ابن مري: "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام": الجامع، 152.

مؤلفات ذخيرة صالحة للإسلام وأهله، وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل، ولمن ينتصر لطريق السلف الصالح¹.

وأشار الأدب أيضاً إلى تفرد في علمه، وتمييزه من أقرانه وأنداده، حتى غدا مضرباً للأمثال وقُدوة يُحتذى به ويُشار إليه بالبنان؛ فقد أقسم عماد الدين الواسطي في رسالته، أنه لم يلتق بمكافئ له بعلمه ومعرفته، فوق الأرض، في قوله: " فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخكم: علماً وعملاً، وحالاً، وخلُقاً، واتِّباعاً، وكرماً وحِلماً²، في حين صرَّح الذهبي في ذلك قائلاً: " فريد العصر علماً ومعرفةً وذكاءً وحفظاً³."

وتجلى ذلك على ألسنة الشعراء، فقد صورَّ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف بابن الكوشث علمه بحبة الخال التي استقرت على وجه الشام لتزيده تألقاً وحضوراً، وفي ذلك إشارة إلى رفعة ومكانته، بقوله⁴:

(الطويل)

وَشَامَةُ خَدِّ الشَّامِ قَدْ كَانَ عِلْمُهُ الشَّـ _____ شَرِيفٌ عَلَى الْخَدِّ الْمَكْرَمِ طَابِعُ

ويعبر آخر عن تفرد، إذ جعله بمفرده يفوق جموعاً من العلماء، ولا نظير له، في

قوله⁵:

(البيسط)

وَكَمْ بِمِصْرَ وَبِالشَّامِ الشَّرِيفِ فَتَّى؟ لَكِنْ بِمَجْمُوعِ هَذَا الْحَبْرِ مَا وَجِدَا

ويصوره قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ متفرداً عزَّ نظيره على أديم الأرض،

فقال⁶:

¹ انظر: ابن مري: "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام": الجامع، 154، 155.

² الواسطي: التذكرة والاعتبار، 44.

³ الذهبي: معجم الشيوخ الذهبي، ص 41.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 489.

⁵ المصدر نفسه، 555.

⁶ المصدر نفسه، 457.

أكده ابن سيّد الناس اليَعْمَري في قوله: " كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجمّ الغفير"¹، وأيّده الشيخ العلامة كمال الدين ابن الزمكاني بذلك، فأكد حرص جميع الفرق على حضور مجالسه ومناظراته، وذلك لما تعود به عليهم بالنفع والفائدة، و فيها أظهر قدرته على محاجبتهم والانتصار عليهم، ويبدو ذلك في قوله: " كان إذا سُئِلَ عَنْ فَن، من العِلْمِ ظَنَّ الرَّأْيِي والسامع أَنَّهُ لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم بأن لا يعرفه أحد مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذهبهم منه أشياء، وقال: ولا يُعْرَفُ أَنَّهُ ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشّرْع، أو غيرها إلاّ فاق فيه أهله والمنسوبين إليه"².

وحرص الشعراء أيضًا على إظهار تمكنه من مواجهة الطوائف والفرق الأخرى، فهذا جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي، المعروف بابن الخضري، يلقي الضوء على هذه المجالس ويصورُ قدرة الشيخ ابن تيمية على إجماعهم وإرغامهم على الصمت، إذ أعاد من يعرفه ومن لا يعرفه ثقيل اللسان، وصور علمه وقد أعجز العديد من الفقهاء والعلماء عن الاتيان بمثله أو عباراته والردّ عليه، والشاعر في ذلك كله ينتقد علماء الطوائف الأخرى وفقهاءها ويسخر منهم، يقول³:

(الكامل)

إِما تُبَارِزُهُ تَجْدُهُ مَبَرِّرًا	فِي أَيِّ عِلْمٍ شَنْتَ حَبْرًا مُتَّقِنًا
يا مَنْ أَعادَ أُولِي التَّشَدُّقِ عِلْمُهُ	خُرْسًا وَأَنْطَقَ بِالثَّنَاءِ الْأُسْنَا
يا حَبْرُ بَلْ يا بحرُ كَمْ حَيَّرتَ مِنْ	حَبْرٍ تُصَيِّرُ ذَا الفِصاحَةِ أَلْكَنًا
يا خاتِمَ الفُضلاءِ عِلْمُكَ مُعْجَزٌ	بَهْرَ الوَرَى فَصَدْرَتُ عَنْهُ مُؤَمَّنًا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 16. الكرمي: الشهادة الزكية، 27. الكواكب الدرية، 58.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 13. الكرمي: الكواكب الدرية، 36_37، 60.

³ المصدر نفسه، 507-509. المصدر نفسه، 202-204.

وأشاد الأدباء بحلقات العلم، التي تحلّق بها الناس حوله، فصوّروا اهتمامهم بحديثه وإنصاتهم لكلامه وانتباههم له، بدا ذلك حين أصغوا السمع، فبدت مسامعهم وكلمات الشيخ وحدة متماسكة كما يبدو في قول أحد الشعراء¹:

(البسيط)

تُصغي المسامعُ لبيتاً² عند منطِقِهِ كأنّما السمعُ بالألفاظِ قد عُقدَا

ويؤكد شاعر آخر أنّ هذا ليس غريباً على الشيخ ومجالسه، وذلك لحرصه على التوضيح والإسهاب في التفسير والعرض، فقد كان لا يترك لسامعيه مدخلاً للحيرة والاستفسار، يقول³:

(الكامل)

قَدْ كَانَ لَا يَحْتَاجُ طَالِبُ عِلْمِهِ كَثَرَ السُّؤَالِ، وَلَيْسَ يَلْقَى سَائِلاً

ويُقدِّم جمال الدين محمود ابن الأثير الحلبي في مرثيته للشيخ التي أرسلها من حلب، صورة لوارديه من العلماء وأهل العلوم، وسعيهم لحضور هذه الحلقات، فتحدث عن حرصهم على حضور مجالسه بدعوة بعضهم بعضاً حتى وصل بهم الحال من كثرة الحضور إلى التزام عليها، ويفصح الشاعر عن دوافعهم الهادفة إلى قطف ثمار كلامه، فهي أشبه بالنور الذي يضيء أيامهم ولياليهم، وصوّر حالهم قبل استماعهم وتفقههم بالإنسان الظمآن، ومن شدة ظمئهم ولذة ما يسمعون أضحوا سكارى في مجالسه، يقول⁴:

(الخفيف)

وَلَدَيْهِ أَهْلُ الْعُلُومِ تَدَاعَتْ إِذْ هَوَتْ حَوْلَهُ مِنَ الْإِزْدِحَامِ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص554.

² اللّيت: بكسر اللام، هي صفحة العنق، وقيل الليتان صفحتا العنق، وقيل: أدنى صفحتي العنق من الرأس، عليهما ينحدر القرطان، ووردت في الحديث: يُفَخُّ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى لبيتاً أي أمال صفحة عنقه، والجمع أليات وليتة. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة " ليت".

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص574.

⁴ المصدر نفسه، 499.

تَبْتَغِي مِنْ جَنَى مَعَانِيهِ نَطْقاً تَسْتَضِيُّ مِنْهُ فِي دِيَاغِي الظَّلامِ
فِي رَوِيِّ قَلْبِهِمْ بِعِلْمِهِمْ فَتَرَاهُمْ سَكْرَى بِغَيْرِ مُدَامِ

وعبّر شهاب الدين محمد أبو الطاهر البعلبي الحنبلي عن قيمة مجالسه العلمية، التي غدت موضع تداول الحكماء ونقاشهم قبل عامة الناس، إذ قال¹:

(البيسط)

أَضَحَتْ عَوَائِدُهُ تُبَدِي فَوَائِدَهُ عَلَى مَوَائِدِهِ فِي حَضْرَةِ الْحُكَمَا

ويعصّر شهاب الدين ابن فضل الله العمري أجوبة الشيخ مطراً على سامعيه، ويُسَلِّطُ الضوء على حال مبارزه، فصوره وقت الغدو جاء مصافحاً، ووقت الإدبار وقد بدا مذنباً، وكأن أجوبة الشيخ معدة سلفاً ما يدل على استعداده وتمكنه التام من جهة، وقوة حافظته وحضور بديهته من جهة ثانية، ويبدو ذلك في قوله²:

(الكامل)

أَبْدَأَ عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ جَوَابُهُ فَكَأَنَّمَا هِيَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبِ
يَغْدُو مُسَاجِلُهُ³ بِغُرَّةِ صَافِحِ وَيَرُوحُ مُعْتَرِفاً بِذُلَّةِ مُذْنِبِ

وقد تحدث البزّار عن دروسه ومجالسه، وعبّر عن المعاني السابقة وبين أنه كان يرتاد مجالس العلم، فيستهلها بحمد الله والصلاة على رسوله، ثم يشرع فيها من غير إعداد وتخطيط لما سيقدمه؛ يقول: " وكان لا يهيئ شيئاً من العلم ليُلقيه ويورده، بل يجلس بعد أن يُصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه، ويُصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يشرع، فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات وآيات وأحاديث، وأقوال العلماء⁴، ووضّح سلاسته وعدم تكلفه فيما يورده، حتى استمال بذلك ألباب الحضور وقلوبهم،

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 589.

² ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 337. المقرئ: المقفى الكبير 1/ 471.

³ ساجل الرجل: أي باراه. ابن منظور: لسان العرب، مادة "سجل".

⁴ البزّار: الأعلام العلية، ص 29.

وقلوبهم، يتجلّى ذلك في قوله: "روايته من غير تَعَجْرُفٍ ولا تَوَقُّفٍ ولا لحن، بل فَيَضُّ إلهي، حتى يبهر كل سامع وناظر... و يقع إذ ذاك من المهابة ما يُرْعِدُ القلوب ويحَيِّرُ الأبصار والعقول." ¹، ويصوِّره ابن الوردي طليق اللسان في مجالسه، إذ قال: "كان يورد المجلس ولا يتعلم، وكذلك الدرس بتؤدّةٍ وصوتٍ جهوريٍّ فصيح." ²

وفي موضع آخر سرد البزار حادثة تكشف عن دقة ملاحظة الشيخ، وشدة انتباهه وتركيزه لما يقال، وبدا ذلك في تصحيحه ما كان يسمع من معلومات خاطئة، كما يبدو في قوله: "أنه كان يوماً بمجلسٍ، ومحدّثٌ يقرأُ عليه بعض الكتب الحديثية. وكان سريع القراءة. فعارضه الشيخ في اسم رجل من سند الحديث قد ذكره القارئ بسرعة. فذكر الشيخ أن اسمه فلان، بخلاف ما قرأ. فاعتبروه فوجدوه كما قال الشيخ." ³، ويصوِّر شمس الدين الحنبلي حدّته القويّة في مجالس العلم بالأسد وسط معركة ضارية، في قوله ⁴:

(البيسط)

وَإِنْ تَكُنْ فِي مَجَالِ الدَّرْسِ كُنْتَ بِهِ لَيْثاً تَصُولُ، وَمِنْ أَلْفَاظِكَ الْأَسْلُ

ومثله قول مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط، الذي كشف عدّة الشيخ وعتاده في معاركه، إذ صوِّر علومه سيفاً وأجوبته رماحاً يقاثل بها، قائلاً ⁵:

(الطويل)

يَصُولُ بِسَيْفِ العِلْمِ فِي مَعْرَكِ النُّهْيِ وَأَرْمَاحُ شَرِّعِ الجَهْلِ أَقْبِلْنَ شَرِّعاً

¹ البزار: الأعلام العلية، ص 29.

² ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 408/2.

³ البزار: الأعلام العلية، ص 31.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 583.

⁵ المصدر نفسه، 477.

وبلغت منزلة ابن تيمية العلمية عند شعراء عصره أن جعلوه المقصود بقوله تعالى: { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }¹، بل هو المعنى الأول بها، كما يبدو في قول جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم بن الخليل البغدادي، المعروف بابن الخُضري في ذلك²:

(الكامل)

اللَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى الْعَمَاءِ فِي نَصِّ الْكِتَابِ وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَنَى
فقد صورّ الأدب فضل تلك المجالس وخيرها الجسيم العائد على الشيخ ابن تيمية أولاً، وعلى الكون من حوله والناس ثانياً، وقد تعددت صور هذا الخير، فمن الشعراء من عبّروا عن ذلك تعبيراً مباشراً، فبيّنوا أهميتها في تحرير العقول من الأوهام والقيود، وإبصارهم وتبصيرهم بحقائق الأمور، جاعلين علمه فيها نوراً أضاء الكون، وعرف الناس به ربّهم، واهتدوا به لأمر دينهم، وأخرجهم من الضلال إلى النور، ويتجلّى ذلك في قول علاء الدين ابن غانم³:

(الخفيف)

كَمْ بِنُورِ الْعِلْمِ أَخْرَجَ قَوْمًا مِنْ ضَلَالٍ، وَمِنْ عَظِيمِ ظَلَامٍ
وتجلّى ذلك في قول بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني، الذي صورّ الشيخ وقد سطرّ على صحائف الدهر من العلوم والآثار، ما لا يعفو رسمه ولا يندثر⁴:

(الطويل)

أَعَدْتَ نَهَارَ الْجَهْلِ لَيْلًا مُسْوَدًّا وَكَافَرَ لَيْلِ الْكُفْرِ صَيَّرْتَهُ فَجْرًا
نَظَمْتَ عَلَى جِيدِ الزَّمَانِ قَلَانِدًا بِفَضْلِكَ نَظْمًا مِنْ عُلُومِكَ أَوْثَرًا

¹ سورة المجادلة، آية 11.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 509.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 465. الكرّمي: الكواكب الدرية، 192.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 578.

وصور آخرون أثر هذا العلم على الدنيا والتي أضحت روضة غناء مزهرة، فهذا مجير الدين الخياط يصف أثر هذه الجواهر والذُرر العلمية على كل شيء من حوله، فكانت خير سحاب سقت الأرض فارتوت حتى تجلّى الحق وانتصب، فأينعت من حوله الجنان، في قوله¹:

:¹

(الطويل)

وروضَ علومٍ ناضراً عاد ممرعا وصوِّح منه كلُّ ما كان ممرعا
سحابُ علومِ روضِ الأرضِ فضله وألبسَها بُردَ البيانِ الموسعا
وكالمُزَنِ، أنى جاد بالوابلِ الثرى وروى صداها حُوقاً أن يتقشعا
ونضراً منها بالفضائلِ أوجهاً وتوجَّها تاجَ المعالي المرصعا
وخلفها من بعد صيبِ صوبه عليها رياضاً للعقولِ وأقلعا

وبرز هذا في قول الصفدي²:

(السريع)

كَمَ مَجْسُ كَانِ هَشِيمًا³ مِنَ الْـ عِلْمٍ فَلَمَّا جَاءَهُ رُوضَا
وَكُلُّ حَقْلٍ أَفْقُهُ مُظْلِمٌ تَرَاهُ إِذْ وَافَى إِلَيْهِ أَضَا

ويُبيِّن شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف بابن الكوشة، أنَّ علومه غدت قطب العلوم وأهله، فأضحت محوراً مهماً للتوازن في الكون، فقال⁴:

(الكامل)

نُورُ الْفَتَى التَّيْمِيِّ وَالْقُطْبِ الَّذِي فَلَاكَ الْعُلُومِ عَلَيْهِ كَانَ يَدُورُ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص476_478.

² الصفدي: أعيان العصر، 251/1.

³ الهشيم: النبات اليابس المنكسر. ابن منظور: لسان العرب، مادة "هشم".

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 486. الكرمي: الكواكب الدرية، 205.

وأصبح عليه الشعراء لفظ الحَبْر¹، وهي لفظٌ ذات بعدٍ دلاليٍّ يدور حول التحسين و الأثر الذي يخلفه العالم، فالحَبْرُ إذن هو العالم وأثره، وإن آثار ابن تيمية العلمية والدينية باقية خالدة في عقول الناس وقلوبهم، وعبر شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان، المعروف بابن الكوشث عن هذا الأثر، وصوّره وقد أثار سواد الليل وظلمته، في قوله²:

(الكامل)

حَبْرٌ بِهِ كَانَ الزَّمَانُ وَمَنْ بِهِ يَزْهُو وَيُشْرِقُ فِي الدُّجَى وَيُنِيرُ
ويقول في ذلك بدر الدين بن عز الدين المغيبي مشيرًا أن مفاتيح العلوم كانت بين كفي ابن تيمية³:

(الكامل)

العالمُ الحَبْرُ الإمامُ، وَمَنْ غَدَا فِي رَاحَتِهِ مِنَ العُلُومِ زِمَامُ
ولهذا كلّهُ تعددت الألقاب الدالة على مكانة الشيخ العلمية، ومنها الحَبْر، وإمام عصره، وحجة زمانه، وذلك استجابةً لما ورد في الأثر النبوي أن الله يقيد كل مئة عام مجددًا لهذه الأمة دينها، في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)⁴، وجعله بعضهم امتدادًا لإمام القرن الثالث، أحمد بن حنبل⁵، هذا ما توقف عنده الأدباء، فبين شهاب الدين ابن فضل الله العمري أن الله أحيا به السنة، وجعله إمام المسلمين، فقال⁶:

¹ سبق التعريف بها، انظر:ص83.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 486.

³ المصدر نفسه، 502.

⁴ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط.)، دار الفكر، باب ما يذكر في قرن المائة، (د.ت)، رقم 4291، 4/109.

⁵ أحمد بن محمد بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن ذهل بن شيبان، أبو عبد الله الشيباني المروزي. ولد سنة 164هـ، وتوفي سنة 241هـ ببغداد، ودفن بمقبرة باب حرب. وكان إمام المحدثين، قال في ذلك أحد الشافعيين: أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث، وإمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة. انظر: ابن الجوزي، أبا الفرج عبد الرحمن: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1، بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1973، 13. ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/63-65. ابن أبي يعلى، أبا الحسين محمد بن محمد بن الحسين: طبقات الحنابلة، (د.ط.)، بيروت: دار المعرفة، (د.ت)، 1/4-20.

⁶ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/337. ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، 140. المقرئ: المقفى الكبير، 471/1. الكرعي: الكواكب الدرية، 69.

(الوافر)

تَقَدَّمَ رَاكِبًا فِيهِمْ إِمَامًا وَكَوْلَاهُ لَمَّا رَكِبُوا وَرَاءَهُ

ويقف شهاب الدين محمد أبو طاهر البعلي الحنبلي عند المعنى ذاته، مبيّنًا أنه مجدد

القرن السابع وإمامه، فقال¹:

(البيسط)

فِي رَأْسِ سَبْعِ مِئِينَ كُنْتَ قَدْ وَجِبْتَ لَكَ الْإِمَامَةُ يَا خُلَاصَةَ الْعُلَمَاءِ

ويؤكد بدر الدين بن عز الدين المغيبي أن آثاره وعلومه كانت الأسبق والأعمق أثرًا

رغم تأخرها، في قوله²:

(الكامل)

فَلَمَّا تَأَخَّرَ فِي الْقُرُونِ لَثَامِنِ فَالْقَدِّ تَقَدَّمَ فِي الْعُلُومِ إِمَامُ

فَاقَ الْقُرُونِ سِوَى الثَّلَاثِ فَإِنَّهَا خَيْرُ الْقُرُونِ يَزِينُهُنَّ تَمَامُ

ويعدّ الشاعر نجم الدين اسحق بن ألمى التركي ما فعله الشيخ من تجديد لأمر الدين

في عصره استكمالاً للهجرة النبوية، فيصور أعماله وآثاره نوراً نسف الباطل و الظلام، وأرسى

الحق والهدى، في قوله³:

(الطويل)

فَجَاءَ بِحَبْرِ عَالَمٍ مِنْ سَرَائِهِمْ لِسَبْعِ مِئِينَ بَعْدَ هِجْرَةِ يَثْرِبِ

لَنَا مِنْهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ أئِمَّةٌ هُدَاةٌ إِلَى الْعُلْيَا، مَصَابِيحُ مَرْقَبِ

ويهنئ الواسطي معاصريه وأهل الزمان لرحمة الله تعالى بهم، وإرساله رجلاً واقعاً في

قلبه نور إلهي، في زمان كثرت فيه البدع والمنكرات، فكشف الله على يديه الشبهات

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 589.

² المصدر نفسه، 502، 503.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 454. الكرمي: الكواكب الدرية، 74.

والضلالات، حاثاً الناس على شكر الله على ما وهبهم من نعمة هذا الشيخ، في قوله: " فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبع مئة من الهجرة من بين لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبيّن لكم بهذا النور المحمدي ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائع من المستقيم، والصحيح من السقيم."¹

ثالثاً: فتاوى ابن تيمية واجتهاداته

ومن المظاهر المهمة لصورة ابن تيمية العلمية، الفتاوى والاجتهادات، إذ صور الأدب قدرة الشيخ على الإفتاء وإحياء العلوم، وردّه على أسئلة واستفسارات دينية وديوبية من شتى بقاع الأرض، ويشهد البزار على ذلك، فصور اعتماد الناس عليه واستعانتهم به في أحلك الظروف، وجعل أجوبته دواء يبرئ العلل ويشفي الصدور، في قوله: " إن أهل البلد البعيدة عنه كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم، ويُعولون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه، فيشفي غلّتهم بأجوبته المسدّة"²، ولما كان ابن تيمية عاكفاً في حياته كلّها على نصوص مؤلفاته مجيباً مفتياً موضعاً، فإنّ الفتاوى كانت حاضرة بجلاء فيما تُرجم عن حياته، واحتلت جزءاً من بين الدلالات التي أشار إليها الأدب، فهذا شمس الدين الحنبلي، يعبر عن كثرة الفتاوى التي كانت تفد عليه، وقدرته على الإجابة عنها، فقال:³

(البسيط)

كَمْ قَدْ أَتَكَ فَتَاوَى لَا عِدَادَ لَهَا أَجِبْتَ أَرْبَابَهَا عَنْ كُلِّ مَا سَأَلُوا

ويستكثر جمال الدين محمود ابن الأثير الحلبي مجموع الفتاوى التي وفدت إليه، وأكد

أنّ إجابته كانت خير دواء، في قوله:⁴

¹ الواسطي: التذكرة والاعتبار، 40.

² البزار: الأعلام العلية، 70.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 583.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 499. الكرمي: الكواكب الدرية، 197.

(الخفيف)

كَمْ فَتَاوَى أَتَتْهُ مَعَ كُلِّ شَخْصٍ أَعْجَزَتْ كُلَّ عَالَمٍ صَمَّصَامٍ
حَلَّهَا كَالنَّسِيمِ فِي الْحَالِ جَلَى لَصَادَاهَا مِنْ عِلَّةِ الْأَسْقَامِ

وبصوّر شهاب الدين ابن فضل الله العمري استعداد الشيخ الدائم للاستفتاء والإجابة، فلم يأتيه يوماً قاصد سائلاً، إلاّ وشرع في الإجابة وكأنّها مُعدة له مسبقاً، بقوله: كانت " ترد إليه الفتاوى ولا يردّها، وتفد عليه فيجيب عليها بأجوبة كأنّه كان قاعداً بها يُعدها"¹، ويثبت البزار ذلك، إذ قال: " وقلّ إن وقعت واقعة وسئل عنها إلاّ وأجاب فيها بديهة بما بهرّ واشتهر"²، ويذكر ويذكر قصة ملخصها، أنّ يهودياً جاء الشيخ فسأل عن مسألة في القدر في ثمانية أبيات من الشعر، فرد الشيخ على السؤال وزناً وقافيةً في مئة وأربعة وثمانين بيتاً في وقت يسير³.

ومن الفتاوى والاجتهادات استمد الأدباء مادّتهم ومعانيهم وصورهم في صورته، ومن أجمل هذه الصور ربط الاجتهاد بالبعث، فهذا سعد الدين سعد الله بن بختيار يجعل اجتهادات ابن تيمية إحياء للعلوم، كما يبدو في قوله⁴:

(البسيط)

لِللّهِ كَمْ مَيْتٍ عِلْمٍ أَنْتَ تَنْشُرُهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَتْ الْأَيَّامُ تَطْوِيهِ

وبصوّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم قدرته على كشف ما استعصى على الناس في شتى العلوم، بقوله⁵:

(الطويل)

وَأَظْهَرْتَ مَا قَدْ كَانَ لِلنَّاسِ خَافِيَاً بِكُلِّ مَعَانٍ وَالفُنُونِ الْغَرِيْبَةِ

¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 337/5. المقرئ: المقفى الكبير، 1/ 471. الكرمي: الشهادة الزكية، 56. الكواكب الدرية، 70.

² البزار: الأعلام العلية، 28.

³ انظر: الأعلام العلية، 28. الكرمي: الكواكب الدرية، 79، 80.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 562.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 531. الكرمي: الكواكب الدرية، 226.

وأوضحت إشكالاً وبيّنت مُبهماً وأبدت أسراراً بنفسٍ عليمَةٍ

في حين يصوّر مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الدمشقي الخياط
اجتهادات الشيخ وتوضيحه بنور أضواء العديد من الطرق، في قوله¹:

(الطويل)

وكمّ من طريق في المباحث مُبهمٍ بإيضاحه أضحي لساريه مهيعاً²

وصوّر زين الدين عمر بن الحسام الشبلي كيف استطاع ابن تيمية إجلاء الحق لأهل
العلم كافة، بعد ما استعصى عليهم وأسكتهم، فصوّر أجوبته شمساً ساطعة وسط السماء، لم
يستطع أحد إنكارها، في قوله³:

(الكامل)

وإذا المسائل في الفتاوى أفتحمتُ أهل العلوم وحجّبت بخفاء
وأنت تقيّ الدين أظهر ما اختفى منها وأبدأه لعين الرائي
فيرى سُهاها في الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحو سماء
ويرى البصير الحقّ فيما قاله والحق لا يخفى على البصراء

ومثله قول علاء الدين بن غانم، الذي بيّن أنّ أجوبته ورسائله أشبه ما تكون بنجوم في
ليل حالكة، فكانت خير دليل للناس كافة على الهداية وترك الضلال، في قوله⁴:

(الخفيف)

طبّق الأرض بالفتاوى اللواتي هي منقذاتُ الورى من الآثام⁵

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 478.

² طريق مهيع: واضح واسع بيّن، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة "هيع".

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 494. الكرمي: الكواكب الدرية، 200.

⁴ المصدر نفسه، 465. المصدر نفسه، 192.

⁵ هكذا وردت في المصدر لكن البيت مكسور، وليستقيم الوزن يصبح هكذا: طبّق الأرض بالفتاوى اللواتي أحيت الكون من دجى الآثام.

وأكد سعد الدين سعد الله بن بختيار أن فتاوى الشيخ علاج لأمراض الأمة وجهلها، قائلاً¹:

(البسيط)

يا كاشفَ المشكلاتِ المعضلاتِ لنا بأبلجٍ مُستتيرٍ من فتاويه

وصورَ الشاعرِ ذاته الجهلِ ناراً واجتهاداتِ ابنِ تيمية ماءً أطفأها، كما يبدو في قول²:

(الكامل)

أخمدتَ نارَ جهالةٍ، ما خلتها لولا جهادك واجتهادك تُخمدُ

وعبرَ شمس الدين الحنبلي عن ذبوع هذه الفتاوى وسعادة الناس بعلم الشيخ وإفتائه الذي

هو أهل له، فكشف ما له في نفوسهم وقلوبهم من محبة ومكانة مرموقة، في قوله³:

(البسيط)

دانته لعلمك أهل الأرض قاطبةً فأنت مُفتي الورى في كل ما جهلوا

وهذا عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرمي الأصل الدمشقي الحريري، المعروف

بالمتميم، أعاد شهرة الشيخ وبلوغه الآفاق؛ لكثرة معارفه وتشعب مسالكة التي انتهت بإفتائه،

قائلاً⁴:

(الطويل)

أليسَ الذي قد شاع في الكونِ نكرُهُ وعمَّ البرايا بالفتاوى العظيمة

لقد كانت أغلب المواضيع التي أفتى بها ابن تيمية موضع جدل وخلاف بين الفقهاء

والمذاهب، إلا أنه كان عارفاً بآراء المذاهب فيها، ويستشهد بأقوالهم، يقول في ذلك ابن الوردي:

له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل أن يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب

الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة⁵، ومن هذه المسائل، مسألة الأسماء والصفات،

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 562.

² المصدر نفسه، 568.

³ المصدر نفسه، 583.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 531. الكرمي: الكواكب الدرية، 226.

⁵ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 409/2. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 168/1. الألويسي: جلاء العينين، 10.

والصفات، التي جاءت ردًا على سؤال وُجّه إليه من أهل حماة؛ وهي ما تعرف بالفتوى الحمويّة الكبرى، وقد أشارت كثير من المصادر¹ إلى ما شغل الناس آنذاك في مسألة الاعتقاد، فقد جاءه أحدهم سائلاً مستفتياً، هل الاستواء حقيقياً أم مجازياً؟ وهل على المرء الإيمان بالقرآن ظاهراً فقط أم ظاهراً وتأويلاً؟ وهل القرآن مخلوق؟، في قوله: " ما قول السادة العلماء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}² وقوله: {ثم استوى على العرش}³ وقوله: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان}⁴ إلى غيرها من آيات الصفات"⁵. فقد أجاب عنها في رسالة جاءت ضمن مجموع الفتاوى الكبرى، فأوضح فيها منهج السنة والسلف الصالح في ذلك، واستشهد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وبيّن مواطن الخلاف بين الفرق والطوائف من الشافعية والمالكية والحنفية والصوفيين والفلاسفة والمتكلمين، وذكر آراءهم وحججهم، وأسهب في الشرح والتوضيح والاستدلال ردًا عليها، وبيّن أنّ الاستواء استواء حقيقياً يليق بجلاله سبحانه، ليس كاستواء البشر، ولكن الكيفية مجهولة، في قوله: " أصل الاستواء على العرش: ثابت بالكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل، على كل نبي أرسل."⁶

أما العقيدة الواسطية⁷، فقد كتبها بعد مجيئه رجل من قضاة واسط من أهل الخير والصلاح، يشكو إليه حال الناس وما هم فيه من جهل وضلال، وتخبط في المذاهب

¹ النويري: نهاية الأب، 32/99-109. البرزالي: المفتى، 2/570. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 111-144. الصفي: أعيان العصر، 1/236-237. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/4-5. ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، 2/396.

ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 1/155. الكرمي: الكواكب الدرية، 112-116.

² سورة "الأعراف"، آية 54.

³ سورة "طه"، آية 5.

⁴ سورة "فصلت"، آية 11.

⁵ ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، (د.ط)، دار إحياء دار الكتب العربية، (د.ت)، 5/5.

⁶ المصدر نفسه، 2/188.

⁷ العقيدة الواسطية: سُميت بالواسطية: " لأن الذي سألها أو طلب كتابتها من الشيخ رجل من أهل واسط؛ جاء إليه في أحد مواسم الحج وهو جالس في المسجد بعد صلاة العصر، فشكا إليه انتشار الفرق والأهواء والعقائد، وقال له: اكتب لي عقيدة تكون عمدة لي، فكتب له هذه العقيدة، وهو جالس في مجلسه بعد العصر". الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن: التعليقات

المُحرِّفة¹، فجاءت هذه العقيدة التي "تعدُّ زبدة لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالأُمور التي خاض فيها بالبدع، وكثر الكلام والقييل والقال"²، وعُرفت فيما بعد بالعقيدة الواسطية، وعلى إثرها عقدت له مجالس بحضور العلماء والأئمة الفقهاء في مصر والشام، وطال فيها الكلام، وفي هذه المجالس قرئت العقيدة على الحاضرين حرفاً حرفاً، ومما اعترض عليه، قوله: "ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل" سائلاً: ما المراد بالتحريف والتعطيل؟، فأجاب إن تحريف الكلم عن مواضعه، كما ذمّه الله في كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دلّ عليه المعنى، موضحاً أنّه عدل عن لفظة التأويل إلى التحريف، وذلك لأنّ التأويل لها عدة معانٍ³، وتبع ذلك العديد من الاضطراب والفوضى انتهت بحبسه⁴، وعلى صدد هذه الفتوى يصوّر الدّوادري أنّ الشيخ يخالف في كلامه وفتاويه ما اتفق عليه، فيصوّر جرأته في الخوض والحديث في ما لم يتحدث به السابقون، وينكر عليه كلامه، في قوله: "وكان النقيّ ابن التيمية في هذه المدة قد تحدث في مسائل الأسماء والصفات، ونصّ في كلامه على أمور مُنكرات، وتكلّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون"⁵.

وتحدث أيضاً في مسألة الطلاق، وأفرد لها باباً في مجموع الفتاوى بعنوان "باب طلاق السنة وطلاق البدعة"، تحدث فيه عما يحلّ من الطلاق ويحرم، وفصل في مواضع الطلاق المباح والمحرم بالكتاب والسنة والإجماع، كالطلاق في الحيض مثلاً، وأجاب فيه عن الحلف بالطلاق، والطلاق لحظة الغضب، وطلاق السكران، وتعليق الطلاق بشروط، والعديد من الأسئلة الأخرى و الاستفسارات والتوضيحات التي تتصل بالحياة الاجتماعية، ومن أبرز أقواله

الزكية على العقيدة الواسطية، اعتنى به وأشرف عليه أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ط1، الرياض: دار الوطن، 1998، 37/1.

¹ انظر: العثيمين محمد صالح: شرح العقيدة الواسطية، خرّج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميلي، ط6، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ—، مج1، ص19، الكرمي: الكواكب الدرية، 118.

² العثيمين، محمد صالح: شرح العقيدة الواسطية، 20/1.

³ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 268_306. الكرمي: الكواكب الدرية، 118.

⁴ انظر: النويري: نهاية الأرب، 32/109_116. الدوادري: كنز الدرر، 9/133_145. البرزالي: المفتي، 3/301. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 258—315. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/38_40. ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة،

2/396_398. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 1/155. الكرمي: الكواكب الدرية، 118—125.

⁵ النويري: نهاية الأرب، 32/112. الدوادري: كنز الدرر، 9/140.

في ذلك التكفير في الحلف بالطلاق، وأنَّ الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة، وأنَّ الطلاق المحرَّم لا يقع¹، وعلى إثرها عرض عليه القضاة التوقف والكف عن الإفتاء في هذه المسألة، وصرح كتاب بحقه في ذلك²، إلَّا أنَّه لم يلتزم قائلًا: " لا يسعني كتمان العلم"³، فعادوه القضاة وعاتبوه في ذلك وحبسوه أيضًا.

ومن الأمور التي أفتى بها ابن تيمية أيضًا مسألة شدِّ الرِّحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، فقد كان " أول من تكلم بهذه المسألة"⁴؛ وذلك لما رآه بدعًا من زيارة القبور والتضرع بالأولياء والصالحين، وقد كثر القيل والقال إثر جوابه، فقد تحدث عن ذلك مطولاً، في كتابه مجموع الفتاوى تحت عنوان الزيارة، فوضَّح مواطن التنازع بين العلماء، وبيَّن أن زيارة القبور تنقسم إلى قسمين: زيارة شرعية مستباحة، " وهي زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت لقربته أو صداقته. فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة"⁵. وذلك لأنها تذكر بالموت والحياة الآخرة، كما جاء في قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن أبي هريرة؛ " قال: زار النبي، صلى الله عليه وسلم، قبر أمه. فبكى وأبكى من حوله. فقال " استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يُؤذَن لي. واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي. فزوروا القبور. فإنها تذكركم بالآخرة"⁶.

وأخرى بدعة، فقد أنكر زيارة قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، وقبور الأولياء الصالحين، بقصد التوسل بها والتبرك بأصحابها، وطلباً للاستغاثة والحاجة، والنذر لها، واستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام،

¹ انظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، 238/33 ، 102 ، 47 ، 5.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 393-396. الصفدي: أعيان العصر، 237/1. ابن كثير: البداية والنهاية، 89/14. ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، 401/2.

³ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 394. ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، 401/2. الكرمي: الكواكب الدرية، 146.

⁴ ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 2/ 112.

⁵ ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، 378/27.

⁶ ابن الحجاج مسلم: صحيح مسلم، ج2، كتاب الجنائز، ص671. انظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، 378/27. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 396_410. الكرمي: الكواكب الدرية، 148_158.

ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" ¹، ووضَّح أن زيارة القبر للتبرُّك به، من البدع المخالفة للسنة والإجماع؛ في قوله: "إنَّ الزيارة إذا تضمنت أمراً محرماً: من شرك أو كذب أو نذب، أو نياحة أو قول وهجر: فهي محرمة بالإجماع" ²، وأثبت ذلك في غير حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج" ³، وصرَّح بذلك في موضع آخر قائلاً: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك" ⁴، وقوله: "إن من شرار الناس من تدرَكهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد" ^{5 6} الأمر الذي أثار فقهاء المذاهب الأخرى وقاموا عليه، حتى وصل بهم إلى تكفيره، يستشهد بذلك ابنُ الجزري في قوله: "قامت فقهاء الشافعية والمالكية وكتبوا فتياً في الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فكتب عليها الشيخ الإمام برهان الدين الشافعي" ⁷، نحو أربعين سطراً بأشياء كثيرة أنه يقولها ويفتي بها، وآخر

¹ ابن الحجاج مسلم: صحيح مسلم، ج2، كتاب الحج، ص1014.

² ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، 378/27.

³ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ط1، بيروت: دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، 1988، ج2، كتاب الجنائز، ص238.

⁴ ابن الحجاج مسلم: صحيح مسلم، ج1، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ص214.

⁵ النيسابوري السلمي، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، حققه وخرَّج أحاديثه وقدم له محمد مصطفى الأعظمي، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1975، باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد، 7/2. ابن حنبل، أحمد: مسند أحمد، ط2، المكتب الإسلامي_بيروت، 1978، 435/1.

⁶ انظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مج 27، ص381-382. الغياني، إبراهيم بن أحمد، "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الأحجار": الجامع، ص 137_138. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 396—410. الكرمي: الكواكب الدرية، 148—158.

⁷ برهان الدين الشافعي: هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري، برهان الدين المعروف بابن الفركاح، شيخ الشافعية في زمانه، ولد سنة 660هـ، وذكر ابن حجر أنه ولد سنة ستين، وتوفي سنة 729هـ، نشأ في تصون، وأتقن العربية، وبرع في المذاهب، وكان مع مخالفته للشيخ ابن تيمية لا يهجره، ولما مات شيع جنازته وقعد لعزائه. انظر: ابن عبد الرحمن العثماني القرشي محمد: طبقات الفقهاء الكبرى، حققه وعلق عليه: محيي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: شركة دار البشائر الإسلامية، 2013م، مج2، ص786، 787. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 36، 35/1.

وآخر الكلام أفتى بتكفيره، ووافقه شهاب الدين بن جهبل الشافعي¹ وكتب تحت خطه، وكذلك الصدر المالكي² " 3 حتى انتهى الأمر يومذاك إلى حبسه حتى وافاه الأجل⁴، ويقول الصفي في ذلك: " وما دمّر عليه شيء كمسألة الزيارة، ولا شُنَّ عليه مثلها إغارة، دخل منها إلى القلعة معتقلاً، وجفاه صاحبه وقلا، وما خرج منها إلا على الآلة الحدياء. " 5

وصور أحد الشعراء أن الشيخ كان حرّ التفكير، لم يتعصب لمذهب بعينه، أو يتمسك به، فعدة سنين وهو يفتي مستقلاً متحرراً من كافة القيود إلا الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح⁶، يقول⁷:

(الكامل)

يُفتي بجمع مذاهب عن أربع لکنه في الفضلِ آخر من بقي

ويؤكد شهاب الدين ابن فضل الله العمري، استقلاله في الرأي على معرفته بالمذاهب الأخرى، فيقول⁸:

(البسيط)

فَرَدُّ المذاهبِ في أقوالِ أربعةٍ جَاءوا على أثرِ السُّبَّاقِ وابتدروا
لَمَّا بنوا قَبْلَهُ عليها مذاهبهم بَنَى وَعَمَّرَ منها مثل ما عَمَرُوا

¹ شهاب الدين ابن جهبل: هو أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر بن جهبل الشافعي الحلبي الأصل الدمشقي، ويعرف بابن جهبل، ولد سنة 670هـ، وتوفي سنة 733هـ، وهو من أعيان الفقهاء وفضلائهم، وله كتاب ردًا على ابن تيمية في نفي الجهة. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 171/14. ابن العماد: شذرات الذهب، 104/6.

² وهو ابن مخلوف القاضي المالكي، وقد تقدمت ترجمته، انظر ص48، حاشية رقم4.

³ ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، 112/2.

⁴ النويري: نهاية الأرب، 161/33. الذهبي: المعجم المختص، 26. الصفي: أعيان العصر، 238/1. ابن كثير: البداية والنهاية، 129_128/14.

⁵ الصفي: أعيان العصر، 235/1.

⁶ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 168. ابن العماد: شذرات الذهب، 81/6.

⁷ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 587.

⁸ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 539. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 344/5. الكرمي: الكواكب الدرية، 183.

وجرت العادة في الرثاء بكاء الميت وندبه لما هو عليه في الدنيا، لكن رثاء الأدباء كان لفتاوى ابن تيمية، فقد كان حضور الفتاوى في قصائد الرثاء حضوراً مراً فاجعاً، إذ تأسى الشعراء على المسائل والقضايا، من سيحلها ويوضحها إن استعصت وانعقد أمرها، بعد رحيله، يتضح ذلك في قول أحدهم¹:

(البسيط)

مَنْ لِّلْمَسَائِلِ، إِنْ أُعِيَتْ غَوَامِضُهَا يَحِلُّ مَشْكَلَهَا الْمَسْتَعِيبُ الْعَقْدَا؟

وتجلى المعنى في قول شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان، المعروف بابن الكوشة، إذ صور تفسيراته وتوضيحاته برقاً في ليلة حالكة²:

(البسيط)

مَنْ لِّلْمَسَائِلِ قَدْ أُعِيَتْ فَيُوضِحُهَا وَضُوحَ بَرْقٍ لَمَوْعٍ لَاحٍ فِي الظُّلْمِ

وينفي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق مجيء الزمان بعالم آخر بعده، قادراً على الرد والبيان، والإيضاح والتفسير، في قوله³:

(الخفيف)

مَنْ يَحِلُّ الشُّكُوكَ بَعْدَكَ وَالْمَرُّ دُودَ مِنْ شَبْهَةٍ وَقَوْلٍ وَهَرَاءِ

مَنْ لَتَبِينَ مُشْكَلٍ قَصُرَتْ عَنْهُ هُ عَقُولٌ لِمَا بِهِ مِنْ خَفَاءِ

وقف أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعي نادياً منكرًا وجود مثيل له قادر على فهم ألفاظ القرآن وعلومه واستنباط دقيق معانيه، في قوله⁴:

(الخفيف)

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 555.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 484. الكرمي: الكواكب الدرية، 207.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 480.

⁴ المصدر نفسه، 548.

يا إمام العلوم، مَنْ للفتاوى؟ ولحلّ الإشكال حبر تفيّد
ولفهم الكتاب والنقل بحرٌ في معانيهما مُصيّبٌ سديدٌ

وألقى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي الضوء على العلوم
التي اهتم بها ابن تيمية ومنها علوم الحديث والإفتاء، إذ صورّها حزينّة وحيدة لبعده، وقد أصابها
الإهمال والجمود، بقوله¹:

(الخفيف)

مَنْ لِعِلْمِ التَّفْسِيرِ فِيمَا رَوَاهُ جَابِرٌ أَوْ مُجَاهِدٌ أَوْ عَطَاءٌ
عَطَّتْ بَعْدَكَ الدُّرُوسُ فَمَا فِيمَا — هَا لِرَبِّ الْفَهْمِ السَّقِيمِ شِفَاءٌ
مَنْ لِعِلْمِ الْفُتْيَا إِذَا اشْتَبَهَ الْأُمَمَ — رُوحَاتٌ فِي رَدِّهَا الْأَذْكَيَاءُ
مَنْ لِعِلْمِ الْحَدِيثِ بَعْدَكَ فِيمَا — قَالَهُ الْوَاضِعُونَ وَالْآتِقِيَاءُ

¹ الكرمي: الكواكب الدرية، 190.

الفصل الرابع
صورته الاجتماعيّة

قدّم الأدب صورة اجتماعية متضادة لابن تيمية، فقد كشف عن أعدائه وموقفهم منه، وأسباب العداء ونتائجها، وعبر عن موقف الشيخ منهم ومن أفعالهم، وعرض مكانته في المجتمع، فتناول حبّ الناس إيّاه، وصورته في وجدانهم.

أولاً: ابن تيمية وخصومه

كان لابن تيمية دور خلال حياته، فقد دافع عن الحق بقلبه ولسانه ويده، ولم يخف في الله لومة لائم، ونطق بالحق، وثبت عليه، فلم يُداهن ولم يُحابِ أحداً، وكان واسع الاطلاع والمعرفة، مشتغلاً ببث العلم ونشره، نصره الله ودينه، لا لشخصه وإيراز مكانته، فمن الطبيعي ولادة ناقلين عليه، كائدين له، وحاسدين، فلم يسلم أهل الفضل والدين على مدار التاريخ من ولادة أعداء ملاً الحقد والضغن قلوبهم، وكذلك حال ابن تيمية، فقد تكاثفت جهود علماء زمانه، وفقهاء عصره وأعيان الدولة للنيل منه، وامتلأت قلوبهم بغضاً وحنقاً، وقاموا عليه غير مرّة، وعقدوا له المجالس والمناظرات، وأنكروا عليه العديد من الاجتهادات والإفتاءات؛ وأشهرهم ببيرس الجاشنكير¹، وشهاب الدين ابن جهبل²، وصفي الدين الهندي³، والقاضي كمال الدين الزملكاني⁴، وتقي الدين السبكي⁵، وشمس الدين السروجي⁶، وتقي الدين

¹ تقدمت ترجمته، انظر: ص 48، حاشية رقم 3.

² تقدمت ترجمته، انظر: ص 124، حاشية رقم 7.

³ صفي الدين الهندي: هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي، أبو عبد الله الشافعي المتكلم، ولد 644هـ، وتوفي 715هـ، "قدم دمشق سنة خمس وثمانين، فأقام بها واستوطنها ودرس بالرواحية والدولعية والظاهرية، والأتابكية، وصنّف في الأصول والكلام، وتصدى للاشتغال والإفتاء". وناقش ابن تيمية في المسألة الحموية، "وقال له: ما أراك يا ابن تيمية إلّا كالصفور، حيث أردت أن أقبضه من مكان فر إلى مكان آخر". انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 258. ابن كثير: البداية والنهاية، 77/14. الكرمي: الأعلام العلية، 85.

⁴ تقدمت ترجمته، انظر: ص 10، حاشية رقم 5.

⁵ تقي الدين السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تَمّ بن يوسف بن موسى بن تمام بن سليم، قاضي قضاة الشافعية بدمشق، أبو الحسن الأنصاري الخزرجي المصري السبكي الشافعي الأشعري، ولد سنة 683هـ، وتوفي 756هـ، "كان عالماً فاضلاً، بحرّاً، عارفاً له اليد الطولى، والشهرة الزائدة، وله العديد من التصانيف في مذهبه، وله تأليف في الرد على ابن تيمية في مسألة الطلاق". انظر: الصفي: الوافي بالوفيات، 407/14-415، ابن كثير: البداية والنهاية، 196/14، 264. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 134/3_142.

⁶ شمس الدين السروجي: أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني الحنفي، شمس الدين أبو العباس السروجي القاضي، ولد سنة 673هـ، وتوفي سنة 710هـ، كان نبيلاً وقوراً، كثير المحاسن، له اعتراضات على الشيخ ابن تيمية في علم الكلام، وردّ عليه بأدب وسكينة، وكان متبحراً في علوم شتى، وولي الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام، وكان كريماً قوي الهمة نافذ الكلمة. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 62/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة: 96/1، 97.

ابن الأحنائي¹، وصدر الدين ابن المرحل²، وعلي بن اسمح البعقوبي³، وأحمد بن محمد السكندري⁴، والشيخ نصر المنبجي⁵، وزين الدين ابن مخلوف⁶. وقد اتَّضح أنَّ لخصوم ابن تيمية تيمية وأفعالهم حضوراً بارزاً في الأدب، الذي توقف بإسهاب عند هذا العداء، ووضَّح أسبابه ونتائجه، وعبر عن موقف الخصوم من ابن تيمية ومكانته، وبيَّن ردة فعل الأخير تجاههم.

أولاً_أسباب العداء

كان لهذا العداء أسباب يمكن إجمالها في الآتي:ـ

يكشف الأدب صوراً من أسباب العداء بين الشيخ ابن تيمية وخصومه، التي تمثلت في المكانة المرموقة التي تمتع بها الشيخ في العصر، وفي مصالح أعدائه الدنيوية، وحسد خصومه وأعدائه له، ولتمكنه من مناظرة الفرق والمذاهب كافة، وجاء الحديث عنها وفق الآتي:

¹ تقي الدين الأحنائي، ووردت بكسر الهمزة أيضاً "الإحنائي": هو محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي المصري، أبو عبد الله تقي الدين الأحنائي، قاضي قضاة المالكية بمصر. ولد سنة 660هـ، ومات سنة 750هـ، وذكر ابن كثير "أنه ردَّ على الشيخ ابن تيمية في مسألة زيارة القبور، فردَّ عليه الشيخ ابن تيمية واستجعله وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم"، فخرج الأحنائي إلى السلطان شاكياً، وإثر ذلك مُنع الشيخ من الأقلام والكتب. انظر: الصفدي: أعيان العصر، 362/4، 363. ابن كثير: البداية والنهاية، 134/14. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 27/4، 28.

² صدر الدين ابن المرحل: محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد، أبو عبد الله صدر الدين المعروف بابن المرحل وابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه، وكان بارعاً في المذهب والأصلين يضرب به المثل باسمه، فارساً في البحث، نظاراً مفرطاً في الذكاء، وكان ينصب العداوة للشيخ ابن تيمية، وينظره في كثير من المحافل والمجالس، وكان يعترف بعلم ابن تيمية ومكانته، ويتني عليه. انظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، 23/6. الصفدي: الوافي بالوفيات، 126/3. ابن كثير: البداية والنهاية، 82/14، 83.

³ هو علي بن أسح البعقوبي الشافعي، أبو الحسن النحوي، توفي سنة 710هـ، كان ديناً خيراً، وكان ممن يحط على ابن تيمية. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 158/3، 159.

⁴ هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، أبو الفضل تاج الدين الإسكندري المالكي الشاذلي. كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو صاحب كرامات وأحوال، وكان يتكلم على كرسي في الجوامع بكلام حسن، ويعظ الناس، ولوعظه تأثير في القلوب. وهو من كبار القائمين على الشيخ ابن تيمية. توفي بالقاهرة سنة 709هـ. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 292/1، 291. ابن تغردي بردي: المنهل الصافي، 121/1، 12. ابن العماد: شذرات الذهب، 20/6، 19.

⁵ هو نصر بن سلمان بن عمر المنبجي، ولد سنة 638هـ، وتوفي سنة 719 هـ، له سيرة ومحاسن جمّة، وارتفع ذكره في دولة الجاشنكير، لأنه كان يعتقد ولا يخالف أمره، وكان يحط على ابن تيمية من أجل حطه على ابن عربي. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 165/5. ابن العماد: شذرات الذهب، 52/6.

⁶ تقدمت ترجمته، انظر: ص48، حاشية رقم 4.

أ_ مكانة ابن تيمية

كان لشخصية ابن تيمية تأثيرها الواضح في عصره على الناس والمجتمع على السواء، فحاز بها شهرة بلغت الآفاق، وضافت بها نفوس خصومه، كشف عن ذلك ابن كثير، في قوله: " وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق، وعلمه وعمله"¹، كما تجلّى ذلك في تصوير سعد الدين سعد الله بن بختيار إذ صور كيف انقضت نفوس خصومه، وضافت عليهم الأرض بما رحبت لعلو منزلته ورفعته، فقال:²

(البيسط)

ضافتُ بهم سَعَةً الأقطارِ حينَ سما سموَّ قَدْرَ تقيِّ الدينِ في البشرِ
وتجلّى المعنى ذاته في قصيدة أخرى له، فقال:³

(الكامل)

ضافتُ بهم سَعَةً الفضأ مُذ عاينوا لك كلَّ يومٍ رفعةً تتجددُ
ورأوك ممتازاً بحُسنِ مناقبٍ ليستُ لغيرِكَ في زمانِكَ توجَدُ

ب_ الحسد

وكان الحسد من أكبر الأسباب وأبرزها في عداوة الشيخ ابن تيمية؛ وذلك لما خصّه الله به من مكارم أهل الفضل، ولما بلغه " من العلم والفضل والمنزلة عند الخاصة والعامة"⁴، وصرّح بذلك العديد من الأدباء، ومنهم ابن سيّد الناس الذي صور الحسد مرضاً استقل في قلوب أعداء الشيخ، فقال: " دبّ إليه من أهل بلاده داء الحسد، وأكبّ أهل النظر منهم على ما

¹ ابن كثير: البداية والنهاية، 14/39.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 570.

³ المصدر نفسه، 566.

⁴ أحمد، صلاح الدين مقبول: دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، ط2، الكويت: دار ابن الأثير، 1996، 1/96.

يُنقَدُ عليه من أمور المعتقد¹، وقول البزّار في سيرته: "وسبب عداوتهم له أنّ مقصودهم الأكبر الأكبر طلب الجاه والرياسة، وإقبال الخلق وراءه. قد رقاها الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها، وهم عنها بمعزل، فنصبوا عداوته، وامتلأت قلوبهم محاسدة"²، ويكشف صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق عن الذي أسر قلوبهم، فلم يُرضِهِم ما أسبغهُ اللهُ عليه من علمٍ غزيرٍ ومكانةٍ رفيعةٍ، في قوله³:

(الخفيف)

وَلَقَدْ أَضْمَرُوا لَهُ السُّوءَ قَوْمٌ لِذِي حُمْلًا مِنَ الْبَغْضَاءِ
حَسَدًا مِنْهُمْ لِمَا خَصَّهُ اللهُ ————— بِهِ مِنْ مَلَابِسِ الْفَضَاءِ
فَاسْتَحَلُّوا مِنْهُ الَّذِي حَرَّمَ اللهُ ————— لَهُ لِمَا أَضْمَرُوا مِنَ الشَّحْنَاءِ

ويتجلّى ذلك في قول تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي، إذ قال⁴:

(الكامل)

حَسَدُوهُ إِذْ وَجَدُوهُ أَعْلَمَ مِنْهُمْ وَرَأَوْهُ أَفْضَلَ لَهُمْ وَإِنْ كَانُوا عَمَّوَا
وصورّ شاعر آخر الحسد وقد نهش أكباد أعداء الشيخ؛ وذلك لحيازته العلم اللدنيّ وهو العلم الإلهي، الذي لا يحوزه إلا العلماء الأفاضل وكان ابن تيمية منهم، بقوله⁵:

(البسيط)

وَحَازَ عِلْمًا لُدُنِيًّا⁶ وَمَنْقِبَةً تَفَتَّتَتْ مِنْهُ أَكْبَادُ الْعِدَى حَسَدًا

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 16. الكرمي: الكواكب الدرية، 58.

² البزار: الأعلام العلية، ص 67.

³ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 481.

⁴ المصدر نفسه، 522.

⁵ المصدر نفسه، 555.

⁶ العلم اللدنيّ: "هو العلم الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف. ويكون لأهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام." . انظر: العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1991، ص 673_674.

ويؤكد سعد الدين سعد الله ابن بختيار أن كل ذي نعمة وفضل محسود، ومنهم ابن تيمية،

إذ قال¹:

(الكامل)

إِنْ يَحْسُدُوكَ فَغَيْرِ بَدْعٍ مِنْهُمْ جَمُّ الْفَضَائِلِ لَا مَحَالَةَ يُحْسَدُ

وبيّن ابن بختيار في القصيدة ذاتها أن الحسد كشف عن طبيعة خصوم ابن تيمية وجوهر

نفوسهم، بقوله²:

(الكامل)

فَعَرَاهُمْ الْحَسْدُ الْمَضِلَّ فَأَصْبَحُوا وَلَدِيهِمْ مِنْهُ الْمَقِيمُ الْمُقْعِدُ

ويكشف ابن بختيار عن حالتهم القلقة المضطربة ومساعدتهم الفاشلة، متسائلاً ماذا الذي

حققوه ونالوه، في قوله³:

(البيسط)

قَدْ حُمِّلُوا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَهُ فَهْمٌ مِنْهُ، فِي هَمٍّ، وَفِي فِكْرٍ

تَبًّا لَهُمْ، مَا الَّذِي نَالُوا بِسَعْيِهِمْ؟ وَمَا عَسَى بَلَّغُوا فِي ذَاكَ مِنْ وَطْرِ؟

ويرسم تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي صورة تكشف حال عيونهم في

المجالس والمناظرات، فبيّن أنهم لا يروق لهم رؤيته معنئياً النجاح والتقدم، كما يبدو في قوله⁴:

(الكامل)

شَايخٌ إِذَا أَبْصَرَتْهُ فِي مَحْفَلٍ تَقْذِي بِرُؤْيَيْهِ عِيُونَ الْحُسَدِ

¹ ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 566.

² المصدر نفسه، 566.

³ المصدر نفسه، 571.

⁴ المصدر نفسه، 517.

ت- مناظرته الفرق والطوائف

وتعدّ مناظرات ابن تيمية وتصديّه للفرق والطوائف سبباً رئيساً استعدت عليه أبناءها، فقد شهد الأدب وقوفه بوجه أهل الذمة من اليهود والنصارى، ثم الشيعة، والصوفية، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، في حروبهم الفكرية ضد الأفكار والتفسيرات الخارجة على حدود الدين، التي يريدون بها أن تميل الأمة ميلاً عظيماً، كما يتضح في قول البزار: "وبان لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية، الظاهرة على كل دين العليّة. وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم"¹، وصور الصفدي تصديّه للمبتدعين الضالين من أهل الملل والطوائف وفرقها في صولاتهم وجولاتهم كالنافذ إلى أمره باستقامة مطلقة، وصور تلك الفرق بحراً هائجاً لكثرتها وتعددتها، فقال: "وأما الملل والنحل، ومقالات أرباب البدع الأول، ومعرفة أرباب المذاهب، وما خصّوا به من الفتوحات والمواهب، فكان في ذلك بحراً يتموج، وسهماً ينفذ على السواء لا يتعوج"²، وعبر الأديباء عن قدرة الشيخ على الجدل والمناظرة، والإتيان بالحجة والدليل، وجاء الحديث عن ذلك وفق الآتي:ـ

– أهل الذمة

من الخصوم الذين تبارى معهم ابن تيمية اليهود والنصارى، ومن أبرز ما وُسموا به الجحود والتحريف والتبديل، ولذلك وقف لهم المسلمون مدافعين وموضحين³، وكان ابن تيمية من الذين جادلهم، وكشف غيهم وضلالهم وتحريفهم وقلوبهم حقائق الأمور، فبصّرهم وهداهم إلى الطريق الصحيح بالحجة والدليل⁴، وهذا ما عبر عنه شهاب الدين ابن فضل العمري في قوله⁵:

(البسيط)

ومُرْشِدَ الْفِرْقَةِ الضُّلَّالِ مَنْهَجُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ فَمَا حَارُوا وَلَا سَهَرُوا

¹ البزار: الأعلام العلية، 34.

² الصفدي: أعيان العصر، 235/1.

³ انظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، (د.ط.)، بيروت: دار المعرفة، 1982، 14/2.

⁴ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، 138.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 543. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/346. المقرئ: المقفى الكبير، 477/1، 478. الكواكب الدرية، 186.

أَلَمْ تَكُنْ لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ مَعاً مُجَادِلاً وَهُمْ فِي الْبَحْثِ قَدْ حَصَرُوا

وعبر تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي عن ذلك في رثائه الشيخ، ونفى أن يأتي الزمان بمثله لمجادلة اليهود مبيناً قوة هول كلام الشيخ، فقال¹:

(الكامل)

مَنْ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَعْدَهُ يَرْمِيهِمْ بِمَقَالِهِ الْمُتَسَدِّدِ؟
سَلْ عَنْهُ دِيَانَ الْيَهُودِ، أَمَا غَدَاً مُتَّفَعاً بِصِغَارِهِ الْمُتَهَوِّدِ

وتحدث عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم عن خبث اليهود ودهاءهم، ودورهم في تأجيج الفتن واختلافها، وذلك ببتزهم الأحاديث، وتغيير الكلم عن موضعه، وقد استشهد بما أحدثوا وبدلوا في التوراة، في قوله²:

(الطويل)

وَبَيَّنْ تَكْذِيبَ الْيَهُودِ وَخُبْتَهُمْ وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَلَّةِ الْمَوْسَوِيَّةِ
وَأَخْبِرْهُمْ عَنْ سِرِّ أَسْبَابِ كُفْرِهِمْ فَتَعَسَّأَ لَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ غَضَبِيَّةِ

ويستذكر شمس الدين الحنبلي مجالس العلم التي عقدها ابن تيمية لجدال النصارى حول ادعاءاتهم وبدعهم الباطلة، في قوله³:

(البيسط)

وَكَمْ أَجِبْتَ النَّصَارَى عَنْ مَسَائِلِهِمْ بِمُخْرِقَاتِ عُلُومِ عَنْكَ تَنْتَقِلُ

وبيين عبد الله بن الخضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم أن الشيخ أبطل حجج النصارى الواهية، وكشف عن تخبطهم في دينهم، وأوضح ما جُبِلوا عليه من صفات خبيثة لئيمة، وما أحدثوا في الإنجيل من تزوير وتحريف، في قوله⁴:

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 515. الكرمي: الكواكب الدرية، 214.

² المصدر نفسه، 528. المصدر نفسه، 224.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 583.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 529. الكرمي: الكواكب الدرية، 224.

(الطويل)

وَأَظْهَرَ أَيْضاً لِلنَّصَارَى ضَلَالَهُمْ وَمَا أَحْدَثُوا فِي الْمِلَّةِ الْعَيْسَوِيَّةِ
وَبَاحَثَهُمْ حَتَّى تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ سُكَارَى حَيَارَى بِالطَّبَاعِ الْخَبِيثَةِ

- الشيعة

إنَّ الخلافَ السُّنِّيَّ الشَّيْعِيَّ خلافَ قديمٍ، يعود لعهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والشيعة هم الذين شايحوا علياً رضي الله عنه، وقد اختلفوا فيما بينهم في بعض الأمور وانقسموا إثر ذلك إلى فرق، إلا أنَّ الفرقة الإمامية الإثنى عشرية كانت أهم الفرق السياسية التي " كان لابن تيمية مواقف ضد بعض المنتمين إليها، فقد حاربهم بعلمه ولسانه وسيفه"¹، فتصدى ابن تيمية لها وإمامها بالردِّ، من خلال نقض أقوالها وكشف ضلالها وجهلها، ووضَّح موالاتهم لأخلاق اليهود والنصارى في الكذب والافتراء، وعاب عليهم جهلهم وكذبهم، وخطَّ من شأنهم وقدرهم لتمسكهم بمنكراتهم، وذلك بعد إرشادهم وتحذيرهم من البدع ومحدثات الأمور، يتضح ذلك في قول عبد الله بن الخضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل، المعروف بالمتيم²:

(الطويل)

وَبَايَحَتْ أَشْيَاخَ الرُّوَاضِ وَأَنْتَنَى يُقَاتِلُهُم بِالذُّرَّةِ الْعُمَرِيَّةِ
لَأَنَّهُمْ عَادُوا خَوَاصَّ مُحَمَّدٍ وَسَبُّوا فَهْمٌ فِي الْأَصْلِ شَرُّ الْخَلِيقَةِ
بَغَاوْا وَافْتَرَوْا جَهْلًا فَهْمٌ أَنْحَسُ الْوَرَى وَأَكْذَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ

وقد دفع هذا البحث أحد كبار الشيعة وفقهائهم في ذلك العصر، المعروف بابن المُطَهَّر³

إلى التشكيك في علم ابن تيمية ومعرفته، فرماه بالجهل تارة، والمزاجية والعصبية العلمية الدينية تارة أخرى، في قوله⁴:

¹ أبو زهرة محمد: ابن تيمية "حياته وعصره - آراؤه وفقهه"، ص 170.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص 529. الكرمي: الكواكب الدرية، 224.

³ ابن المُطَهَّر: هو الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مُطَهَّر، جمال الدين، أبو منصور الأسدي الحلبي، ومشهور بالعلامة وآية الله، ولد سنة 648هـ، وتوفي 726هـ، وقد رد على كتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية في كتابه "منهاج الكرامة في إثبات الإمامة" وكان ابن تيمية يسميه ابن المُنَجَّس. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، 85/13. ابن كثير: البداية والنهاية، 130_129/13. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة: 159_158/2.

⁴ ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، ص 131. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 159/2. الأمين محسن: أعيان الشيعة، 398/5.

(الكامل)

لو كنت تعلم كل ما علم الوري طراً لصرتَ صديقَ كُلِّ العالمِ
لكن جهلتَ فقلتَ إنَّ جميعَ مَنْ يهوى خلافَ هواك ليسَ بعالمِ

بدا في هذه الأبيات الشاعر متأثراً بالخليل بن أحمد الفراهيدي حين خاطب ابنه بعد أن
رماه بالجنون، في قوله¹:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتني أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتُكنا
لكن جهلتَ مقالتني فعذلتني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكنا

-الجبرية

ومن الفرق الأخرى التي بارزها ابن تيمية أهل الجبر، وهم الذين ينفون دور العبد
ويرون أنه مجبور على الفعل، فلا مشيئة له ولا دور البتة، وإنما لله سبحانه وتعالى الدور كله²،
كله²، وقد عبّر عن ذلك عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتيم، مبيّناً اقتفاءهم
خطوات إبليس، في قوله³:

(الطويل)

وردَّ على أتباعِ إبليسَ عندما رآهم وقد مالوا إلى الجبريةِ

_ الجهمية

اعترض ابن تيمية طريق الجهمية⁴ وأتباعها، وهي من أنصار الجبرية الخالصة⁵، وقد
وقد وافقت الجهمية طريق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية من العلم و القدرة والحياة والإرادة

¹ الصفدي: الوافي بالوفيات، 390/13. فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي "الأعصر العباسية"، ط1، بيروت: دار العلم
للملايين، 1968، ص116.

² انظر: المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، (د.ط)، القاهرة: مؤسسة
الحلبي، 1960، 349/2. الشهرستاني: الملل والنحل، 85/1.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 530. الكرمي: الكواكب الدرية، 225.

⁴ الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر مع ميل إلى الجبر، وينفون
الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن، وهم فرقة عظيمة. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 86/1. المقرئزي: المواعظ
والاعتبار، 351/2.

⁵ الجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا. وتؤمن أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا
يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 85/1. المقرئزي: المواعظ والاعتبار، 349/2.

والسمع والبصر والكلام والرحمة، وتوالي المعتزلة أيضاً في نفي رؤية الله تعالى يوم الآخرة، والقول بخلق القرآن¹، فقد ذمَّ ابن تيمية قولهم وآراءهم مستمسكاً بمذهب أهل السنة المثبت صفات الله وأسماءه، كما أتت في الكتاب والسنة بلا تكيفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ، وقد عبّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتميم في قصيدته عن باطنهم، وكشف كم ضيَّعوا بأرائهم واعتقاداتهم من الناس، في قوله²:

(الطويل)

وردَّ على جهم³ وجعد بن درهم⁴ وبشر المريسي⁵ عمدة الجهمية
زنادقة كم أهلكوا من عوالم بسوء اعتقادات النفوس السقيمة

- المعتزلة

أما أهل الاعتزال وفكرهم فقد أثار جدلاً كبيراً في مراحل كثيرة من التاريخ الإسلامي، وذلك لنهجهم ومبدئهم المتمثل في الاعتماد على العقل في فهم العقائد، كما يتضح في قول الشهرستاني: " واتفقوا على أن أصول المعرفة، وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع. والحسن

¹ انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 86_88.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 529. الكرمي: الكواكب الدرية، 224.

³ جهم بن صفوان الترمذي، أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع، رأس الجهمية وأساس البدعة، مولى راسب وقتل في آخر دولة بني أمية، وهو ينفي الصفات الإلهية كلها، وقد كفره المعتزلة في نفي الاستطاعة وكفره أهل السنة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، 1/426، تاريخ الإسلام، 8/65_68. المواعظ والاعتبار، 2/349.

³ ابن قيم: الكافية الشافية، ص63.

⁴ جعد بن درهم، مبتدع ضال، وله أخبار في الزندقة. وهو أول من توفه بأن الله لا يتكلم، وقد هرب من الشام، حين زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. توفي سنة 118هـ، ويقال إن جهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، 1/399. تاريخ الإسلام، 7/337-338. الزركلي، الأعلام، 2/120.

⁵ بشر المريسي: هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، أبو عبد الرحمن الفقيه الحنفي المتكلم. أتقن علم الكلام، وكان يقول بخلق القرآن، وينظر عليه، ولم يدرك جهم بن صفوان؛ إنما أخذ مقالته، واحتج لها. وكان مرجئاً، وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة. (ت. 218هـ). انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/277_278. الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، (د.ط)، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، 1963، 1/322. تاريخ الإسلام، 15/85_88.

والقبح يجب معرفتهما بالعقل " ¹، ويعرفون باسم أصحاب العدل والتوحيد²، وهم أصحاب " المعركة الكبرى التي دوى ذكرها في العصور الإسلامية، وهي مسألة خلق القرآن³، فقد زعموا بأنّ القرآن مخلوق من مخلوقات الله تعالى، وما ذلك إلا لتأكيد مذهبهم وهو إنكار صفات الله ومنها صفة الكلام، وقد وقف عند ذلك نجم الدين اسحق بن ألمى التركي، وبيّن رفض ابن تيمية ما جاؤوا به من أكاذيب، وأكد أنّ الله نصب لدينه رجالاً أقوىاء أشداء، تفوق قوتهم قوة قبيلة تغلب بن وائل أحد طرفي حرب البسوس التي استمرت نحو أربعين عاماً قبل الإسلام^{4 5}:

(الطويل)

أتوا بعظيم الإفك، وانتصروا له
وقالوا: كلام الله خلق، وكذبوا
ومزقهم أيدي سببا، فتفرقت
وأصحابه أهل الهدى لا يضرمهم
هم الظاهرون القائمون بدينهم
بكل مقال بالدليل مكذب
بما صحّ نقلاً عن أبي ومصعب
كتائبهم ما بين شرق ومغرب
على دينهم طعن امرئ جاهل غبي
إلى الحشر، لم يغلبهم ذو تغلب

ويلقي عبّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتيم الضوء على محنة القول بخلق القرآن، من خلال بيانه دور الشيخ ابن تيمية في محاورتهم والتصدي لهم، إذ صور الأدلة والبراهين القرآنية والنبوية الشريفة سيفاً أخرج من غمده، في قوله⁶:

(الطويل)

وجادل أهل الاعتزال جميعهم
وسل عليهم سيفه بالأدلة

¹ الشهرستاني: الملل والنحل، 45/1.

² انظر: المصدر نفسه، 43/1.

³ أبو زهرة محمد: ابن تيمية "حياته وعصره - آراؤه وفقهه"، ص 178.

⁴ انظر: ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الزين، ابراهيم الأبياري، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1965، 249_213/5. النويري: نهاية الأرب، 422_396/15.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 453.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 529. الكواكب الدرية، 224.

يقولون: قولُ الله مِنْ بَعْضِ خَلْقِهِ لَقَدْ كُذِّبُوا فِي قَعْرِ نَارٍ حَمِيَّةٍ

ومن الألقاب التي تُلقب بها المعتزلة أيضاً، القَدْرِيَّة، وهم " الغلاة في إثبات القدرة للعبد في إثبات الخلق والايجاد، وأنه لا يحتاج في ذلك إلى معاونة من جهة الله تعالى " ¹، فقد ذمَّ ابن تيمية نفاة القدر وعقيدتهم القائلة: إنَّ الله لا يعلم الأمور إلَّا بعد وقوعها، وأنَّ الإنسان وقواه العقلية والروحية وحدها المسؤولة عن تصرفاته وأفعاله خيرها وشرها، وليس لما قدره الله تعالى لعباده أثر في ذلك، ويصوِّر عبَّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتيمِّ دور ابن تيمية في الرد عليهم و دحض مزاعمهم، ووسمهم أعداء الله، الذين يستحقون غضبه، في قوله ²:

(الطويل)

فَكَمْ أَحَدَثُوا فِي دِينِنَا مِنْ ضَلَالَةٍ فَلَا مَرْحَبًا بِالْفِرْقَةِ الْقَدْرِيَّةِ
وَهُمْ خَصَمَاءُ اللَّهِ تَبَا لِدِينِهِمْ وَبُعْدًا لَهُمْ مِنْ عَصَبَةِ ثَنَوِيَّةِ
وَرَدًّا عَلَى قَوْمٍ تَرَبَّتْ نَفُوسُهُمْ عَلَى النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ مِنْ غَيْرِ حِجَّةِ

ويواصل عبَّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتيمِّ إقامة الحجة والأدلة التي تلزمهم الهلاك، وتظهر في الأبيات ثقافة المتيمِّ المتمثلة في اطلاعه على معتقدتهم في

¹ المقريزي: المواعظ والاعتبار، 2/349.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 529. الكرمي: الكواكب الدرية، 224.

التناسخ¹ والحياة البرزخية²، وقد عدَّ اعتقادهم بأنَّ الأرواح تنتقل من جسد لتحل في آخر من الكبائر، وذلك لما يتبعها من إجماد ليوم البعث، في قوله³:

(الطويل)

وَرَدَّ عَلَى أَهْلِ التَّنَاسُخِ عِنْدَمَا تَجَرَّوْا وَخَاضُوا فِي أُمُورٍ عَظِيمَةٍ
وَمَزَّقَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ لِأَنَّهَمْ يَقُولُونَ لَا شَيْءَ سِوَى الْبِرْزَخِيَّةِ
وَقَدْ أَنْكَرُوا أَمْرَ الْمَعَادِ بِقَوْلِهِمْ نَفُوسٌ نَأَتْ عَنَّا وَفِي الْغَيْرِ حَلَّتِ

- الصوفية

وقف ابن تيمية في وجه الصوفية المنحرفة، آرائهم وعقائدهم، وذلك لأنَّ التصوف آنذاك " بلغ الغاية في الغلو، وأصبح خليطاً ممزوجاً من ديانات ونحل شركية، وممارسات بدعية، وسلوكياتٍ منحرفة...، وكانت ممارساتهم البدعية سبباً في ضلال كثير من العامة والخاصة"⁴، والخاصة"⁴، ومن أهم معتقداتهم نداؤهم بوحدة الوجود التي تنفي الفصل بين الخالق والمخلوق، وحامل لواء هذه الفكرة ابن عربي^{5 1}، الذي أتى بعقيدة الحلول، وتعني في العقيدة الصوفية " أنَّ

¹ التناسخ: " هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لانهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار؛ لا في دار أخرى لا عمل فيها". انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 113/2. و" الأكوار: هو أن الحوادث معلومة للحركات الفلكية، ففي كل دور تام لحركة فلك الثوابت وهو ثلاثمائة وستون ألف سنة تعود الحوادث كعين ما كانت في الدورة السابقة من غير فرق"، انظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط2، بيروت: منشورات الأعلمي، مج8، 1971، 317/9.

² برزخ: ما بين كل شيئين، والحاجز بين الشيئين، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث. انظر: لسان العرب، مادة " بزخ". والبرزخ عند بعض الصوفية العرفانيين هو عالم المثال، الفاصل بين الأجسام والأرواح. الحياة البرزخية عند محيي الدين ابن عربي حياة الأرواح بعد مفارقة أجسادها. انظر: الكتاني، محمد: موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، ط1، المغرب - الدار البيضاء: دار الثقافة، 2014. البرزخ. 395/1، 396

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 529. الكرمي: الكواكب الدرية، 225.

⁴ الغامدي، صالح بن غرم الله: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، ط1، مكتبة المعارف، 2003، ص12.

⁵ ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر محيي الدين الحاتمي الطائي الأندلسي، المرسي، المعروف بابن عربي، ويُعرف أيضاً بالقشيري لتصوفه. ولد في رمضان بمرسية في الأندلس عام 558هـ، وتوفي في دمشق 638هـ. وكان رجلاً صالحاً عظيماً، له بلاغة في القول، وعمق في التفكير، وسعة في الخيال، وله كثير من النثر

" أن روح الله سبحانه وتعالى حلت في بعض الأجسام التي اصطفاهَا واختارها، فانقلبت هذه الأجسام البشرية إلى آلهة تسير على الأرض"²، ويُعدّ الحلاج³ من أشهر المنادين بهذا القول⁴، ولابن تيمية مؤلفات في الرد عليهم، نقد فيها هذه الأفكار والمذاهب، وقد عبّر الشاعر عبّر عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن، المعروف بالمتيمّ عن بعض أفكار وطقوسهم في مجالسهم، ومن ذلك رقصهم وتمايلهم الذي يزعمون أنهم فيه يتحدون مع الله، واستنكر عليهم انشغالهم بالنظر إلى المرء من الغلمان، لأنهم من التجليات العظيمة للجمال الإلهي والعظمة الإلهية، في قوله⁵:

(الطويل)

وَجَادِلْ أَهْلَ الْإِتِّحَادِ وَرُدَّهُمْ إِلَى أَشْرَفِ الْمَسْرَى وَأَهْدَى طَرِيقَةٍ
وَأُنْقِذْهُمْ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَالْعَمَى بِنُورٍ وَبُرْهَانٍ وَدِينِ النَّصِيحَةِ
وَرُدِّ عَلَى أَهْلِ الْحُلُولِ فِائَتَهُمْ يَرُونَ تَجَلِّيَ الْحَقِّ فِي كُلِّ صُورَةٍ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ التَّجَلِّيَ مَظَاهِرٌ وَلَا سِيَّمَا فِي صُورَةِ أَمْرِيَّةٍ
فَمَنْ أَجَلَّ هَذَا يَرْقِصُونَ دِيَانَةً وَفِي رَقْصِهِمْ جَاعُوا بِكُلِّ قَبِيحَةٍ
يَرُونَ شُهُودَ الْمُرْدِ⁶ وَالرَّقْصِ قُرْبَةً فَيَا وَيْلَهُمْ مِنْ خِزْيِ يَوْمِ الْفُضِيحَةِ

والشعر، لا يعياً بمال ولا جاه، وله كثير من الشطح والتأويل. خلف ابن عربي تراثاً ظل يلعب في الأفكار والعقول في الشرق والغرب، وملاً الدنيا نثرًا وشعرًا، وكل أشعاره يرمي بها إلى أعراض علوية في قوالب غزلية على أسلوب صوفية. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 173/4_178. الكتيبي: فوات الوفيات، 3/435_440. أسود عبد الرزاق محمد: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1981، 2/28_30.

¹ أسود، عبد الرزاق: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص12.

² شفقة، محمد فهد: التصوف بين الحق والخلق، ط3، الصفاة: الدار السلفية، 1983، ص61.

³ هو الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال أبو مغيث، الفارسي البيضاوي الصوفي. توفي سنة 359هـ، نشأ بواسط بالعراق، ودخل بغداد وتردد إلى مكة. وتذكر المصادر أن الصوفية اختلفت في الحكم عليه: فمنهم من يرفعه إلى مرتبة سامية، وهم قلة نادرة، وبعضهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وقد نسبوا له الشعبة. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/140_146. الذهبي: سير أعلام النبلاء، 14/313_353.

⁴ أسود، عبد الرزاق محمد: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص12.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 530. الكرمي: الكواكب الدرية، 225.

⁶ " المرءُ: نقاء الخدين من الشعر، ونقاء الغصن من الورق. والأمردُ: الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطراً شاربته، ولم تبد لحيته". انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة " مرد". إن صحبة المرءان كانت من الفتن الظاهرة في حياة الصوفية، والتي تم الاعتراض عليها، " وكانت لهم في هذا الباب كُنَايَات، من ذلك قولهم للغلام الصبيح (شاهد) ومعناهم فيه أنه

ثانياً_ أفعال أعداء ابن تيمية وخصومه

إنَّ الأسباب السابقة جميعها، دفعت الأعداء إلى الكيد لابن تيمية، والتآمر عليه، وسلكوا في ذلك سبلاً شتى، فقد عمدوا إلى الكذب عليه، وإلباس الحق بالباطل، هذا ما شهدت به صفحات التاريخ المملوكي الأول، وصوره الأدب، فسجّلت المصادر ما قام به الخصوم بحق ابن تيمية من الدسائس والأكاذيب، في بلاط الملك الناصر محمد بن قلاوون، إذ زعموا أنَّ الشيخ يتآمر عليه رغبةً في الملك والخلافة وقلب الحكم¹؛ وقد صرَّح بذلك البزار، فقال: " عمدوا إلى اختلاق الباطل والبهتان عليه، والوقوع به وخصوصاً عند الأمراء والحكّام، وإظهارهم الإنكار عليه فيما يفتي به من الحلال والحرام"²، ويصور ابن فضل الله العمري تكالب أعدائه عليه من كلِّ حذب وصوب، ويعرض ما تعرض له من ترصد ونصب الكمانن للإيقاع به والنيل منه، مشيراً إلى اجتماعهم بالسلطان، وكيدهم له، في قوله: " ولقد تضافرت عليه عصب الأعداء، ورفع إلى السلطان غير ما مرّ ورُمي بالكبائر، وتربصت به الدوائر، وسُعي به ليؤخذ بالجرائر، وحسده من لم ينل سعيه، وكثر فارتاب"³.

ويؤكد التاريخ أنهم تعرضوا له غير مرة في الواقعة والذم وافتراء الأكاذيب، ومن ذلك ما فعله الصوفيون بحق الشيخ في القاهرة، حيث تقدّم كريم الدين الأملي⁴، وابن عطاء⁵

لحسن صورته شهيد بقدرة الله عز اسمه على ما شاء"، وقد أنكر ابن تيمية عليهم ذلك، بقوله: " وأما من نظر إلى المردان ظاناً أنه ينظر إلى مظاهر الجمال الإلهي، وجعل هذا طريقاً له إلى الله، فقله هذا أعظم من قول عبادة الأصنام". انظر: ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، " 423/15. مبارك، زكي: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ط1، ج2، 1938م، ص241_243.

¹ انظر: البزار: الأعلام العلية، 65، 66. الكرمي: الكواكب الدرية، 98، 99.

² البزار، الأعلام العلية، 67.

³ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 337/5.

⁴ كريم الدين الأملي: عبد الكريم بن حسن، وأورده الدرر الكامنة عبد الكريم بن عبد الله، كريم الدين أبو القاسم الأملي الطبري. ينتمي إلى سعد الدين بن حمويه، كان شيخ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة. وكان محبباً إلى الأعيان، وكان الشيخ ابن تيمية كثير الحط عليه. توفي بالقاهرة سنة 710هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات، 77/19. أعيان العصر، 134/3، 133. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 11_10/3.

⁵ ابن عطاء: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، تاج الدين أبو الفضل الاسكندراني الشاذلي، ولد سنة 658هـ، وتوفي سنة 709هـ، " وكات المتكلم على لسان الصوفية في زمانه، وهو ممن قام على الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فبالغ

ومجموعة طالت الخمس مائة بالشكوى ضد الشيخ ابن تيمية وكلامه في الصوفية وابن عربي، فادّعوا عليه كلاماً وأشياء لم تثبت عليه، وكان من بين هذه الشكاوي أنّ الشيخ ابن تيمية يحطُّ من قدر مشايخهم ويضع من منزلتهم بين الناس، وينكر استغاثتهم بالنبي، صلى الله عليه وسلم¹، وقد صورّ سعد الدين سعد الله بن بختيار جانباً من ذلك الكيد في قالب قصصي، فأشار إلى محاولاتهم الحثيثة للفنك به، بين كذبٍ وبهتانٍ تارةً، وبغيٍ وجورٍ تارةً أخرى، وأكد أنّهم اتبعوا كافة الطرق لتحقيق مآربهم، في قوله²:

(الكامل)

وَرَمَوْكَ بِالْإِفْكِ الْفَظِيحِ، وَأَطْنَبُوا بِالْقَوْلِ فِيمَا زَوَّرُوا، وَتَقَلَّدُوا
وَبَغَّوْا عَلَيْكَ بِمَا افْتَرَاهُ تَعَمُّدًا وَسَجِيَّةَ الْبَاغِيْنَ أَنْ يَتَعَمَّدُوا
لَمْ يَتْرَكُوا شَيْئًا بِهِ يَتَوَصَّلُوا طَمَعًا إِلَى مَا قَرَّرُوهُ وَأَكَّدُوا
إِلَّا نَحْوَهُ، وَبَالَغُوا فِي جُهْدِهِمْ لَكِنْ سَعِدْتَ وَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْعُدُوا

وأكدّ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ذلك في قوله³:

(الخفيف)

وَرَمَوْهُ بِكُلِّ قَوْلٍ شَنِيعٍ بَيْنَ الْكِذْبِ ظَاهِرِ الْإِفْتِرَاءِ

ولما باعت مساعيهم بالفشل، ولم يجدوا سبيلاً للكلام فيه، لزهده وعدم مطالبته بالدنيا ومزاحمته له على المناصب، عمدوا إلى تحريف كلامه وتزويره، وثبتت المصادر أن نهاية هذه الأكاذيب والتحريف والتزوير على الشيخ ابن تيمية، ما كان في زيارة القبور، حيث عادوا إلى ما كان الشيخ قد أفنى به قبل سنين كثيرة في مسألة شدِّ الرِّحال، والمطيِّ إلى قبر الرسول

في ذلك، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس، وكانت له جلاله عجيبة ووقع في النفوس ومشاركة في الفضائل". انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 291/1، 293. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/18.

¹ انظر: النويري: نهاية الأرب، 85/32، 86. البرزالي: المقتفي، ج2، ق379/1. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 332_335. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/45_48.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 566، 567.

³ المصدر نفسه، 482.

صلى الله عليه وسلم، و قبور الأنبياء والصالحين، وأعادوا الحديث فيها مرةً أخرى من جديد، وقد حرفوها، ووشوا بها إلى السلطان، وأغروا بقتله¹، والقارئ لسيرة ابن تيمية يجد أنّ هناك غير حادثة تثبت ذلك²، ويلقي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الضوء على ذلك، إذ قال³:

(الخفيف)

حَرَّفُوا قَوْلَهُ كَمَا حَرَّفَ الْقَوِ مُمْ نُصُوصَ الْقُرْآنِ لِلْإِغْوَاءِ
عَجَزُوا عَنْهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَاسْتَعَانُوا عَلَيْهِ بِالْإِغْرَاءِ

وبعض الخصوم أنكر عليه علمه ومعارفه، وتقف الحادثة التي جرت بينه وبين أبي حيان الأندلسي النحوي⁴ خير شاهد على ذلك، فقد اجتمع به في مصر، " وكان علامةً وقته في النحو، فقال: ما رأيت عيناى مثل ابن تيمية"⁵، ثم مدحه في ستة أبيات، " يقال: إنّ أبا حيان لم يقل أبياتاً خيراً منها ولا أفحل"⁶، فقد كان " يعظّم ابن تيمية، ثم وقع بينه وبينه في مسألة نقل فيها أبو حيان شيئاً عن سيبويه، فقال ابن تيمية: وسيبويه كان نبياً النحو! لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعاً من كتابه. فأعرض عنه"⁷، فكان ذلك الموقف سبباً في المقاطعة بينهما، ورميه بالسوء بعد ثنائه عليه، فغدا من أكثر الناس ذماً له، وعدّه ذنباً لا يُغْتَفَرُ⁸.

¹ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 396_411. الكرّمى، الكواكب الدرية، 148_149.

² انظر للمزيد من الأمثلة: ابن عبد الهادي، العقود الدرية، 254، 255، 259، 265، 266، 326، 411.

³ المصدر نفسه، 481، 482.

⁴ تقدمت ترجمته، انظر: ص10، حاشية رقم4.

⁵ ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، 114.

⁶ ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، 394/2. ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، 115.

⁷ السيوطي: بغية الوعاة، 282/1.

⁸ انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/341. الصفدي: أعيان العصر، 1/247. ابن أبي يعلى: طبقات

الحنابلة، 392/2. ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، 113_118. المقرئ: المقفى الكبير، 1/469، 470. ابن حجر

العسقلاني: الدرر الكامنة، 1/162_163. ابن العماد: شذرات الذهب، 6/83.

وبلغ الأمر بخصومه أن ضربوه وهدّوه كما فعلوا به في جامع مصر ذات مرة، وفي مكان خالٍ مرة أخرى¹، وشمل الأمر أخويه وبعض تلاميذه².

وسلك بعضهم طريق الطعن والتشهير به، وأشدها رميه بالكفر، وإخراجه من الإسلام، وقد انبرى ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه "الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية، شيخ الإسلام كافر" للدفاع عنه وتفنيده أباطيلهم³.

وظل أعداء الشيخ يكيّدون له حتى أُدخل السجن، وهو ما عبر عنه سعد الدين سعد الله ابن بختيار، متأثر في قوله تعالى {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَجَازَىٰ مَنْ نَسَاءَ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ⁴، في قوله⁵:

(الكامل)

حَتَّى إِذَا مَا اسْتَيْأَسُوا مِنْ نَيْلِ مَا كَانُوا جَمِيعًا حَاقِلُوا وَتَقَصَّدُوا
خَافُوا سَطَاكَ فَأَجْمَعُوا آرَاءَهُمْ أَنْ يُوَدِّعُوكَ السَّجْنَ، ثُمَّ يَخْلُدُوا

ويمثل السجن أكثر المحن التي تعرض لها ابن تيمية، فقد سُجن غير مرة، ونُقِلَ من سجن إلى آخر، ومن قلعة إلى جب، ومن مصر إلى دمشق إلى الإسكندرية، ولكنه ظلَّ صابراً محتسباً، ووجد في السجن الملاذ الآمن من دسائس الخصوم وهواجس الشر والحقد.

ابتدأ سجن الشيخ من سنة 698هـ، حيث عُقد له مجلس لتأليفه المسألة الحموية، فقد هاج عليه غالبية الناس، وتحزّبوا له، وحاولوا التعدي عليه، إلا أنه أجابهم بما أسكت الفتنة¹.

¹ انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق32/2. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 350_354.

² انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق305/1، 306. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 260، 261. ابن كثير: البداية والنهاية، 39/14.

³ انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 17. الكرمي: الكواكب الدرية، 9. ابن ناصر الدين الدمشقي: الرد الوافر، 20. 49.

⁴ سورة يوسف، آية110.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 567.

وفي سنة 705هـ ثار عليه العلماء والفقهاء والقضاة مرة أخرى لكتابته في العقيدة الواسطية، وعُقدت لمناظرته ثلاثة مجالس، تكلم فيها الشيخ ابن تيمية كلاماً كثيراً، وانفضت على قبول العقيدة، وعاد الشيخ معظماً مكرماً، إلا أن ذلك آل إلى تخبطٍ وتشوشٍ عمّ دمشق، وانتهى بتعزيز تلاميذ الشيخ وإيذائهم، بل ووصل الأمر إلى حبس أحدهم من جهة، ومن جهة أخرى احتدّ أهل مصر في أمر الشيخ، وملأوا قلب الجاشنكير ركن الدين عليه، فطلبه إلى مصر نفيًا على البريد، وعُقد له مجلس بالقلعة حضره القضاة وأكابر الدولة، إلا أنه مُنع من الكلام، وانتصب ابن مخلوف القاضي المالكي، وهو من أشد خصومه للحكم فيه، ويومئذ انتهى الأمر إلى سجنه، فحبس أيامًا في البرج، ثم أمر المالكي بالتضييق عليه، وذلك لتردد بعض الناس عليه، فنقل هو وأخواه إلى الجبّ من القلعة بمصر، إلى سنة 707هـ، حيث أقسم عليه حسام الدين ابن مهنا بالخروج من السجن، وذلك بعد محاولات حثيثة قام بها قرناؤه من علماء وفقهاء وقضاة عصره لعدوله عن آرائه مقابل سراحه وحرية، إلا أنه أبى²، وقد أنشد سليمان بن عبد القوي الطوفي عقب تلك الحادثة، أبياتًا تجلّت فيها محنة الشيخ وصبره، فحثّه على الصبر ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فلا عسر إلا اتبع يسرا، وبيّن أنّ الابتلاء من أوسع أبواب تكفير الذنوب والآثام، ومدخلًا للحسنات، بقوله³:

(البيسط)

فاصْبِرْ، ففي الصبرِ ما يغنيك عن حيلٍ وكلُّ صَعْبٍ إذا صابرتَه هانا
ولستَ تَعْدَمُ من خطبِ رُميتَ به إحدى اثنتين، فأيقنْ ذاك إيقانا
تمحيصَ ذنبٍ، لتلقى الله خالصةً أو امتحاناً به تزدادُ قربانا

¹ انظر: البرزالي: المقتفي، ج1، ق2/570. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 249. الذهبي: تاريخ الإسلام، 61/52. ابن كثير: البداية والنهاية، 4/14.

² انظر: النويري: نهاية الأرب، 71/32 — 88. الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، 9/133 — 145. البرزالي: المقتفي، ج2، ق1/305_306. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 250_313. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/36_39.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 313.

ويفصف الطوفي في هذه الأبيات الشيخ بالدرر فاضلة، ويشكك في قدرات خصومه العقلية، ويسمهم باللؤم، ويعتب على الدهر الذي وضع ابن تيمية في هذه المحنة، فقال¹:

(البسيط)

جَواهرُ الكونِ أنتم غيرَ أنكمُ في معشرٍ أشربوا في العقلِ نقصانا
إن تبتلى بئامِ الناسِ يرفَعهمُ عليك دَهْرٌ لأهلِ الفضلِ قد خانا

وسجن ابن تيمية في السنة ذاتها، أي سنة 707هـ، عقب شكوى المتصوفة إياه، وظلَّ الشيخ في السجن إلى سنة 709هـ، يزوره الناس طلباً للوعظ والاستفتاء، الأمر الذي أشعل الفتيل بقلوبهم مرةً أخرى، واجتمعوا فأجمعوا على نفيه إلى ثغر الإسكندرية، كيداً له، علَّه ينقطع الأثر، ممنوعاً من الصحب والبشر، إلاَّ أنَّ مساعيهم باءت بالفشل، وزاده ذلك محبةً من الناس وقرباً وحنوًّا²، تجلَّى ذلك في أبياتٍ لبدر الدين المارداني، يشير فيها إلى المكانة التي أولاها إياه السجن، فبيّن كيف عزّز من قدرته وأعلى من شأنه، إذ صورته لؤلؤاً في الصدف، وأكد أنَّ هذا ليس غريباً فالجواهر في التراب تبقى جواهرًا، يقول³:

(الطويل)

وإن أودعوك السجن منهم جهالةً فقد زدت قدراً عندما نقضوا قدرا
فما يخفي إلا الجواهر في الوري ومن ظلم الأصداف يستخرج الدرّاً

وتجلَّى المعنى في قول زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن الوردی، إذ صور أنَّ سجن الشيخ مفخرة له وليس عاراً عليه، ويعبر عن سعادة الشيخ فيه، في قوله⁴:

(الوافر)

¹ المصدر نفسه، 313.

² انظر: النويري: نهاية الأرب، 32/، 86. البرزالي: المقففي، ج2، ق445/1. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 334_335. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/ 51_52.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 577.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 466. ابن الوردی: تاريخ ابن الوردی، 2/406. الصفدي: الوافي بالوفيات 4/329. أعيان العصر، 1/250. المقرئزي: المقففي الكبير، 1/478. الكرّمي: الكواكب الدرية، 187.

وَحَبَسُ الدُّرِّ فِي الْأَصْدَافِ فَخَرُّ وَعِنْدَ الشَّيْخِ بِالسَّجْنِ اغْتِبَاطُ

وصورة الدر والصدف الواردة في البيتين المتقدمين تأثر الشعراء فيها بأبيات المتنبي

حين دخل السجن، في قوله¹:

(المنسرح)

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّئْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفٍ

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقُصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ

مكث الشيخ في ثغر الإسكندرية ثمانية أشهر، وعقب ذلك خرج متجهاً إلى مصر، وفيها

عاد الشيخ إلى بث العلم ونشره، وكان هذا حاله أيضاً في دمشق بعد عودته إليها من سبع سنين

خلت، فقد تفرغ لنشر العلم وملازمة البحث والإفتاء².

وعاد إلى السجن مرة أخرى سنة 718هـ لمدة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، وذلك

عقب قوله المعروف في الحلف بالطلاق³.

وكان سجنه الأخير سنة 726هـ، وذلك لكلامه في شدِّ الرحال إلى القبور، ووقنتذ كانت

فتنة " طار شررها في الآفاق، واشتدَّ الأمر، وخيف على الشيخ من كَيْدِ القَائِمِينَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ

بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ"⁴، فقد استعدت الصوفية السلطان والقضاة عليه، وأفتت بقتله، إلا أنَّ

السلطان أمر بحبسه بقلعة دمشق، مكث فيها سنتين وثلاثة أشهر وأياماً، ثم توفي إلى رحمة الله

ورضوانه. وهذه كانت من أعظم المحن التي واجهها الشيخ وأنصاره، فقد أودى فيها إيذاءً

شديداً، ومن صور هذا الإيذاء منع الناس من اللقاء به واستنقائه، وإيذاء من هو على معتقده،

ومنعه من الكتب والأقلام، والكتابة والأوراق، إلا أنَّ الله أفرغ عليه صبراً واحتساباً⁵.

¹ المتنبي: ديوان المتنبي، علق حواشيه وفسر كلماته اللغوية سليم ابراهيم صادر، د.ط، بيروت: مكتبة صادر، 1926، ص44.

² انظر: النويري: نهاية الأرب، 86/32. البرزالي: المقتفي، ج2، ق379/1. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 341، 346. ابن كثير: البداية والنهاية، 48_45 / 14.

³ انظر: البرزالي: المقتفي، ج2، ق2، 316. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 393، 394. ابن كثير: البداية والنهاية، 89/14. وقد ورد الحديث عن مسألة الطلاق بالتفصيل، انظر: تحت عنوان فتاوى ابن تيمية واجتهاداته، ص122_123.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 397.

⁵ انظر: النويري: نهاية الأرب: 33 / 211-217. ابن الوردي: تاريخ ابن الجزري، 114_111/2. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 396_411. ابن كثير: البداية والنهاية، 129_127/14.

وكان شهاب الدين ابن فضل الله العمري واحداً من الذين كشفوا عن تفاصيل تلك الواقعة، إذ صورَ حال ابن تيمية في السجن وما لاقاه قبل وفاته، إذ سلَّط الضوء على إبعاده عن العلم والكتابة فيه، وعن ملازمة البحث والاجتهاد، وأثر ذلك عليه، فقد صورَ القلم والأوراق أشبه ما يكون بالروح، وبمفارقتها السجن فارق الشيخ الحياة، في قوله: " وكان قبل موته قد مُنِع الدواة والقلم، وطُبِعَ على قلبه منه طابع الألم، فكان مبدأ مرضه ومنشأ عرضه، حتى نزل قفار المقابر، وترك قفار المناير، وحلَّ ساحة تربه وما يحاذر، وأخذ راحة قلبه من اللائم والعاذر، فمات لا بل حيي، وعُرِفَ قدره لأن مثله ما رئي"¹، وصورَ ابن فضل الله العمري شعراً " ما تعرض له من الشيخ من ظلم واضطهاد، واستنكر على حسّاده سعيهم للإيقاع به، وأنهم ارتضوا بحبسه، مدلاً في كل ذلك على بغيهم، وجهلهم بقدره وعلمه، وكرّر عبارة " مثل ابن تيمية" غير مرة ليعبر عن استهجانته مما حلّ بالشيخ، وليؤكد مكانته الرفيعة من جهة، وكبر أعدائه وصدعهم عن الحق من جهة أخرى"²، في قوله³:

(البيسط)

أهكذا بتقيّ الدّين قد عبثتُ	أيدي العدي وتعدّي نحوه الضّررُ
إلى ابن تيمية ترمى سهام أذى	من الأنام ويُدْمى النَّابُ وَالظُّفْرُ
مثل ابن تيمية يُنسى بحبسه	حتى يموت، ولم يُكْحَلْ به بصرُ
مثل ابن تيمية ترضى حواسده	بحبسه، أو لكم في حبسه عُذْرُ
مثل ابن تيمية في السجن معتقلُ	والسّجن كالغمد وهو الصارمُ الذّكرُ
مثل ابن تيمية يرمى بكلّ أذى	وليس يُجلى قذّي منه ولا نظْرُ

وكشف العمري نثراً عن رحلة الشيخ عبر السجون، إذ صورَ حوادث الدهر ونوائبه مصائب حلّت بالشيخ، في قوله: " وأزعج من وطنه تارةً إلى مصر ثم إلى الإسكندرية، وتارة

¹ النويري: مسالك الأبصار، 338/5. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 538. المقرئ: المقفى الكبير، 472/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 182.

² رائد عبد الرحيم: فن الرثاء، ص 157.

³ النويري: مسالك الأبصار. 344/5. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 538، 539. المقرئ: المقفى الكبير، 475/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 182، 183.

إلى محبس القلعة بدمشق، وفي جميعها يودع أخبئة السجون، ويلدغ بزباني المنون، وهو على علم يسطر صُخْفَه، ويذخر تحفه¹، وشهد البزار في سيرته أن خصومه هم الذين كانوا وراء سجنه ونزول المصائب به، وصبره على ذلك وثباته، في قوله: " ولقد سجن أزماناً وأعصاراً، ولم يولِّهم دُبْرَه فراراً، ولقد قصد أعداؤه² الفتك به مراراً، وأوسعوا حيلهم عليه إعلاناً وإساراً"³، وكشف الذهبي أيضاً عن مساعيهم للنيل من عزيمته القوية التي لم تثن أمامهم، فقال: " قد سُجن غير مرة ليفتر عن خصومه، ويُقصر عن بسط لسانه وقلمه، وهو لا يرجع ولا يلوي على ناصح"⁴، يمكن القول إن حياة ابن تيمية كانت شدائد وابتلاءات متواصلة، وهو ما عبّر عنه أحد معاصريه، فقال: " ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة"⁵.

ومن الأمور التي لا بُدَّ من الإشارة إليها في هذا الصدد، رأي الرحالة محمد بن عبد الله الطنجي⁶، المعروف بابن بطوطة في رحلته المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" في شخصية الشيخ ابن تيمية، إذ قال: " وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية، كبير الشام، يتكلم في الفنون، إلا أن في عقله شيئاً"⁷، فقد قدّم له صورة سلبية، صورة المختل وعدم المتزن عقلياً، ويبدو من ذلك أن الرحالة ابن بطوطة تأثر ببعض آراء الناس المنتشرة عن الشيخ ابن تيمية في ذلك الوقت.

ثالثاً_ موقف ابن تيمية من خصومه وأفعالهم

¹ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 337، 338. المقرئ: المقفى الكبير، 472/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 181.

² ورد في الهامش " قصد أعداء الفتك به"، انظر: البزار: الأعلام العلية، 68.

³ البزار: الأعلام العلية، 68.

⁴ الذهبي: المعجم المختص، 46.

⁵ اليعمرى: " أجوبة ابن سيد الناس اليعمرى عن سوالات ابن أبيك الدمياطي": الجامع، 188.

⁶ تقدمت ترجمته، انظر: ص18، حاشية رقم3.

⁷ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة(تحفة النظار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار)، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور علي المنتصر الكتاني، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 110، 109، 1979.

يكشف الأدب عن مواقف ابن تيمية من خصومه، وهي تدور في فلك صبره وثباته على ما افتروا به عليه، إذ زادته المحن عزيمةً، فظل محافظاً على رباطة جأشه وأخلاقه، وشجاعته في الجهر بالحق، تجلّى أيضاً في قول محمود بن الأثير الحلبي، إذ قال¹:

(الخفيف)

كَمْ رَمَوْهُ الحُسَّادُ بِالكَيْدِ والبَغْيِ وَهُوَ لَا يَنْتَثِي عَنِ الإِقْدَامِ

ومثله قول الشاعر نجم الدين اسحق بن أبي بكر ابن ألمى التركي²:

(الطويل)

وَلَمْ يَنْتَه عَنْهُمْ، وَلَمَّا يَصُدَّهُ عَقُوبَةُ ذِي ظَلَمٍ وَجَرُ مُعَذِّبِ

وعبّر الأدب عن انسجام الشيخ مع حبسه، إذ استغله فيما ينفع من علم وعبادة، وبرز ذلك في قول ابن الجزري في صدد الحديث عن فتواه في مسألة الزيارة، ومآلها إلى حبسه: " وكان له في ذلك خيرة كبيرة لأنه اشتغل بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم إلى حيث مات"³، ويبدو ذلك في قول ابن رجب مشيراً إلى ابن تيمية، إذ قال: " وكان في حبسه في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه الخير"⁴.

ويورد إبراهيم الغياني خادم الشيخ حادثة تدل على موقف ابن تيمية وسعادته في حبسه، فيذكر حواراً دار بينه وبين أحد الأشخاص وقت حبسه، إذ بدأ الشيخ شغواً بتفرده في السجن، مستأنساً بربه؛ فأورد: "وركب على باب الحبس، فقال له إنسان: "يا سيدي هذا مقام الصبر"، فقال له: " بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل على قلبي من الفرح والسرور شيء لو قسم

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 498.

² المصدر نفسه، 453.

³ ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 264/2.

⁴ ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، 519/4.

على أهل مصر والشام لفضل عنهم، ولو أنَّ معي في هذا الموضع ذهبًا وأنفقتَه ما أدبت عُشر هذه النعمة التي أنا فيها"¹.

وأشاد الأدب بصبر ابن تيمية على محنه، وقدرته على الاحتمال، وردوا ذلك إلى عمق إيمانه بقضاء الله وقدره، الذي عدّه رحمةً في كل أحواله، فهذا قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ، يقول²:

(الكامل)

نَزَلَ الْقَضَاءُ بِهِ فَاَنْسَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ، لَا تُدْفَعُ الْأَقْدَارُ

وقول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل الدمشقي، المعروف بالمتيم، وقد كرر لفظة الصبر غير مرة³:

(الطويل)

صَبِرْتَ عَلَى الْأَحْكَامِ طَوْعًا وَطَاعَةً وَذُقْتَ مِنَ الْآلَامِ طَعْمَ الْبَلِيَّةِ
وَكُنْتَ حَمُولًا لِلنَّوَابِ كُلِّهَا صَبُورًا عَلَى الْأَقْدَارِ فِي دَارِ غُرْبَةٍ
وَأَوْسَعْتَ صَدْرًا لِلْمَقَادِيرِ عِنْدَمَا شَهِدْتَ جَمَالَ الْحَبِّ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ

وأشار شاعر مجهول إلى المعنى ذاته، إذ عبّر عن الشيخ وصبره على ما واجهه من شدائد وبخاصة في الديار المصرية، فردد كلمة "صابرًا" و"الصبر" و"صبور" للتعبير عن ذلك، في قوله⁴:

(الطويل)

وَكَانَ عَلَى حَكْمِ الْمُهَيْمِنِ صَابِرًا وَفِي كُلِّ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ حَمُولُ
وَجَاهِدَ فِي الرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ وَكَانَ لَهُ صَبْرٌ عَلَيْهِ جَمِيلُ

¹ الغياني: 'فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد في تكسير الأحجار': الجامع، 150.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 459.

³ المصدر نفسه، 532.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 575.

وفي أرض مصرٍ يا لها من عجائبٍ لديه جرت، وهو الصبورُ الحمولُ

استوحى الشعراء من قصص الأنبياء في القرآن الكريم و صبرِ السلف الصالحين، واستفادوا من دلالاتها في التعبير عن معانيهم، وتشكيل صورهم، التي رسموها للشيخ ومحنه، فيما لاقى من أذى وابتلاء، فقد بين زين الدين عمر بن المظفر ابن الوردي أنّ ابن تيمية يسير على خطى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال¹:

(الوافر)

بِأَلِ الْهَاشِمِيِّ لِهَ اقْتِدَاءٌ فَقَدْ ذَاقُوا الْمُنُونَ وَلَمْ يُوَاطُّوا

وقرن صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بين صبره وصبر أولي العزم من الرسل، في قوله²:

(الخفيف)

صَابِرًا نَفْسَهُ إِلَى أَنْ قَضَى اللَّـمَّ لَهُ بِمَا قَدْ قَضَى عَلَى الْأَنْبِيَاءِ

أمّا قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وسجنه ظلماً، فقد تجلّت في قول شهاب الدين أحمد ابن فضل الله العمري، إذ حتّ الشيخ ابن تيمية على الاقتداء به، وبغيره من الصالحين، الذين صبروا على البلاء، فعاد الصبر بالخير العميم عليهم، في قوله³:

(البسيط)

بَلْ هَكَذَا السَّلْفُ الْأَبْرَارُ مَا بَرِحُوا يُبَلِّى اصْطَبَارُهُمْ جُهْدًا وَهُمْ صَبْرُ
تَأَسَّ بِالْأَنْبِيَاءِ الطُّهْرِ كَمْ بَلَّغَتْ فِيهِمْ مَضَرَّةُ أَقْوَامٍ وَكَمْ هَجَرُوا
فِي يُوسُفٍ فِي دُخُولِ السِّجْنِ مَنْقَبَةٌ لِمَنْ يُكَابِدُ مَا يَلْقَى وَيَصْطَبِرُ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 466. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 407/2. المقرئ: المقفى الكبير، 479/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 188.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 481.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 540. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 344/5. المقرئ: المقفى الكبير 476/1. الكرمي: الكواكب الدرية، 184.

وإضافة إلى ما تقدم، فقد أكدَّ الأدب أيضاً أنه لم ينتقم لنفسه منهم حتى بعدما قدر على

ذلك¹.

رابعاً_موقف الأدباء من خصوم الشيخ وأفعالهم

كشفت الأدباء عن مواقفهم المختلفة من خصوم الشيخ ابن تيمية وأفعالهم، ونظرتهم من هؤلاء الخصوم، فأرجعوا ذلك إلى غيرتهم وحسدهم وقلة علمهم وغيظهم، وهاجم هؤلاء الخصوم فقدحوا في علمهم وأخلاقهم، ويتعجب نجم الدين اسحق بن ألمى التركي من الخصوم الذين أنكروا فضل ابن تيمية لدافع الحسد، في قوله²:

(الطويل)

لئن جَدْتُ عِلْيَاءَ فَضْلِكَ حُسْدٌ لَعَمْرُ أَبِي قَدْ زَادَ مِنْهُمْ تَعَجُّبِي

وعبر زين الدين عمر بن المظفر ابن الوردي عن استيائه من موقف الخصوم في اعتقال الشيخ، ورفضه لذلك، "وأعلن عن رغبته في فضحهم، ولكنه عدل عن ذلك كونهم من أهل العلم، ودعاهم إلى الاستمرار في إثارة الضغائن والعداء حتى يلاقوا يومهم الموعود، وتكشف النفوس عن حقيقتها"³، في قوله⁴:

(الوافر)

وَسِجْنُ الشَّيْخِ لَا يَرْضَاهُ مِثْلِي ففِيهِ لِقَدْرٍ مِثْلِكُمْ أَنْحَطَاطُ
وَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَجَنُوهُ شَرَعَا لَكَانَ بِهِ لِقَدْرِهِمْ أَنْحَطَاطُ
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَا كَاتُمْ سِرِّي وَخَوْفُ الشَّرِّ لَانْحَلَّ الرَّبَّاطُ
وَكَنتُ أَقُولُ مَا عِنْدِي، وَلَكِنْ بِأَهْلِ الْعِلْمِ مَا حَسُنَ اشْتِطَاطُ

¹ سبق الحديث عن ذلك في الفصل الأول من الدراسة، تحت عنوان حلمه، انظر: ص 47_51.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 455. الكرمي: الكواكب الدرية، 75.

³ عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، ص 159.

⁴ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 407/2. الكرمي: الكواكب الدرية، 188.

سَيُظْهِرُ قَصْدَكُمْ يَا حَابِسِيهِ وَنَبِيئَكُمْ¹ إِذَا نَصَبَ الصَّرَاطُ

و يفحش بعض الشعراء في وصف أعداء الشيخ، دلالةً على غضبه واستيائه من أفعالهم، فهذا جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الخضري يسمهم " أولاد زنا "، في إشارة إلى قبح أفعالهم وسلوكهم في حق الشيخ، فيقول²:

(الكامل)

لَا غَرَوْا إِنْ كُنْتَ ابْتُلِيَتْ بِحَاسِدٍ فَالْحَرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزَّيْنَا

وأكدَّ شهاب الدين ابن فضل الله العمري جهل خصوم الشيخ، فصورهم بقرأ، فبيّن أنّ وظيفة الشيخ تكمن في النظر والتحليل، ولا ضير عليه إذا لم يفهموا، فقال³:

(البيسط)

عَلَيْكَ فِي الْبَحْثِ أَنْ تُبْدِيَ غَوَامِضَهُ " وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقْرُ "

يبدو الشاعر ساخراً متهكماً من مناظري ابن تيمية، فهو يسخر منهم لعدم تمكنهم من الفهم، فشبههم بالبهائم، وهنا يستوحي قول البحثري عندما عوتب لعدم فهم الناس معانيه وأشعاره، في قوله⁴:

(البيسط)

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا، وَمَا عَلَيَّ لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقْرُ

¹ وردت " نيتكم " انظر: الكرمي: الكواكب الدرية، ص188.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 509. الكرمي: الكواكب الدرية، 204.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 543. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 5/ 346. الكرمي، الكواكب الدرية، 186.

⁴ البحثري: ديوان البحثري، شرحه وعلق عليه الدكتور محمد التونجي، ط1، ، بيروت _ لبنان: دار الكتاب العربي، 1994، 487/1.

وأكد تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي بُعد المسافة بين الشيخ وخصومه،
وتساءل مستنكراً أين المكر من القوة، وأين الحشرات من الصقور، وتبدو الصورة مثيرة
للسخرية والتهمك اللاذع من خلال هذه المزوجة بين الأسد والثعلب تارة، وبين الصقور
والحشرات تارة أخرى، طالباً منهم الكف والتوقف، ورفع رؤوسهم لرؤية حقيقة الأمور، في
قولهم¹:

(الكامل)

كَمْ بَيْنَ رِئْبَالٍ² الْفَلَاةِ وَتَعْلَبٍ كَمْ بَيْنَ شَفَوَاءِ الْبُزَاةِ³ وَجُدْجُدٍ⁴
أَرِحِ الْمَطْيِيَّ، وَلَا تَكُنْ كَمَحَاوِلٍ صَيْدَ النُّجُومِ مِنَ الْمِيَاهِ الرُّكْدِ
وتجلى المعنى ذاته في قول نجم الدين اسحق بن ألمى التركي، إذ جعل الشيخ أسداً
وخصومه في مكرهم ثعالب⁵:

(الكامل)

أظلمت من حمق به مُشبهًا أين الثعالبُ في الشرى من أسده
ويكشف صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق عن الحال في ساحة القتال، إذ صور ابن
تيمية جواداً خاوياً، وذلك لكثرة صولاته وجولاته، وشبه خصومه بالحمير، وسيوفهم في أغمادها
صدئة، ويتساءل هل يتساوى الحصان الأصيل بالحمار، والسيف الحاد بالكليل، فشتان ما بين
الاثنين، في قوله⁶:

(الخفيف)

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 518. الكرمي: الكواكب الدرية، 216.

² الرئبال: من أسماء الأسد والذئب، والجمع الرأبيل. ابن منظور: لسان العرب، مادة "رأبل".

³ البزاة: ضرب من الصقور، ومفردها البازي. ابن منظور: لسان العرب، مادة "بزا".

⁴ جدجد: الذي يصير بالليل، ويقال هو الصرصر. ابن منظور: لسان العرب، مادة "جدد".

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 551.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 482.

هَلْ يُبَارِي الْعَضْبَ¹ الصَّقِيلَ كَهَامَ² صَدِيٍّ فِي صَرَامَةٍ وَمُضَاءٍ
أَمْ يَجَارِي الْحَمِيرُ فِي حَلْبَةِ السَّبِّ ————— قِ جَوَادًا مُضَمَّرَ الْأَحْشَاءِ

ويستهزئ سعد الدين سعد الله بن بُخَيْخ من أفعالهم وقدرتهم، ويؤكد أنّ الأمر كله بيده سبحانه وتعالى، الذي ردّ كيدهم عن الشيخ غير مرة، في قوله³:

(البسيط)

أَيْسْتَطْعُونَ أَنْ يَمْحُوا مَا كَتَبْتُ يَدُ الْمَهِيْمِنِ بَعْدَ الذِّكْرِ فِي الزُّبْرِ؟
أَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَبْدِيلِ مَا نَفَذْتُ بِهِ نَوَافِذُ أَمْرِ اللَّهِ مِنْ قَدْرِ؟
بَلْ كَلِمَا أَوْقَدُوا لِلْحَرْبِ نَارَ غَضِّي بِالْكَيْدِ مِنْهُمْ طِفَاهَا مُنْزَلُ السَّوْرِ
وَرَدَّ كَيْدَهُمْ فِيهِمْ وَأَرْجَعَهُمْ بَالْتَعْسِ وَالنَّكْسِ وَالْخُدْلَانِ وَالذَّبْرِ

ووقف شمس الدين الموصلی⁴ في وجه كبار فقهاء الشيعة، ابن المُطَهَّر، وردَّ عليه،

وعلى نعته ابن تيمية بالجهل⁵، وكشف منهجه في إلباس الحقيقة ثوب الباطل، وزخرقتها بالحكم المضلِّلة، وأكد أنّ علم ابن تيمية ومعارفه السبب الوحيد وراء عدائه، في قوله⁶:

(الكامل)

يَا مَنْ يَمَّوهُ فِي السُّؤَالِ مُسْفِطًا إِنَّ الَّذِي أَلْزَمْتَ لَيْسَ بِإِلْزَامِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ كُلَّ مَا عِلْمُوا وَقَدْ عَادَاهُ جُلُّ الْعَالَمِ

¹ العضب: السيف القاطع. ابن منظور: لسان العرب، مادة "عضب".

² كَهَامٌ: كليل لا يقطع. ابن منظور: لسان العرب، مادة "كهم".

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 571.

⁴ شمس الدين ابن الموصلی: هو محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز الموصلی البعلبي الشافعي، قرأ القرآن الكريم على يد العديد من الشيوخ، ومن مؤلفاته "المنهاج" و"فقه اللغة" و"المطالع" لابن قرقول و"شرحه"، وأحد أئمة الأدب العارفين باللغة والعربية. ولد 699هـ وتوفي 774هـ. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، 1/262_269. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، 4/306_307. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995، 1/194.

⁵ سبق الحديث عن ذلك، انظر: مناظرته للفرق والطوائف، الشيعة، ص 136_137.

⁶ ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، ص131. الأمين محسن: أعيان الشيعة، 5/398.

ويرمي نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي خصوم الشيخ بقلّة العقل، وأكد أنّهم لم يدركوا قيمة الشيخ ومكانته وفضله، فقال¹:

(البيسط)

لَا يَعْرِفُونَ لَكُمْ فَضْلًا وَلَوْ عَقَلُوا لَصَيَّرُوا لَكُمْ الْأَجْفَانَ أَوْطَانًا

وقارن شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بين ابن تيمية وخصومه من الناحية العلمية، إذ "كشف عن ضلالة قدرهم، وجهلهم، وبين عجزهم عن مواجهته، ويبدو متأثراً بقصص القرآن الكريم، إذ حضّهم على مناظرته ومجادلته على مرأى ومسمع من الناس، وأن يجمعوا له كما جمع فرعون السحرة لموسى، وحنّ من قدرهم حين جعلهم أقل منزلة ورتبة من سحرة فرعون، ذلك أن هؤلاء أذعنوا لأمر موسى، وآمنوا معه بعدما رأوا البراهين الدالة على صدقه، أمّا هم، فظّلوا على جهادهم وعنادهم لذلك الشيخ، وسعيهم له بالمكائد"²، كما تجلّى في قوله³:

(البيسط)

هَلَّا جَمَعْتُمْ لَهُ مِنْ قَوْمِكُمْ مَلَأً كَفَعَلِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى لَتَعْتَبِرُوا
قُولُوا لَهُمْ: قَالَ هَذَا فَاَبْحَثُوا مَعَهُ قُدَامَنَا وَاَنْظُرُوا الْجُهَّالَ إِنْ قَدَرُوا
تَلْقِي الْأَبَاطِيلَ أَسْحَارًا لَهَا دَهْشٌ فَيَلْقَفُ الْحَقُّ مَا قَالُوا وَمَا سَحَرُوا
يَا ظَالِمًا نَفَرُوا عَنْهُ مُجَانِبَةً وَلِيَتَّبِعَهُمْ نَفَعُوا فِي الضَّيْمِ أَوْ نَفَرُوا
هَلْ فِيهِمْ صَادِعٌ بِالْحَقِّ مَقُولُهُ أَوْ خَائِضٌ لِلْوَعَى وَالْحَرْبُ تَسْتَعِرُّ
فَلِيَتَّبِعَهُمْ مِثْلُ ذَاكَ الرَّهْطِ مِنْ مَلَأٍ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ فِي شَأْنِهِمْ عِبْرٌ
وَلِيَتَّبِعَهُمْ أَذْعَنُوا لِلْحَقِّ مِثْلَهُمْ فَأَمِنُوا كُلَّهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا

وأشار الأدب إلى أن ابن تيمية في نهاية المطاف إنسان، فإن أخطأ فله أجر المجتهد في ذلك، وهو ما عبر عنه الذهبي في قوله: "فإن كان قد أخطأ فيها؛ فله أجر المجتهد من العلماء،

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 313.

² انظر: عبد الرحيم رائد، فن الرثاء، 158.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 541. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 345. المقرئ: المقفى الكبير،

477/1. الكواكب الدرية، 185.

وإن كان قد أصاب؛ فله أجران¹، وذلك تطبيقاً لقول رسول الله " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"²، ويضيف شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري أن الشيخ طالما أصاب في حياته وفتاويه، فلا يضره خطأ صدر عنه³:

(البيسط)

قَالُوا بِأَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ مَسْأَلَةً وَقَدْ يَكُونُ فَهَامًا مِنْكَ تَغْتَفَرُ
غَلِطْتَ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَخْطَأْتَ وَاحِدَةً أَمَا أَجَدْتَ إِصَابَاتٍ فَتَعْتَذِرُ
وَمَنْ يَكُونُ عَلَى التَّحْقِيقِ مُجْتَهِدًا لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الْحَالِيِّنَ لَا الْوَزْرُ
يَا عَالِمًا بِنُقُولِ الْفَقِيهِ أَجْمَعِهَا أَعْنِكَ تُحَفِّظُ زَلَّاتٍ كَمَا ذَكَرُوا
قَدِمْتَ لِلَّهِ مَا قَدِمْتَ مِنْ عَمَلٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ، ذَمُّوكَ أَوْ شَكَرُوا

وأنشد سعد الدين سعد الله بن بُوَيْخٍ مقطوعة شعرية للعدال كثيري اللوم والعتاب له، ولمحبي الشيخ لحبهم وتقديرهم له، ولمصاحبتهم إياه، أكد فيها جهلهم في الشيخ ومحاسنه، وبين أن على أبصارهم غشاوة، حالت دون نظرهم في محاسنه، في قوله⁴:

(البيسط)

سَيِّانَ إِنْ عَذَلَ الْوَاشُونَ أَوْ عَذَرُوا لَا خَبْرَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ وَلَا خَبْرُ
لَامُوا عَلَى حُبِّهِ جَهْلًا، وَمَا عَقَلُوا وَعَنَّفُوا فِيهِ عِدْوَانًا، وَمَا شَعَرُوا
وَلَوْ رَأَوْا حُسْنَ الزَّاهِي بِأَعْيُنِهِمْ كَمَا أَرَاهُ أَقَلَّوْا اللَّوْمَ وَاقْتَصَرُوا
وَلَوْ تَجَلَّتْ مَعَانِيهِ الْحِسَانُ لَهُمْ وَشَاهَدُوا كَمَا شَاهَدْتَهَا بُهْرُوا
لَكِنَّهُ مُذْ بَدَا لِأَلَاؤِهِ غَشِيَتِ أَبْصَارُهُمْ، فَاثْنَتُوا مِنْهُ وَمَا نَظَرُوا

وصور صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق خصوم الشيخ، وقد نعموا وهنئوا عقب وفاته، إذ عدموا المجادل المتصدي لأفكارهم، يقول¹:

¹ الذهبي: ذيل تاريخ الإسلام، 328/53. الذهبي: ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، 132.
² ابن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب وأخطأ، 1342/3.
³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 543. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 5/ 346. الكرمي، الكواكب الدرية، 186.
⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 573

(الخفيف)

رَمِدَتْ مُقْلَةُ الْفَضَائِلِ مُذْمِتٌ سَتَ وَقَرَّتْ عَيُونُ أَهْلِ الشَّقَاءِ
حِينَ لَا عَالَمَ يَرُدُّ الَّذِي قَا لُوا وَمَا نَمَّقُوهُ لِلْإِغْوَاءِ

وعبر زين الدين عمر بن المظفر ابن الوردي عن ذلك، إذ دعا خصوم الشيخ إلى الراحة بعده، فليس هناك راد ولا مانع لمزاعمهم وادعاءاتهم، فقال²:

(الوافر)

فَهَا هُوَ مَاتَ عَنكُمْ، وَاسْتَرَحْتُمْ فَعَاطُوا مَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعَاطُوا
وَحُلُّوا وَاعْقَدُوا مِنْ غَيْرِ رَدٍّ عَلَيْكُمْ وَأَنْطَوَى ذَاكَ الْبِسَاطُ

ثانياً: مكانته الاجتماعية

أثر ابن تيمية في عصره

حفل الأدب بإشارات عبّرت عن مكانة ابن تيمية و دوره الاجتماعي، فقد عظم الناس جهوده ومساعيه العلمية والإصلاحية، وأكّنوا له الاحترام والحب والتقدير، وعدّوه مصدر الحياة لعصره، وفؤاده النابض، كما جاء في قول سعد الدين بن سعد الله بن بُوخَيْخ³:

(الخفيف)

أَنْتَ رُوحُ الْوُجُودِ فِي عَصْرِكَ الْآ نَ وَقَلْبُ الْوَرَى، وَعَيْنُ الزَّمَانِ

وتجلّى ذلك في قول عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الأصل، المعروف بابن

المتيم⁴:

(الطويل)

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 479.

² ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 407/2. الكرمي: الكواكب الدرية، 189.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 559.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 533. الكرمي: الكواكب الدرية، 227.

لَقَدْ كُنْتَ رُوحًا لِلْقُلُوبِ وَرَاحَةً
وَقُوتًا وَأُنْسًا لِلنُّفُوسِ النَّفْسِيَّةِ

وبين برهان الدين ابراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم، المعروف بابن الكوشة أنه سر الحياة لعصره وأبناء مجتمعه، فقال¹:

(الطويل)

لَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِهِ ذَاتَ بَهْجَةٍ
وَنُورٍ وَإِشْرَاقٍ وَرُوحٍ وَرِيحَانٍ

ويرى مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط الشيخ ابن تيمية مصدر الحق والنور لمجتمعه، إذ صور إنقاذه وإخراجه الناس من ظلمة الجهل إلى عين الحقيقة، ونشر الثقافة الدينية الصحيحة شمساً ساطعة، في قوله²:

(الطويل)

وَمَا كَانَ إِلَّا الشَّمْسُ فِي لَيْلٍ بَاطِلٍ
يُرِينَا بِنُورٍ مِنْهُ لِلْحَقِّ مَطْلَعًا

وهذا ما تجلّى في قول تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي³:

(الكامل)

قَدْ كَانَ شَمْسًا لِلصَّاحِبِ مُنِيرَةً
بضياؤها في كلِّ قُطْرٍ نَهْتَدِي

وصوره شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف بابن الكوشة قمرًا مضيئاً وسط مجتمعه، وعبر عن تميزه إذ صورته بتلك الصفة وغيره من العلماء نجوم صغيرة فيه⁴:

(الطويل)

وَبَدْرُ الدُّجَى إِنْ غَابَ لَمْ تُشْرِقِ الدُّنْيَا
ولو أشرقت فيها النجوم الطوالعُ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 490

² المصدر نفسه، 477.

³ المصدر نفسه، 518.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 489.

ويؤكد نجم الدين اسحق بن ألمى التركي أنه كان طبيب عصره ومداويه من أمراضه التي أَلَمَّتْ به، في إشارة إلى الجهل والضلال، في قوله¹:

(الطويل)

عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النَّفْسِ يَسُوسُهَا بِحِكْمَتِهِ، فِعْلَ الطَّبِيبِ الْمُجَرَّبِ
ويؤكد الأدب حبَّ الناس ابن تيمية ومكانته الاجتماعية، إذ ركَّز على يوم خروجه منفياً إلى مصر عقب فتواه في العقيدة الواسطية²، فعبر عما كان عليه الناس من خوفٍ وحزنٍ، وعن ازدحامهم لرؤيته بين بكاءٍ ووداع³.

وتجلَّت الصورة ذاتها يوم عودته إلى دمشق، إذ غمرت قلوب الناس الفرحة والسرور، فخرجوا يزفونه ويستقبلونه، فكانت عودته شفاء لهم بعد سقم، وارتواء بعد ظمأ، ويبالغ الأدب إذ جعل محبته تتعدى الإنس إلى الجماد، فاستبشرت الرياض، وتراقصت مظاهر الكون والطبيعة، فرحاً واشتياقاً وبهجةً، فقال أحدهم⁴:

(البيسط)

وَعَادَ مَنْ مِصرَ نَحْوَ الشَّامِ فِي دَعَاةٍ
فَحِينِ وَافِي دِمَشْقَ الشَّامِ مُحْتَرِزًا
رَوَى صَدَى مُهَجٍ قَدْ طَالَمَا ظَمِئَتْ
وَجَاءَنَا بَعْدَ يَأْسٍ مِثْلَ عَافِيَةٍ
وَلَا حَ شَمْسٍ عَلَى رَوْضٍ وَسَحَّ نَدَى
وَإخْضَرَ رَوْضُ الأَمَانِي ثُمَّ فَاحَ شَذَا
مُصَالِحًا، مُصَالِحًا مَا كَانَ قَدْ فَسَدَا
مِنْ حَلِّ عَقْدٍ وَدَادٍ لِلرُّوِي عَقْدَا
إِلَيْهِ شَوْقًا، وَجَلَّى لِلقُلُوبِ صَدَا
جَاءَتْ عَلِيًّا، فَلَمَّا لَابَسْتَهُ هَدَى
وَالشَّمْسُ عَادَتْهَا فِي الرُّوضِ رَفَعُ نَدَى
بَانَ الحَمَى، وَتَغَنَّى وَرُقَاهُ، وَشَدَا
مَسْرَّةً بِفَتَى مِنْ مِصرَ قَدْ وَرَدَا
وَصَقَّقَ النَّهْرُ، وَالْأَغْصَانُ قَدْ رَقِصَتْ

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 454. الكرمي: الكواكب الدرية، 74.

² وقد أشارت الدراسة سابقاً إلى ذلك، تحت عنوان أفعال أعداء ابن تيمية وخصومه. انظر: ص 142_143.

³ انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 40/14.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 557.

وَسُرَّ أَهْلُ التَّقَى مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ أَنْ عَادَ أَكْرَمَ مِمَّا كَانَ حِينَ بَدَأَ

وهناك مظاهر أخرى تدلّ على حبّ الناس للشيخ واحترامهم وتقديرهم له حتى بلغت يوم

وفاته¹، ويمكن تفصيله في الآتي:

أ_ جنازته

وقف الأدب طويلاً عند جنازة الشيخ ابن تيمية، التي كانت مظهراً دالاً على مكانته الاجتماعية ومحبة الناس له، فقد كان يوماً مهيباً حضره خلق كثير رجالاً ونساءً، شيوخاً وشباناً، وصورّ الأدب ازدحام الناس عليه، وخروجهم من جميع الأبواب، وامتلاء الجامع الأموي بالمصلين المودعين، وتفاوتت المصادر في ذكر عددهم، إلا أنها أجمعت أنهم كثر يتزاحمون حول جنازة الشيخ، وقد عبّر قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ عن ذلك، إذ وصفهم أمماً يصعب إحصاؤها، فقال²:

(الكامل)

وَهُمْ أُلُوفٌ، لَيْسَ يُحْصَى جَمْعُهُمْ إِلَّا إِلَهٌ غَافِرٌ سَاتَرَ

ومثله بدر الدين بن عز الدين المغيبي على ذلك، إذ قال مقسماً على ما رأى³:

(الكامل)

إِنَّ الَّذِي شَهِدُوا الصَّلَاةَ وَشَيعُوا وَاللَّهِ لَا تُحْصَى بِهِمُ الْأَقْلَامُ

وأكد ابن كثير ذلك، إذ صورّ عدم قدرتهم على السجود في الصلاة، بقوله: " والخلائق

فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها ما لا يحصى عدتهم إلا الله... وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوفٍ، بل مرصوصين رصاً لا يتمكن أحدٌ من السجود"⁴،

¹ ومن الجدير ذكره، أن هذا الجزء من الدراسة، الحديث عن جنازته، وأثره في الناس بعد فراقه، جاء التقديم والعرض بهما على نهج كتاب فن الرثاء، تحت عنوان " تصوير الحدث" ، ص 141 _ 166 .

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 459.

³ المصدر نفسه، 506.

⁴ ابن كثير: البداية والنهاية، 144/14.

ويؤكد البزار كثرة من صَلَّى عليه وشيَّعه، بما رآه بأَم عينه، إذ قال: " وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع، فأحببت أنْ أنظر إلى الناس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة، وجعلت أنظر يميناً وشمالاً ولا أرى أواخرهم، بل رأيت الناس قد طبَّقوا تلك الأرض كلّها"¹، وأكَّدت المصادر مشاركة أهل دمشق كافةً في الجنازة، من خلال تصويرها إغلاق جميع الأسواق، وتوجُّه أرباب الحرف والصناعات إلى التشييع والصلاة، حتى الذي لم يُشهد له بالتوجه إلى الصلاة، أسرع للصلاة على ابن تيمية، يتناوبون من كل فج عميق، من القرى والأطراف والأماكن والبلاد، مشاة وركبانا²، وعيَّر عن ذلك مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط، إذ صورَّ النَّاسَ بالجراد المنتشر لكثرتهم، في قوله³:

(الكامل)

وَالنَّاسُ أَمْثَالُ الْجَرَادِ، لَهُمْ عَلَى _____ تَابُوتٌ مِنْهُ تَهَافُتٌ وَدُورٌ

وصورَّ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف بابن الكوشة جنازة الشيخ ابن تيمية عرساً، حفَّه النَّاسُ أجمعون، فقال⁴:

(البيسط)

مَا إِنْ رَأَى النَّاسُ أَبْهَى مِنْ جَنَازَتِهِ لَمَّا اسْتَقَلَّتْ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَالْقِمَمِ
وَحَوْلَهُ وَهُوَ يُجَلَّى كَالْعُرُوسِ عَلَى سَرِيرِهِ أُمَّمٌ نَاهِيكَ مِنْ أُمَّمٍ

وشهد التبريزي في قصيدة أخرى أنَّ منظر جنازته أبلغ من الوصف، في قوله⁵:

(الكامل)

وَكَذَا جَنَازَتُهُ تَعَالَى اللَّهُ لَمْ يُنْظَرْ لَهَا فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرٌ

¹ البزار: الأعلام العلية، 74.

² انظر: ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 309/2. البزار: الأعلام العلية، 73-75. ابن كثير: البداية والنهاية، 142/14.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 470.

⁴ المصدر نفسه، 484.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 487.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهَا نَطَقَتْ عَلَى صَمْتٍ بِمَا هُوَ كَامِنٌ مَسْتَوْرٌ

ويأتي حال الجنازة خير شاهد على قول أحمد بن حنبل¹: "قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز"²، فإنَّ يومَ الجنائز آيةٌ عظيمةٌ بين المتجادلين والمتنازعين، وبين الحق والباطل، هذا ما توقف عنده جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بابن الخُصري، فبيِّن أنَّ حضورَ الجنازة وبكاء الناس ابن تيمية خير شاهد على عظيم الأثر الذي خلفه الشيخ في الناس، وقد استشهد بما ردَّده أحمد بن حنبل، في قوله³:

(الكامل)

وَسَمِعَ مَقَالََةَ أَحْمَدٍ مُتَوَعِّدًا أَعْدَاءَهُ: "يَوْمُ الْجَنَائِزِ بَيْنُنَا"
فَأَحَقُّ مَا يُبْكِي عَلَيْهِ فَقْدُهُ مَا مَوْتُ هَذَا الْحَبْرِ رُزْءًا هِينًا

وقرن البزار في سيرته جنازة الشيخ ابن تيمية بجنازة الإمام أحمد ابن حنبل، في قوله: "وقال العارفون بالنقل والتاريخ: لم يُسَمَّعَ في جنازة بمثل هذا الجمع إلاَّ جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه"⁴.

وذكرت المصادر الأدبية تنازع الناس على الماء والإناء الذي غُسلَ بهما الشيخ، ثمَّ على حاجاته الخاصة كالسرير والطاقيَّة وخيط الزئبق، وازدحامهم على ذلك، حتى بلغ بهم الأمر شراء أغراضه لاقتنائها تبركاً بها، وتجلَّى ذلك في قول ابن عبد الهادي: "وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة السدر الذي غُسلَ به. وقيل: إنَّ الطاقيَّة التي كانت على رأسه دُفِعَ فيها خمسمائة درهم. وقيل: إنَّ الخيط الذي فيه الزئبق، الذي كان في عنقه بسبب

¹ تقدمت ترجمته، انظر: ص 115، حاشية رقم، 5.

² ابن كثير: البداية والنهاية، 14/143.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 508. الكرمي: الكواكب الدرية، 203.

⁴ البزار: الأعلام العلية، 74.

القمل، دُفِعَ فِيهِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ دِرْهَمًا¹، وَ تَدَافَعُ النَّاسُ لِرُؤْيَيْهِ وَتَقْبِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يُوَارِيَ التُّرَى، وَتَمَسَّحُوا بِهِ وَأَلْقُوا مَنَادِيلَهُمْ وَعَمَائِمَهُمْ وَثِيَابَهُمْ عَلَيْهِ².

ب_ أثر وفاته في الناس ومظاهر الكون والطبيعة

تحدث الأدب عن أثر ابن تيمية في نفوس الناس، وغيرهم عقب وفاته، وتجلّى ذلك في المراثي التي قيلت فيه، فلقد صورّ الأدب موته كارثةً للأمة، هزّ مشاعرها، وزلزل وجدانها، تجلّى ذلك في قول مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط، إذ صورّ موت ابن تيمية طامةً كبرى، في قوله³:

(الخفيف)

يَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ كَانَ فِيهَا يَوْمٌ بِؤْسٍ فِي طُولِهِ فَوْقَ عَامِ
جَلَّ فِيهِ الْمَصَابُ، حَتَّى لَقَدْ دَقَّ تَعْيِيرُهُ عَلَى الْأَوْهَامِ

ويصف أمين الدين عبد الوهاب بن سلال الشافعي الناس وقد ذهلت عقولهم وأبدانهم من هول المصاب، فيقول⁴:

(الخفيف)

يَا لَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ طَاشَ فِيهَا كُلُّ لُبٍّ، وَتَقَشَّعِرُ الْجُودُ

وبيّن شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف ابن الكوشة أنّها كارثة عمت الأرض جميعها، فبددت النور، وازداد الظلام ظلاماً⁵، في قوله⁶:

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 446. البزار: الأعلام العلية، 73. ابن كثير: البداية والنهاية، 142/14. الكرمي: الكواكب الدرية، 176.

² انظر: ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 308/2. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 445. البزار: الأعلام العلية، 74. ابن كثير: البداية والنهاية، 141/14، 142. الكرمي: الكواكب الدرية، 177. اليعمري: "أجوبة ابن سيد الناس اليعمري": الجامع 189.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 472.

⁴ المصدر نفسه، 548.

⁵ انظر: عبد الرحيم رائد: فن الرثاء، ص 142.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 485.

(الكامل)

صبراً جميلاً فالمصائبُ كبيرٌ كادتُ جبالُ الأرضِ منه تمورُ
وجسيمُ خَطْبٍ قد عَرى كلَّ الورى فُقد الضياءَ وأظلمَ الديجورُ

وبالغ بدر الدين بن عز الدين المغيبي إذ عدَّ رحيله إيذاناً لقيامه الساعة وانتهاء الزمن¹،
الزمن¹، في قوله²:

(الكامل)

فكأنَّ أشراطَ القيامةِ قد دنتُ وانحلَّ من سَرَجِ الزَّمانِ حِزامُ

وصور الأدب مشاركة النساء في التشبيح، فانفتحت المصادر على حضور نساءٍ كثيرٍ، في
ضحيج وبكاء، وتأسفٍ وثناءٍ، بين الأزقة والأسواق، ومن فوق الأسطح³، الأمر الذي أثار تعجب
تعجب الأدباء، برز ذلك في قول مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط، إذ
صور كيف أن فراق الشيخ هناك على ربات الخدور سترهن، في قوله⁴:

(الكامل)

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَوْمَ وَفَاتِهِ يَبْدُو المَصُونُ وَتُهْتَكَ الأَسْتارُ
بَكَرَ النِّسَاءُ⁵ مِنَ السُّتُورِ ثَوَاكِلًا وَمِنَ الخُدُورِ النَّهْدُ الأَبْكارُ

ويصف عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الدمشقي، المعروف بالمتيم حال
النساء يومذاك بين حيرة وحزن أدمى أكبادهن، يفدن أسراباً أسراباً⁶، في قوله⁷:

¹ انظر: عبد الرحيم رائد: فن الرثاء، ص142

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 505. الكرمي: الكواكب الدرية، 210.

³ انظر: ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 308/2. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 406/2. ابن عبد الهادي: العقود
الدرية، 446. البزار: الأعلام العلية، 73. ابن كثير: البداية والنهاية، 142/14. ابن رجب: الذيل على طبقات
الحنابلة، 527/4. الكرمي: الكواكب الدرية، 176.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 470.

⁵ أشار في الهامش أنها وردت "بكرُ النساء". انظر: ابن عبد الهادي: العقود الدرية، ص470.

⁶ انظر: رائد عبد الرحيم: فن الرثاء، ص133-134.

⁷ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 532.

(الطويل)

وَأَمَّا النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ فَإِنَّهُنَّ خَرَجْنَ حَيَارَى فَوْجَةً بَعْدَ فَوْجَةٍ
وَمَعَهُنَّ أَبْكَارٌ تَحْجَبْنَ بِالتُّقَى يَنْحُنُّنَ بِأَكْبَادٍ عَلَيْكَ حَزِينَةً

ومن مظاهر الحزن على موت الشيخ، الدموع الغزار التي ذُرِفَتْ، يتجلى ذلك في قول قاسم ابن عبد الرحمن بن نصير المقرئ¹:

(الكامل)

وَالنَّاسُ مِنْ بَاكِ عَلَيْهِ بِحَسْرَةٍ وَدُمُوعُهُمْ فَوْقَ الْخُدُودِ غِزَارُ

وصور قاسم بن عبد الرحمن بن نصير المقرئ الدموع مطراً منهمراً، في قوله²:

(الكامل)

تَجْرِي لِعُظْمِ فِرَاقِهِ عَبْرَاتُنَا أَسْفًا عَلَيْهِ، كَأَنَّهَا أَمْطَارُ

وعبر مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط عن شدة المصاب، إذ صور العيون نضب ماؤها ألماً وقهراً، بقوله³:

(الطويل)

فَكَمْ مَقْلَةً جَفَّتْ جَمُودًا مِنَ الْأَسَى وَكَمْ مُهْجَةً سَالَتْ مِنَ الدَّمْعِ أَدْمَعَا

واستعاضت بعض العيون دموعها دماء، كما يبدو في قول تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي⁴:

(الطويل)

¹ المصدر نفسه، 459.

² المصدر نفسه، 457.

³ المصدر نفسه، 475.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 513. الكرمي: الكواكب الدرية، 213.

عَلَى مِثْلِكَ الْآنَ الْمَرَاثِي مُبَاحَةً وَإِنْ غَاضَ دَمْعِي فَالِدَمَاءُ تَمُدُّهُ

وَصَوْرَ الشَّعْرِ أَصْوَاتِ النَّاسِ فِي الْبُكَاءِ وَقَدْ عُلَّتْ وَضَجَّتْ بِهَا الْمَحَافِلُ، وَخَصَّ أَهْلَ

دَمَشَقٍ مَوْطِنَ الشَّيْخِ وَمَحَلَّ إِقَامَتِهِ، كَمَا تَجَلَّى ذَلِكَ فِي قَوْلِ عِلَاءِ الدِّينِ ابْنِ غَانِمٍ¹:

(الْخَفِيفُ)

كُلُّ مَنْ فِي دَمَشَقٍ نَاحَ عَلَيْهِ بِبُكَاءٍ، مِنْ شِدَّةِ الْآلَامِ

وَقَرْنَ مَجِيرَ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَغْدَادِيِّ الْخَيْطِاطِ نَوَاحِ النِّسَاءِ بِنَوَاحِ الْحَمَامِ

حَزْناً عَلَى الْغَصَنِ، بِقَوْلِهِ²:

(الْخَفِيفُ)

وَالْبَوَاكِي لَهُمْ عَلَيْهِ نَوَاحٍ كَفَقِيدَاتِ صَادِحَاتِ الْحَمَامِ

وَيَسْتَحْضِرُ زَيْنَ الدِّينِ عَمَرَ بْنَ الْحَسَامِ بْنِ الشَّيْبَلِيِّ الرَّثَاءَ الْأَكْثَرَ بِرُوزاً فِي الْأَدَبِ؛ وَهُوَ

رِثَاءُ الْخُنْسَاءِ لِأَخِيهَا صَخْرٍ، إِذْ يَبِينُ أَنَّ حَزْنَهُ عَلَى الشَّيْخِ يَفُوقُ حَزْنَ الْخُنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ³، إِذْ

قَالَ⁴:

(الْكَامِلُ)

لَوْ كَانَ يُقْتَنِي عَلَيْكَ بُكَائِي لَجَرَّتْ سَوَابِقُ عِبْرَتِي بِدَمَاءِ

وَكُنْتُ فِي يَوْمِ انْتِقَالِكَ لِلْبَأْسِ صَخْرًا لَزِدْتُ عَلَى بُكَاءِ الْخُنْسَاءِ

لَكِنْ أَصْبِرُ عَنْكَ نَفْسِي كَاتِمًا لِلْحَزَنِ خَوْفَ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ

وَبَرَزَتْ تِلْكَ النِّزَعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي سَيْطَرَّتْ عَلَى النَّاسِ، وَتَجَاوَزَتْ صَلَةَ الدَّمِ

وَالنِّسْبِ فِي النَّثْرِ أَيْضًا، تَجَلَّى ذَلِكَ فِي الْحَادِثَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي رِسَالَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدٍ فِي الثَّنَاءِ

عَلَى الشَّيْخِ، يَقْصُ أَنْهُ شَهِدَ بِأَمِّ عَيْنِهِ حِينَ سَافَرَ إِلَى دَمَشَقٍ لِرُؤْيَا الشَّيْخِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ،

¹ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 464. الكرمي: الكواكب الدرية، 192. الصفدي: الوافي بالوفيات، 328/4. أعيان العصر، 249/1.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 471.

³ انظر: عبد الرحيم رائد: فن الرثاء، ص144.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 492. الكرمي: الكواكب الدرية، 199.

إلَّا أَنْ خَبِرَ وَفَاتَهُ وَافَاهُ قَبْلَ وَصُولِهِ، فَمَا حَطَّتْ قَدَمَاهُ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَلَ بِمَا رَأَاهُ مِنْ شِدَّةِ حَزْنِ النَّاسِ عَلَى فِرَاقِهِ، وَقَدْ طَالَ حَزْنُ الْأَخِ عَلَى أَخِيهِ، وَالْأَبِ عَلَى فَلْذَةِ كَبْدِهِ، بِقَوْلِهِ: " وَجَدْتُ عَلَيْهِ مَا لَا يَجِدُهُ الْأَخُ عَلَى شَقِيقِهِ – وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ – بَلْ وَلَا الْوَالِدُ الثَّائِلُ عَلَى وَلَدِهِ"¹، وَكَشَفَ عَنِ عَظْمِ الْمَصَابِ، وَعَنْ مَشَاعِرِهِ بِخَبَرِ وَفَاتِهِ، وَقَدْ نَفَى تَسْرِبَ الْحَزْنِ إِلَى قَلْبِهِ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ قَرِيبٍ كَمَوْتِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَأَكَّدَ تَجَدُّدَ حَزْنِهِ وَمَشَاعِرِهِ حَالَ تَذَكُّرِهِ، وَاسْتَشْهَدَ بِفَيْضِ أَدْمَعِهِ وَهُوَ يَخْطُ رِسَالَتَهُ؛ بِقَوْلِهِ: " وَمَا دَخَلَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزْنِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْوَالِدِ وَالْأَقْرَابِ وَالْإِخْوَانِ، وَلَا تَخِيلَتُهُ قَطُّ فِي نَفْسِي وَلَا تَمَثَّلَتُهُ قَلْبِي، إِلَّا وَيَتَجَدَّدُ لِي حَزْنٌ قَدِيمُهُ كَأَنَّهُ مُحَدَّثٌ، وَوَاللَّهِ مَا كَتَبْتُهَا إِلَّا وَأَدْمَعِي تَتَسَاقَطُ عِنْدَ ذِكْرِهِ أَسْفًا عَلَى فِرَاقِهِ وَعَدَمِ مَلَاقَاتِهِ"².

وَوَقَّفَ الْأَدَبُ أَيْضًا عِنْدَ مَظَاهِرِ الْكُونِ وَالطَّبِيعَةِ، إِذْ أَكَّدَ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَفْتَصِرْ عَلَى الْبَشَرِ، فَقَدْ صَوَّرَ حَزْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالشَّمْسِ وَالسَّحَابِ، وَالسَّهُولِ وَالْجِبَالِ، وَفَجَّعَتَهَا لِفِرَاقِ الشَّيْخِ، فَصَوَّرَ بَدْرَ الدِّينِ الْمَغِيثِيَّ بِكَاءِ السَّمَاءِ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ يَوْمَ فِرَاقِهِ، وَمَجِيءِ الْأَمْطَارِ فِي غَيْرِ مِيعَادِ، حَتَّى الْأَرْضِ الْجَلِيدِيَّةَ أَلْبَسَهَا الْوَحْشَةَ، وَأَذْرَفَهَا دُمُوعَ الْحَسْرَةِ، فِي قَوْلِهِ³:

(الكامل)

وَبَكَتْ بِعَبْرَتِهَا السَّمَاءُ، فَأَمْطَرَتْ فِي غَيْرِ فَصْلِ تَسْمَحِ الْأَعْوَامِ
وَبَكَتْ لَهُ الْأَرْضُ الْجَلِيدَةُ بَعْدَمَا أَضْحَى عَلَيْهَا وَحْشَةً وَقَتَامِ

وَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي قَوْلِ شَهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَنْوَشِرَوَانَ التَّبْرِيْزِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْكُوشْتِ⁴:

(الطويل)

إِمَامٌ، بَكَتَهُ أَرْضُهُ وَسَمَاوُهُ بُكَاءَ حَازِنِينَ، حَزْنُهُ مُتَابِعُ

¹ ابن حامد عبد الله: رسالة من عبد الله بن حامد أحد علماء الشافعية إلى أبي عبد الله في التثناء على شيخ الإسلام: الجامع، 243.

² ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 243.

³ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 501. الكرمي: الكواكب الدرية، 207.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 488.

وجسّد شمس الدين الحنبلي السهول والجبال فجعلها باكية نادية، وصورّ الشمس وقد أدركها الكسوف عقب وفاة الشيخ، إذ قال¹:

(البسيط)

واعلم بأنّ السما والأرضَ باكيةً على ابن تيمية، والسهلُ والجبلُ
كأنّما الشمسُ في جوِّ السما كُسِفَتْ وضوؤها بآئنٍ عنها ومُنْقَصِلُ

وأكدّ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أنوشروان التبريزي، المعروف بابن الكوشت غياب الشمس والقمر، وظلام الشام، في قوله²:

(الكامل)

أفلت شموسُ المكرّمات وأظلمَ الشُّـ شامُ المنيرُ وزالَ عنه النورُ
وقوله في قصيدة أخرى³:

(الطويل)

وقدّ غابَ غابَ البدرُ عنه، ولم يثِم لشائمه برقٌ على الشامِ لامِعُ

وصورّ الشعر بكاء البلاد حزناً على فراق الشيخ ابن تيمية، في قول قاسم بن عبد الرحمن ابن نصير المقرئ⁴:

(الكامل)

وبكى الشّامُ ومُدُنُهُ وبقاعُهُ لَمَّا مضى، وكذلك الأمصارُ

وصورّ تقي الدين محمود بن علي بن مقبل الدقوقي حرقه الكلام بعد فراق الشيخ، ببكائه وتعداد فضائله، فقال⁵:

¹ المصدر نفسه، 581، 582.

² المصدر نفسه، 486.

³ المصدر نفسه، 489.

⁴ المصدر نفسه، 459.

⁵ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 511، 510. الكرمي: الكواكب الدرية، 211.

(الطويل)

بَكَتَهُ بِلَادُ الشَّامِ طُرّاً وَأَهْلُهَا وَجَامِعُهَا وَانْمَاعٌ¹ لِلْحَزَنِ صَانِدُهُ²
وَيَبْكِي لَهَا نَوْعُ الْكَلَامِ وَجِنْسُهُ وَيَتَدَبُّهُ فَصْلُ الْخِطَابِ وَحَدُّهُ

وصور الدقوقي في قصيدة أخرى كيف أنّ الفنون البلاغية والأدبية أقفلت يوم وفاته، وأبت الاستجابة للإفصاح عن مشاعره، فكان الدمع والدم خير مداد خطّ به عقده، ويصور هنا الدموع الممتزجة بلون الدم حرقةً وألماً³، في قوله⁴:

(الكامل)

وَلَقَدْ دَعَوْتُ الشَّعْرَ يَوْمَ نَعِيَّتِهِ فَأَبَى عَلَيَّ، فَلَمْ أَطِقْ أَتَكَلِّمُ
أَنْبَى يُجِيبُ وَمِنْ لَوَازِمِ حَقِّهِ أَنْ لَا يُجِيبَ وَفَكَرُهُ مُتَقَسِّمُ
وَأَخَذْتُ أَكْتُبُ مَا أَقُولُ وَأَدْمَعِي بَيْنَ السُّطُورِ كَعَقْدِ دُرٍّ يُنْظَمُ
نَفِذَ الْمِدَادِ فَسَاعَدْتُهُ مَدَامِعِي فَعَصَى عَلَيَّ فَسَاعَدَ الدَّمْعَ الدَّمُ
حَالَ الْمِدَادِ عَنِ السُّوَادِ كَأَنَّهُ دَمْعُ الْمَحَاجِمِ صُبَّ فِيهِ الْعَنْدَمُ⁵
مُذْمَاتِ نَاصِرِهِ الَّذِي أَوْصَافُهُ أَبَدًا تَكُونُ عَلَيَّ سِوَاهُ حَرَامُ

تـ صورته في الوجدان الشعبي

كان للشيخ ابن تيمية حضور في الوجدان الشعبي، فقد سردت عنه الحكايات والمنامات الدالة على كراماته وصلاحه، وهي تجسد بمجموعها مكانته في نفوس الناس، ودوره في مجتمعه، وقد عبّر الأدب عن ذلك، فهذا البرّار يخصص في كتابه "الأعلام العلية" ست صفحات للحديث عن ذلك، ومما ذكره أنّ الشيخ أحمد بن الحرّيمي⁶ سافر إلى دمشق، ولم يملك

¹ انماع: ماع الشيء: ذاب وسال. ابن منظور: لسان العرب، مادة "مiec".

² صلده: الصلب الشديد. ابن منظور: لسان العرب، مادة "صلد".

³ انظر: عبد الرحيم رائد: فن الرثاء، ص 144.

⁴ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 522.

⁵ العندم: دم الأخوين، وقيل هو شجر أحمر، وقال بعضهم: دم الغزال. ابن منظور: لسان العرب، مادة "عندم".

⁶ لم أعثر على ترجمة له.

يملك من المال شيئاً، أخذ يتجول في شوارعها وأزقتها حائراً، فإذا بشيخ أقبل عليه مسلماً، وقدّم له صرةً فيها من الدراهم ما يكفيه، قائلاً له: انفق هذه الآن فيما أنت فيه، وتبين له بعد سؤاله الناس مَنْ الشيخ؟ أنه ابن تيمية، ووضح الحريمي أنّ مراده من زيارة دمشق، رؤية الشيخ ابن تيمية والسلام عليه¹؛ فهذه القصة تظهر حرص الشيخ الحريمي على رؤية ابن تيمية والسلام عليه، وتظهر أيضاً أنّ الناس لم يتوقعوا أحدًا غيره ربما فعل ذلك، وهذا يكشف عن المساحة التي يستوطن بها قلوبهم ومشاعرهم.

وتجلّت صور أخرى للشيخ في الوجدان الشعبي، منها اعتقاد الناس أنه يملك قدرة على إبراء المرضى ببركته، ودعائه لهم، فهذا الشيخ عثمان بن أحمد بن عيسى النسّاج²، يقول: إنّ الشيخ ابن تيمية كان يتردد كل يوم على المرضى بدمشق، وذات يوم دنا من شاب مريض، ودعا له فشفي³، ويقصّ أحد الثقات حادثةً أخرى جرت معه في دمشق، تفيد أنه مرّض مرضاً شديداً، حتى بات متقلاً بالحمى والمرض ولا يستطيع الجلوس، فزاره الشيخ ابن تيمية، وقال له: جاءت العافية، فعوفي ذلك الرجل⁴، فهذه إشارات تدلّ وصول الناس به حد التقديس والهوس، ويسرد البزار أمثلة أخرى تدلّ على ما سبق، ويؤكد أنّ ما جاء به بعض ما شاهده، وانتهى إليه من أهل الثقة، وأنّ له كرامات كثيرة لا يفي الكتاب بذكرها كافة⁵.

وصور الشعراء كرامة الشيخ وحضوره الشعبي، فهذا الشاعر مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي الخياط عبّر عن كثرة هذه الكرامات، وعن صعوبة الإحاطة بها، إذ قال⁶:

(الطويل)

¹ انظر: البزار: الأعلام العلية، 54.

² لم أعثر على ترجمة له.

³ انظر: البزار: الأعلام العلية، 56، 57.

⁴ البزار: الأعلام العلية، 55. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/ 343. المقريزي: المقفى الكبير، 1/ 470. الكرمي: الكواكب الدرية، 89.

⁵ انظر: البزار: الأعلام العلية، 53_58.

⁶ ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 477.

وَكَمْ مِنْ كَرَامَاتٍ لَهُ وَمَنَاقِبٍ يَضِيقُ بِهَا وَسْعُ الزَّمَانِ تَوْسَعًا

ويصور سعد الدين سعد الله بن بختيار أثر هذه الكرامات وشهرتها بضوء الشمس ونور القمر على سطح الأرض، إذ قال¹:

(البسيط)

وَكَمْ لَهُ مِنْ كَرَامَاتٍ مُبَيَّنَةٍ سَنَّاوَاهَا كَضِيَاءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وقصد الناس قبره بغرض التبرك به بعد دفنه، لاعتقادهم أنه من أولياء الله، مع أن الشيخ ابن تيمية نهى قبل وفاته عن زيارة القبور بقصد التبرك والتوسل والاستشفاء، لكن خير دليل على عظمته في النفوس وعلى حب الناس له، واعتقادهم به، يتجلى ذلك في قول علي بن عبد الكريم ابن الشيخ سراج الدين البغدادي²، قال: " كنت شابًا، وكانت لي بنت حصل لها رمد. وكان لنا اعتقاد في ابن تيمية، وكان صاحب والدي، ويأتي إلينا ويزور والدي، فقلت في نفسي: لآخذن من تراب قبر ابن تيمية فلأكلها به، فإنه طال رمدها، ولم يفد فيها الكحل، فجننت إلى القبر، فوجدت بغداديًا قد جمع من التراب صررًا، فقلت: ما تصنع بهذا؟ قال: أخذته لوجع الرمد أكحل به أولادًا لي، فقلت وهل ينفع ذلك؟ فقال: نعم. وذكر أنه جرّبه، فازددت يقينًا فيما كنت أقصده، فأخذت منه، فكحلته وهي نائمة، فبرأت"³.

وتقف المنامات شاهدًا آخر على تغلغله في الثقافة الشعبية، فيذكر خادمه الغياني عن ابن تيمية منامًا، لرجل يقال له الشيخ عليّ الفراء، وقد رأى فيه الشيخ راكبًا سفينة ومعه جماعة يسيرة، ويقول: النجاء النجاء، وسط بحر أسود اللون يتغلغل في حارات المدينة جميعها، ويغلي تمامًا كالقدر على النار، ورأى السلطان سنقر يركب فيلاً ومعه ابن مخلوف والشيخ نصر، ويعترض طريق الشيخ، ويقول الرائي أنه سأل الشيخ ابن تيمية كيف لنا الخلاص يا شيخنا من

¹ المصدر نفسه، 571.

² لم أعر على ترجمة له.

³ ابن ناصر الدمشقي: الرد الوافر، 129_130.

هذا الكدر ومن هذا الفيل؟ فقرأ الشيخ ابن تيمية عليه قوله تعالى: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" ¹ إلى آخر الآيات، وينتهي المنام بنجاة السفينة، وتوجهها للبحر ².

وتذكر كتب التاريخ والأدب أنه لم يزل حياً حتى بعد وفاته في أحلام الناس ورؤاهم، فقد شهد ابن الجزري وابن الوردي وابن فضل العمري وغيرهم أن الناس باتوا على قبره ليالي عديدة، ولهم فيه منامات كثيرة ³.

هكذا عبّر الأدب عن خلجات الأدباء والناس على السواء، فبيّن أنهم بكوا بدموع سجام، وبحرارة محرقة، واستكمل الأدب صورة الحزن ومقوماتها على فقد ابن تيمية فوصف مشاركة النساء، باكيات نائحات، ثياب وأبكاراً، والطبيعة بأكملها من حوله السماء والأرض، والجبل والسهل، والشمس والبدر، وأكدّ معزته على الشام والأمصار، إلّا أنّ الثغر الأوسع تجلّى في الصورة الدينية، وحسرة المصلى والمنبر، ومشاركة هذه المظاهر جميعاً توحى بعظم المصاب، وقد عزّى الأدباء أنفسهم بحسن ختامه وعظم جنازه، وخلود ذكره. ولما تعددت أحاسيسهم بألم الفراق والشعور بالحزن والتفجع بالمصاب، اتخذ رثاؤهم صوراً عدة تمثلت بالندب والتأبين والعزاء، وقد استأثر هذا الجانب مساحة كبيرة من قصائدهم، فرتوه بأجمل الأشعار وأجلّ المعاني ⁴.

الخاتمة

بعد دراسة صورة ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول، لا بدّ من الوقوف عند أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي على النحو الآتي: -

¹ سورة الفيل، آية 1

² الغياني: "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الأحجار": الجامع، 148.

³ انظر: ابن الجزري: تاريخ حوادث الزمان، 2/309. ابن عبد الهادي: العقود الدرية، 446. ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 2/406. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 5/343. ابن كثير: البداية والنهاية، 14/142.

⁴ انظر: عبد الرحيم، رائد: فن الرثاء، ص 116_166.

- كشفت الدّراسة أنّ الأدب يقف جنباً إلى جنب التاريخ في الكشف عن حياة ابن تيمية وتجليّاتها الدينية والعلمية والاجتماعية، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ حضور ابن تيمية في النتاج الأدبيّ الذي كتبه أدياء العصر المملوكي الأول لا يمكن إغفاله أولاً، وشكّل حلقة تركت أثراً كبيراً في إعطاء صورة شاملة عن ابن تيمية و أحواله في المجالات المختلفة السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية التي أحاطت به.

- قد تنوعت الفنون الأدبية التي تناولت ابن تيمية بين الشعر والنثر، فعلى الصعيد الشعري كان صداه بين غرضي المديح والرثاء، وتعددت الفنون النثرية بين سير غيرية، ورسائل ورحلات وفن نثري، وتجدر الإشارة إلى أنّ إسهامات الأدياء الشعرية والنثرية التي ألفت الضوء على ابن تيمية وحياته، استحوذت على موضوع الرثاء، فقد أنشؤوا غالبية أدبهم في ابن تيمية وكانوا شغوفين في إشباع انفعالهم وشعورهم الوجدانيّ عقب مفارقتة الحياة الدنيا، فبكوه بكاءً مرّاً، وصوّروا أثر رحيله عليهم، وعلى مظاهر الطبيعة كافةً من حولهم.

- بيّنت الدّراسة أنّ الشيخ ابن تيمية كان المثل الأعلى في الأخلاق الفاضلة وتجسيدها، فكان مضرب المثل في الكرم، فقد شهدت له المصادر بكرمه وعطائه الذي فاق به حاتم الطائي، ورسمت له صوراً عديدةً، منها البحر والسحب. وكان الأسد في الشجاعة، فتجلّت شجاعته في تصديّه للمغول، وانتصاره عليهم، وكان لذلك عظيم الأثر في صفوف المجاهدين والمحاربين أولاً، والمسلمين بشكل عام، فصوّروه بطلاً يخوض غمار المعارك، يذود عن حمى الإسلام والمسلمين، وأكّدت الدّراسة أنّه من الأعلام الذين حملوا راية الحق وانتصّبوا له، مدافعاً غير مساوم، ولا منازع ولا خاضع إلاّ لقول الله ورسوله، فدوى ذكره خالداً في الأدب. وكان رحمه الله النموذج في التواضع، وحسن تعامله مع الكبير والصغير، والرجال والنساء، والعالم والجاهل، واتسامه بالبشر والابتسام في كل الأحوال، وشهدت الدّراسة بحلمه ومسامحته حتى مع خصومه، فلم يكن نفاقاً ولا حاقداً، ولا مغتاباً، محباً ومقدراً للجميع، وأنّ حبّه لله ولرسوله، وغضبه من أجل الله تعالى.

- ظهرت صورة ابن تيمية الدينية في الأدب بجلاء، وكانت عبادته في طليعة هذه الصورة، وتجلت في تمسكه بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، قولاً وعملاً، وأداء الفرائض والتقرب إلى الله بالطاعات والعبادات، وأبانت عن سيره على خطى السلف الصالح، وجهاده العدو والملوك الطغاة، وأهل البدع والأهواء، وشهدت بزهده وورعه، وترفعه عن الدنيا ومالها ومناصبها وجلّ نعيمها ابتغاء وجه الله، وسلطت الضوء على حبّ الله له بتأييده في غير حادثة ونصرته، وحفظه من مكر الماكرين.

- كشفت الدّراسة أنّ ابن تيميّة قد أحاط إحاطةً شاملةً بأصناف العلوم وألوان المعرفة، فسوّره الأدب بحراً متضارب الأمواج، وجبلاً راسخاً في علومه، إلاّ أنّ دراسته للقرآن الكريم وتفسيره، والحديث وعلوم السنة وأقوال الصحابة والتابعين كانت أشبه ما تكون بالشمس الساطعة في حياته، فكانت خير زادٍ له في الدارين، وأقوى سلاحٍ وعتادٍ خاض بها معاركه مع خصومه وحاسديه. وأكّدت الدّراسة حرصَ الشيخ على حضور مجالس العلم، وتردده عليها منذ صغره، وأكّدت حرص الناس بعامة، وأهل الفرق والمذاهب بخاصة على حضور دروس ابن تيمية ومجالسه العلمية، والتخلّق حوله للإفادة منه. ووقف الأدب على أهمية هذه المجالس في حياة أبناء مجتمعه، وعدّدت الفنون الأدبية الألقاب التي لُقّب بها الشيخ، والتي تدل على مكانته العلمية والدينية والاجتماعية؛ ومنها حجة زمانه، وإمام عصره، ومجدد قرنه والمتمم للإمام أحمد بن حنبل. وصوّرت المصادر الأدبية قدرة الشيخ العلمية على مواجهة الفرق والطوائف الأخرى بالحجة والدليل، والإجابة عن كافة الأسئلة والاستفسارات التي كانت تفد إليه، وتوضيح الحكم فيها.

- حظيت الصورة الرابعة والأخيرة، الصورة الاجتماعية بنصيب الأسد من بين صور ابن تيمية في أدب العصر المملوكي الأول، فأكّدت المصادر الأدبية أنّه لا يمكن إغفال حضور أقران ابن تيمية من خصوم ومحبين بوصفهم مكوناً مهماً من حياته، فكان لخصومه من قضاة وعلماء وفقهاء ورجال سياسية في عصره بروز في كافة سني حياته، وقد تعددت صور حضورهم تبعاً لتعدد مساعيهم وأفعالهم وحيلهم، وتتبعّت الدّراسة هذه الأفعال والحيل بدءاً من

الدسائس والافتراء، والتشهير والتهديد، إلى السجن ووفاته في ظلماته. ووقف الأدب أيضاً عند ردة فعل الشيخ تجاه خصومه وأفعالهم، فبين سلامة قلبه من الكيد والحقد الذي نهش أكبادهم، وصوّر صبره ورضاه بقضاء الله وقدره، وابتهاجه وفرحه بالسجن، واتخاذة السجن مستقراً وأمناً لمناجاة حبيبه، والخلوة به، وأظهر الأدب أيضاً موقف الأديباء من أفعال الخصوم ومساعدتهم، فقد آزرُوا الشيخ ومكانته، وتعجبوا من حيل الخصوم وسخروا منها وأنكروها، وأعادوها لكيدهم وغبطهم، وحسدتهم وجهلهم.

- أكدت الصورة الاجتماعية أنّ الشيخ كان روح الحياة لعصره، فصوّرهُ الأدب شمساً ساطعة، وقمرًا منيرًا، وطبيباً مداوياً، وأجمعت الصورة الأدبية على تفجّع الناس لوفاته، وكشفت عن مشاركة أهل دمشق كافة في جنازته وتشيعه، رجالاً ونساءً، ثياباً وأبكاراً، وأسهبّت في الحديث عن وطأة ذلك عليهم وعلى مظاهر الكون والطبيعة، والأماكن الدينية، وصوّر انعدام صبرها حباً وألمًا، وعلى الرغم من وفاته إلا أنّ الشيخ لم يزل حيّاً في الوجدان الشعبي لدى الناس، وفي مناماتهم وحكاياتهم.

والحمدُ لله ربّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم.

الآلوسي البغدادي، نعمان خير الدين (ت 1317هـ): جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

الأعلمي، محمد حسين الشيخ سليمان (ت 1394هـ): دائرة المعارف المُسمّاة بمقتبس الأثر ومُجدّد ما دثر، ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1972م/1374هـ.

الأمين، محسن (ت 1371هـ): أعيان الشيعة، حققه وأخرجه واستدرك عليه: حسن الأمين، (د.ط)، بيروت: دار التعارف، 1986م.

البحثري: ديوان البحثري، شرحه وعلّق عليه الدكتور محمد التونجي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994م.

البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف علم الدين (ت 739هـ): المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2006م.

البزّار، عمر بن علي (ت 749هـ): الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، حققه صلاح الدين المنجد، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1976م.

البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت: مكتبة المثني، 1951م.

ابن بطوطة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت 779هـ): رحلة ابن بطوطة (المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار)، حققه وقدم له وعلّق عليه الدكتور علي المنتصر الكتاني، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1797م.

التبريزي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب (ت741هـ): **مشكاة المصابيح**، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط1، بيروت: دار الفكر، 1990م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت275هـ): **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، الجزء الثاني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (د.ط.)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

الجزء الرابع، تحقيق كمال يوسف الحوت، (د.ط.)، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

ابن تغردى بردى، جمال الدين يوسف أبو المحاسن (ت874هـ):

• **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، الجزء الأول و الجزء الثاني، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، (د.ط.)، القاهرة: الهيئة المصرية، 1984م.

الجزء الخامس، حققه ووضع حواشيه دكتور نبيل محمد عبد العزيز، (د.ط.)، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، 1988م.

• **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، (د.ط.)، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية، (د.ط.).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ):

• **مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار إحياء (د.ط.)، دار الكتب العربية، (د.ت).

• **مقدمة درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول**، ط1، تحقيق: محمد رشاد سالم، 1991م.

• **مقدمة منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق محمد رشاد سالم، ط1، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1986م.

- مقدمة الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط2، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، 1991م.
- مقدمة شرح الأصبهانية، تحقيق محمد بن عودة السعودي، ط1، الرياض: دار المنهاج، 2010م.
- ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبكر (ت738هـ): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بتاريخ ابن الجزري، اعتنى بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1998م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ): مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ط1، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973م.
- ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت779): تذكرة النبيه في دولة المنصور وبنيه، حققه ووضع حواشيه دكتور محمد أمين، راجعه دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة، 1982، ج2، 185_188.
- ابن الحجاج مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ): صحيح مسلم، الجزء الأول، والثالث، ط1، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، 1955م.
- الجزء الثاني، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- ابن حنبل، أحمد (ت241هـ): مسند أحمد، ط2، المكتب الإسلامي_ بيروت، 1978م.
- الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس (ت930هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية، 1982م.
- أبو حيان النحوي، محمد بن يوسف علي الأندلسي (ت745هـ): تفسير البحر المحيط، ط2، دمشق: دار الفكر، 1978م.

ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ): **وفيات الأعيان**
و**أنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (د.ط.)، بيروت: دار الثقافة، (د.ت).

الدَّوَاداري، أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت736 هـ) : **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق هانس
روبرت رويمر، (د.ط.)، القاهرة: المعهد الألماني للآثار، 1960م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275 هـ):

• **سنن أبي داود**، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت، ط1، بيروت: دار الجنان
ومؤسسة الكتب الثقافية، 1988م.

• **سنن أبي داود**، مراجعة وضبط وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط.)، دار
الفكر، باب ما يذكر في قرن المائة، (د.ت).

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: (ت748هـ):

• **تاريخ الإسلام**، الجزء الخامس عشر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت:
دار الكتاب العربي، 1993م.

الجزء الرابع والعشرون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب
العربي، 1992م.

الجزء التاسع والأربعون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب
العربي، 1999م.

الجزء الخمسون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب
العربي، 1999م.

الجزء الواحد والخمسون، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب
العربي، 2000م.

الجزء الثاني والخمسون، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2003م.

• ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية للمؤرخ الحافظ الذهبي، تحقيق: خالد بن سليمان بن علي الربيعي، ط1، بيروت: دار الرسالة العالمية، 2013م.

• ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به مازن بن سالم باوزير، (د.ط)، الرياض: دار المغني، (د.ت).

• سير أعلام النبلاء، الجزء الرابع، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: مأمون الصاغرجي، ط10، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994م.

الجزء السادس، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: حسين الأسد، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982م.

الجزء الثامن، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: نذير حمدان، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990م.

الجزء العاشر، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: محمد نعيم العرقسوسي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982م.

الجزء الرابع عشر، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، وحقق هذا الجزء: أكرم البوشي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م.

• العبر في ذكر من خبر، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط)، لبنان: دار الكتب العلمية، (د.ت).

• معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

- **المعجم المختص (بالمحدثين)**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، المملكة العربية السعودية، الطائف: مكتبة الصديق، 1988م.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د.ط.)، بيروت: دار المعرفة، 1382هـ — 1963م.
- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (ت 795هـ): **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن بن علي العثيمين، ط1، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 2005م.
- السُّبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين (ت 771هـ): **طبقات الشافعية الكبرى**، ط2، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).
- ابن السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ):
- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (د.ط.)، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).
- **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ): **بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1979م.
- ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل (ت 920هـ): **نيل الأمل في ذيل الدول**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2002م.
- شريف، يحيى الأمين: **معجم الألفاظ المُنْتَاة**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ): **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، (د.ط.)، بيروت: دار المعرفة، 1982م.

الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،
(د.ط)،بيروت: دار المعرفة،(د.ت).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت764هـ):

• أعيان العصر وأعوان النصر، حققه علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد،
محمود سالم محمد، قدم له مازن عبد القادر المبارك، ط1، بيروت: دار الفكر، دمشق:
دار الفكر، 1998م.

• الوافي بالوفيات، الجزء الأول، باعتهاء هلموت ريتز ، ط 2، يطلب من دار النشر
فرانز شتايز بفيسادن ، 1962م.

الجزء الثاني و الجزء الرابع، والجزء الرابع عشر، باعتهاء:س. ديدرينغ، ط2، يطلب
من دار النشر فرانز شتايز بفيسادن، 1974م.

الجزء الثالث، باعتهاء:س. ديدرينغ، ط2، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بفيسادن،
1991م.

الجزء السادس، باعتهاء:س. ديدرينغ، ط3، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسادن، 1991م.

الجزء الثامن، باعتهاء محمد يوسف نجم، ط 2، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسادن، 1982م.

الجزء العاشر، باعتهاء جاكلين سوبله وعلي عمارة، (د.ط) ، يطلب من دار النشر فرانز
شتايز بفيسادن، 1991م.

الجزء الثالث عشر، اعتهاء محمد الحجيري، ط2، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسادن، 1991م.

الجزء الخامس عشر، باعتناء بيراند راتكه، ط2، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسبادن، 1991م.

الجزء الثامن عشر، باعتناء أيمن فؤاد سيد، ط2، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسبادن، 1991م.

الجزء التاسع عشر، باعتناء رضوان السيد، (د.ط)، يطلب من دار النشر فرانز شتايز
بفيسبادن، 1993م.

الجزء الثاني والعشرون، باعتناء رمزي بعلبكي، ط2، يطلب من دار النشر فرانز
شتايز بفيسبادن، 1991م.

الطباخ، محمد راغب: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه محمد كمال، ط2،
دمشق: دار القلم العربي، 1989م .

ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أبو عمر أحمد بن محمد (ت328هـ): العقد الفريد، شرحه
وضبطه وصححه و عنون موضوعاته ورتب فهرسه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم
الأبياري، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، 1385هـ _ 1965م.

ابن عبد الرحمن العثماني القرشي محمد (ت800هـ): طبقات الفقهاء الكبري، حققه وعلق عليه:
محيي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: شركة دار البشائر الإسلامية، 2013م.

ابن عبد القادر التميمي الداري، تقي الدين (ت1005هـ): الطبقات السنّية في تراجم الحنفيّة،
تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، الرياض: دار الرفاعي، 1983م.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (ت744هـ) : العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام
ابن تيمية، (د.ط)، تحقيق علي بن محمد العمران، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، (د.ت) .

ابن عبد الهادي، يوسف: **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، تحقيق: محمد أسعد طلس، المعهد الفرنسي بدمشق، بيروت: مكتبة لبنان، 1975م.

العثيمين، محمد بن صالح: **شرح العقيدة الواسطية**، خرّج أحاديثه واعتنى به سعد بن فواز الصميل، ط6، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي (ت571هـ): **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمروي، (د.ط) بيروت: دار الفكر، ج2، 1995.

العسقلاني، شهاب الدين أحمد ابن حجر (ت852 هـ—):

- **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.
- **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، حققه وقدم له ووضع فهرسه محمد سيد جاد الحق، ط2، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1966م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089 هـ—): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط2، بيروت: دار المسيرة، 1979م.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود (ت732هـ—): **المختصر في أخبار البشر**، ط1، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت749هـ—): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، أشرف على تحقيق الموسوعة وحقق هذا السفر كامل سليمان الجبوري، (د.ط)، بيروت: دار الكتب، 1971م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ—): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (د.ط) القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د.ت).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت751هـ) :

- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" القصيدة النونية"، عني بها عبد الله بن محمد العمير، ط1، الرياض: دار ابن خزيمة ، 1996م.
- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1425هـ.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط2، بيروت: منشورات الأعلمي، مج8، ج1971، 9م.
- الكتاني، محمد: موسوعة المصطلح في التراث العربي الديني والعلمي والأدبي، ط1، المغرب — الدار البيضاء: دار الثقافة، 2014م.
- الكتبي، محمد بن شاکر (ت764هـ):
- عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، (د.ط)، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1984م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، (د.ط)، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- ابن كثير الدمشقي، الحافظ عماد الدين أبو الفدا (ت774 هـ):
- البداية والنهاية، دقق أصوله وحققه: أحمد أبو ملح، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الساتر، ط1، القاهرة: دار الريان للتراث، 1988م.
- تفسير ابن كثير، أشرف على طبعتها وتصحيحها لجنة من العلماء، ط1، بيروت: دار الأندلس، 1966م .
- قصص الأنبياء، ط1، دار نهر النيل، 1981.

الكرمي، مرعي بن يوسف (ت1033هـ):

• الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، ط2، الأردن: دار الفرقان، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.

• الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، تحقيق وتعليق، نجم عبد الرحمن خلف، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.

المتنبي: ديوان المتنبي، علق حواشيه وفسر كلماته اللغوية سليم ابراهيم صادر، د.ط، بيروت: مكتبة صادر، 1926م.

مرتضى الزبيدي، محمد الحسيني (ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى الحجازي، (د.ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت).

محمد عزيز شمس، علي بن محمد العمران: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، إشراف وتقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ط2، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1422هـ.

ابن المستوفي الاربلي، المبارك بن احمد بن المبارك، المعروف بابن المستوفي (ت637هـ): تاريخ إربل (المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمثال)، حققه وعلق عليه: سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد: وزارة الثقافة والأعلام، 1980م.

مصطفى إبراهيم، والزيات أحمد حسن وآخرون: المعجم الوسيط ط2، مجمع اللغة العربية_ المكتبة الإسلامية، (د.ت).

ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم محمد بن عبد الله (ت884هـ): المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1990م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ):

• السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول_القسم الثالث، الجزء الثاني _ القسم الأول، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، (د.ت).

الجزء السادس، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

• المققى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م.

• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، (د.ط)، القاهرة: مؤسسة الحلبي، 1960م.

ابن المناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين (ت 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1990م.

ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم (ت 711هـ): لسان العرب: ط1، بيروت: دار صادر، (د.ت).

ابن ناصر الدين دمشقي، محمد بن أبي بكر (ت 842هـ): الرد الوافر، تحقيق زهير الشاويش، ط1، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، 1980م.

النعيمي دمشقي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ): الدارس في تاريخ المدارس، (د.ط)، تحقيق: جعفر الحني، ج2، 1988م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الخامس عشر، (د.ط)، مطبعة دار الكتب المصرية، (د.ت).

الجزء الواحد والثلاثون، تحقيق الباز العريني، مراجعة عبد العزيز الأهواني، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

الجزء الثاني والثلاثون، تحقيق الأستاذ فهيم محمد علوي شلتوت، مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1998م.

الجزء الثالث والثلاثون، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة أ.د. محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1997م.

النيسابوري السلمي، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت311هـ): صحيح ابن خزيمة، حققه علّق عليه وخرّج أحاديثه وقدم له محمد مصطفى الأعظمي، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1975م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (ت218هـ): السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1936م.

ابن الهمام الحنفي، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت861هـ): شرح فتح القدير، ط1، مصر، 1970م.

الواسطي، عماد الدين أحمد بن إبراهيم، المعروف بابن شيخ الحزامين (ت711هـ): التنكرة والاعتبار والانتصار لأبرار "دفاعاً عن ابن تيمية"، تحقيق عبد الحميد علي حسن علي، ط1، السعودية، مكتبة ابن الجوزي، 1988م.

ابن الوردي، عمر زين الدين (ت749هـ): تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدرأوي، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1970م.

ابن أبي يعلي، أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين (ت526هـ): طبقات الحنابلة، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

اليونيني، قطب الدين موسى ابن محمد(ت726هـ): ذيل مرآة الزمان، ط2، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،1992م.

المراجع

أحمد، صلاح الدين مقبول: دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، ط2، الكويت: دار ابن الأثير، 1996م.

أسود، عبد الرزاق محمد: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ط1، بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1981م.

الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن: التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية، اعتنى به وأشرف عليه أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ط1، الرياض: دار الوطن، 1998م.

الجمهورية السورية العربية_هيئة الموسوعة العربية: الموسوعة العربية، ط1، دمشق،2003م.

الخرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، عني بتصحيحه محمد بن علي الأكوغ الحوالي، ط2، اليمن_ صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م.

الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، بيروت: دار العلم للملايين،1980م.

أبو زهرة محمد: ابن تيمية "حياته وعصره وآراؤه وفقهه"،(د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي،1977م.

شقفة، محمد فهد: التصوف بين الحق والخلق، ط3، الصفاة: الدار السلفية،1403هـ— 1983م.

عبد الرّحيم، رائد:

• أثر الغزو المغولي في الثقافة العربية في العصر المملوكي، ط1، عمان: دار كنوز المعرفة،2017م.

• فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي، ط1، عمان: دار الرازي، 2003م.

العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1991م.

العريني، سيد الباز: المغول، (د.ط)، بيروت: دار النهضة العربية، 1967م.

فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي "الأعصر العباسية"، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1968م.

مبارك، زكي: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ط1، ج2، 1938م، ص241_243.

الدوريات

الخفاجي، محمد عبد المنعم : جهاد ابن تيمية في سبيل الإسلام وتربية الأمة، مجلة التربية _
قطر، س22، ع107، 1993م.

غانم، آمال: الدور السياسيّ لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، المجلة العربية للعلوم
الإنسانية: الكويت، مج28، ع112، 2010م.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**The Image of Ibn Taymiya in the The
Literature of the First Mamluk Era
(648_784H)**

**By
Sawsan Ahmad Youseif Nabresi**

**Supervised by
Dr. Raed Abdel Raheem**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements of The Degree of Masters of Arabic language and
literature, Faculty of Graduate Studies An-Najah National
University, Nablus, Palestine.**

2018

**The Image of Ibn Taymiya in the The Literature of the First Mamluk
Era (648_784H)**

By

Sawsan Ahmad Youseif Nabresi

Supervised by

Dr. Raed Abdel Raheem

Abstract

Ibn Taymiya was mentioned in many studies, but his image in his era's literature, The Mamluk First Period(648H-784H),is in need for extensive research .This study aim is to highlight IbnTaymia's image in the pre-mentioned era's literature to disclose his personality, morals, social , spiritual& scientific life.

This study adopted an inductive descriptive analytical method with the following contents: introduction, preface, four chapters and a conclusion. The introduction deals with the thesis' subject, methodology , content, the reason for choosing the thesis' topic and the most important references used .Whereas the preface displays Ibn Taymiyyah's presence in the Mamluk state (648H-784H) literature .

The first chapter handles Ibn Taymiyyah's full name ,morals and personal virtues (e.g:his generosity, courage& patience). Whereas the second chapter addresses the spiritual image of Ibn Taymiyyah in the Mamluk era literature from different sides : his worship,devoutness, asceticism, altruism, intelligence , jihad & followers.The third chapter has to do with Ibn Taymiyyah's knowledge in the First Mamluk era literature .Lastly, the fourth chapter discusses Ibn Taymiyyah's social image :the

relationship with his enemies , disputes: reasons and outcomes, his image in the eyes of followers and their appreciation. The final content is a conclusion accompanied by with the vital outcomes.